شعائر العرفان

في

ألواح الكتمان

تأليف

قطب الأقطاب أبي الأنوار سيدي محمد بن محمد وفا

المتوفى ٧٦٥ هـ

وفي مقدمته

بيت السادة الوفائية بالديار المصرية

للشيخ السيد محمد توفيق البكري

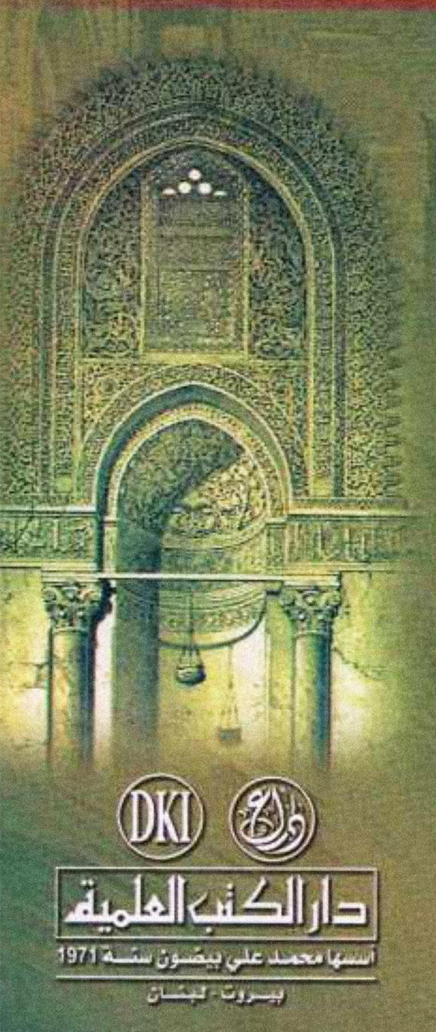
المتوفى ١٣٥١ هـ

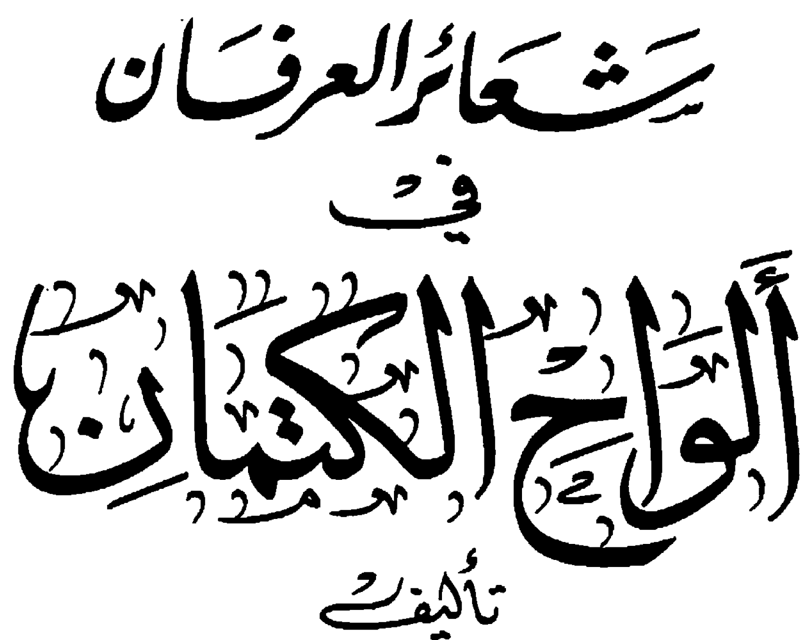
تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي

طبعة جديدة كاملة

تحتوي على ١٠٦ من شعائر العرفان





تأليف

قطب الأقطاب أبي الأنوار سيدي محمد بن محمد وفا

المتوفى ٧٦٥ هـ

وفي مقدمته

بيت السادة الوفائية

بالديار المصرية

للشيخ السيد محمد توفيق البكري

المتوفى ١٣٥١ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي



Title: **Ša°āir al-°irfān fī alwāḥ al-kitmān**
(A book in Sufism)

Author: Muḥammad ben Muḥammad Wafā

Editor: Aḥmad Farīd al-Miziyadi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 192

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: شعائر العرفان في ألواح الكتمان

المؤلف: سيدي محمد بن محمد وفا

المحقق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 192

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى





الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م. ١٤٢٧ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢/١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ | ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ | رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه السادة المقربين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فها قد أذن الله لإخراج هذا النور العظيم، من أشعة إشراقات سادة العلماء العارفين، بعد أن كانت محجوبة عن أعين الناظرين، عدة من القرون والسنين، إلا من أذن الله لهم من أصحاب التصريف المقربين، فأسرارهم خاصة لخواص خواص العارفين، وفيض الله سر محفوظ لدى من هم به مختصين.

وقد منّ الله علينا بالعزم والقصد في تحقيق كتب ورسائل أنوار السادة الوفائية، وكذلك المصنفات التي خُصت بالتصنيف عنهم، من ذكر مناقبهم وترجمتهم.

وما كان ذلك والله إلا بتوفيق من الله على يدي شيخنا الإمام الحجة القطب المخصوص بالفتح والتصريف، إمام أهل الكشف والتحقيق:

سيدي **مصطفى بن عبد السلام الملوي**، قدس الله سرّه، ونور ضريحه، فقد أذن لي بتحقيق كتبهم والعمل على خدمة تراثهم قدر المستطاع، فقد عرفت محبتهم، والحرص على زيارتهم، ومكانة علمهم وفك ما منّ الله لبعض رموز كلامهم، ببركة هذا الشيخ الجليل، وما كان لي ذلك بدونه، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

وجدير بنا أن نذكر على سبيل الإشارة والتعريف بسيدي محمد وفا قدّس الله سره:

فهو العالم بالله الولي الكامل والوارث المحمدي المخصوص في وراثته سيدي أبو الأنوار محمد بن محمد وفا، ينتهي نسبه إلى رسول الله ﷺ.

ولد سنة اثنين وسبعين، أخبر عنه ولده بأنه هو ختم الولاية، وكان ﷺ أميًّا وله لسانٌ غريبٌ في علوم القوم، ومؤلفاتٌ كثيرةٌ ألّفها في صباه وهو ابن سبع سنين أو عشر، فضلاً عن كونه كهلاً، وله رموزٌ في منظوماته ومنثوراته مطلسمةٌ، لا يعلمها إلا آحاد أفرادٍ من

الكُمَّل، لم يقع الإنكار عليهم مثلما حدث مع الشيخ ابن العربي قدِّس سرُّه، رغم عظمة وفخامة ما تكلّموا به؛ لدقة كلامهم وغرابة وعلوِّ لسانهم، فإن كلامهم تُعقل مفرداته ولا تعقل جمله، أُلِّف الكثير في مناقبهم، وامتُدِحوا بكثيرٍ من الأشعار، وقد ألف الشيخ الشعراني كتابًا في مناقب سيدي محمد وفا كما أخبر بذلك في «**الطبقات**».

وسئل سيدي عليٌّ أن يشرح تائية والده سيدي محمد، فقال: لا أعرف مراده؛ لأنه لسانٌ أعجميٌّ على أمثالنا.

ومن مؤلفات سيدي محمد: «**كتاب العروش**»، و«**فصول الحقائق**»، و«**الأزل**»، و«**مفتاح الصور من عين الجبر**»، و«**الصور النورانية في العلوم السريانية**»، وغير ذلك.

ومن كلامه رضي الله عنه وعنَّا به: التسليم انقياد النفس بخضام الطاعات، إلى قبول ما ورد عليها من الحق، وحقيقته: وقوفها في موقف ترك الاختيار، وغايته: الإعراض عن الاعتراض على الأقدار، وإقرار العقل بعد الاعتراف، بالعجز عن فهم سر القدر.

وقال في كتابه الشريف «فصول الحقائق»:

أعوذ بحقيقة حق الحق وهي تحقيق حقيقة حق المحق من ضلال ظلال ظل شخصه، المتحرك بالحركة الشرقية إلى كل جهةٍ متصوَّرةٍ بالوهم، أعوذ بمساء اسم جلاله المتجلِّي بالإحاطة الذاتية في مفردات شخص عين جمعه المستقيم، الذي لا يستحيل بالحركة، والتأبيد بالسكون، أعوذ بعياذة كشف معرفته من تنكُّر حجابه بكل معرفةٍ تتناهى إلى معروفٍ تتنكر عنده حقيقة حق المحق، أستعين بسلطان تمكين مكنته على منع علل تعليل ممكناته، الكائنة بالسبب الموجب لتقدم عدمها على وجودها، حقائق خلقها في الماهية، التي لا حقيقة لها عند الواجب والممكن من سلب السبب المثبت لماهيتها المقترنة بالنفي المحض اهـــ. وكلامه كله ﷺ على هذا النحو كما سترى إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ الشعراني: وكتاب «الشعائر» له، و«المشاهد» و«عنقاء مغرب» للشيخ ابن عربي، و«خلع النعلين» لابن قسيٍّ، لا يكاد يفهم أكثر العلماء منها معنًى مقصودًا، بل هو خاصٌّ بمن دخل مع المتكلم حضرة القدس، فإنه لسانٌ قدسيٌّ، لا يعرفه إلا الملائكة، أو من تجرَّد عن هيكله من البشر وأهل الكشف اهـــ.

هـــذا وآخـــر دعـــوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

بيت السادة الوفائية بالديار المصرية

للشيخ السيد محمد توفيق البكري
المتوفى سنة ١٣٥١هـ

تحقيق وتخريج وتعليق
أحمد فريد المزيدي



مقدمة المصنف

[قال السيد نقيب الأشراف محمد توفيق البكري(1)]:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد..

فهذا سفر وضعته في أخبار البيت الجليل المقدار، الرفيع الذرى، العالي المنار.

وهو بيت السادات الوفائية بالديار المصرية.

وقد قسمته إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في أنساب السادة الوفائية.

الباب الثاني: في تراجم أولئك السادات العظام.

والباب الثالث: فيما يتعلق بهذا البيت من الوظائف والزوايا والمواسم.

ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل نافعاً مقبولاً بمنّه وكرمه.

* * *

---

(1) تولى نقابة الأشراف، ومشيخة المشايخ في وقته، المؤرخ الأديب الشاعر المترسل، صاحب بيت الصديق، وصهاريج اللؤلؤ، وفحول البلاغة، وأراجيز العرب، والتعليم والإرشاد. توفي بالقاهرة في ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٥١ هـ. وانظر: معجم المؤلفين (١٨٧/٣).

الباب الأول
في التعريف بأنساب السادات الوفائية

أي فضل أذكر وأي مجد أنشر، فقد طابت تلك المناسب وكرمت هاتيك المناقب، وحسبك من مجد أولئك السادة أن السلطان سليم كتب عنهم بخطه في لوح هذا الشطر:

عَبِيدٌ وَلَكِنْ الْمُلُوكَ عَبِيدُهُم

ولله در القائل:

وَجَدْنَا لآلِ الْبَيْتِ جُرْثُومَ عِزَّةٍ وَعَادِيَةٌ أَرْكَانِهَا لَمْ يُهْدَمِ
إِذَا اشْتَعَبَ النَّاسُ الْبِيُوتَ فَإنهم أولو الله والبيت العتيق المحرمِ

ولله در طرفة بن العبد حيث يقول:

كَامِلٌ يَحْمِلُ آلاءَ الْفَتَى نَبَّهُ سَيدَ سَادَاتِ خِضَمِّ

خَيْرُ حَيٍ مِنْ مَعدِ عَلِمُوا لَكَفَى وَلَجَارِ وَابْنِ عَمِ

قال السيد مرتضى الحسيني الزبيدي شارح القاموس: اعلم أن سادتنا الوفائية نسبتهم لجدهم سيدي محمد وفا، وهو لقبه على الأصح.

ومساكنهم الأصلية تونس، وصفاقس وأجوارها، وأول وافد منهم إلى الديار المصرية: سيدي محمد النجم، وقد أسس بيتهم على الصدق والصفاء، واكتحلت الأحداق من أعتاهم إثمد الشفاء.

ونسبهم الشريف هو كما يأتي:

السيد عبد الخالق أبو الفتوحات بن وفا ابن السيد أحمد أبي النصر ابن السيد أحمد أبي الإقبال ابن السيد يوسف أبي التسهيل، وهو شقيق السيد محمد أبي الأنوار ابن السيدة صفية بنت السيد أبي الإرشاد يوسف المتوفى سنة ١١١٢هـ.

ابن أبي التخصيص عبد الوهاب بن أبي الإسعاد يوسف ابن السيد أبي العطاء عبد

الرزاق ابن السيد أبي المكارم إبراهيم بن أبي الفضل محمد بن أبي المكارم إبراهيم بن أبي الفضل محمد محب الدين بن أبي المراحم محمد بن أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد شهاب الدين بن أبي التداني سيدي محمد وفا، المنسوب إليه هذا البيت، ابن السيد محمد بن محمد النجم الوافد إلى مصر من المغرب ابن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن حسين بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن إدريس التاج الخليفة بالمغرب منشئ مدينة فاس، ابن إدريس الأكبر بن عبد الله المحضي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ﷺ ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا وقرة أعيننا رسول الله ﷺ.

وهذه السلسلة: هي من أعظم سلاسل الأشراف وأجدها وأقومها عمودًا؛ لأن عبد الله المحض أحد رجالها أبوه الحسن المثنى بن الحسن السبط، وأمه فاطمة بنت الحسين، فقد جمع النسبين وحاز الشرفين.

* * *

الباب الثاني

في تراجم السادة الوفائية

فصل في ترجمة السيد أحمد عبد الخالق السادات

هو: السيد عبد الخالق السادات، الملقب بأبي الفتوحات ابن السيد أحمد أبي النصر ابن السيد أبي الإقبال المتوفى سنة ١٢٧٣هـ ابن السيد أبي التسهيل يوسف ابن السيدة صفية ابنة السيد أبي الإرشاد يوسف المتوفى سنة ١١١٢هـ ابن السيد أبي التخصيص عبد الوهاب المتوفى سنة ١٠٩٨هـ ابن السيد أبي الإسعاد يوسف المتوفى سنة ١٠٥١هـ ابن السيد أبي العطا عبد الرازق المتوفى سنة ٩٠٥هـ ابن السيد أبي الفضل محمد محب الدين المجذوب المتوفى سنة ٨٨٨هـ ابن السيد أبي المراحم محمد المتوفى سنة ٨٦٧هـ ابن السيد أبي الفضل عبد الرحمن الشهير المتوفى سنة ٨١٣هـ ابن الأستاذ الكبير أحمد شهاب الدين أبي العباس المتوفى سنة ٨١٤ هـ ابن القطب الأكبر أبي التداني محمد وفا، المتوفى سنة

٧٦٥هـ وهو الذي نسب إليه هذا البيت الكريم.

وُلد بالقاهرة سنة ١٢٦٣ هـ، وكان إذ ذاك جده السيد أحمد أبو الإقبال شيخ السجادة الوفائية فنشأ في عزٍّ وسؤددٍ، وقد أدخله والده في المدرسة الأميرية التي كان ناظرها رفاعة بك، فتلقى مبادئ اللغة التركية والعربية والخط والحساب، ثم دخل الجامع الأزهر، وحضر على الشيخ إبراهيم السقا خطيب الجامع المذكور، والشيخ مصطفى المبلط وغيرهما من المشايخ، غير أنه لم تطل مدة تلقيه على هؤلاء المشايخ؛ لأن والده اصطحبه معه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وذلك في سنة ١٢٨٠ هـ.

وبعد أن قضيا الفريضة فاجأ والده الحمام بمكة المكرمة في يوم الأربعاء الموافق ١٤ ذي الحجة سنة ١٢٨٠هـ، فدُفن فيها بإكرام لائق بمقامه، وحضر مشهده جمٌّ غفيرٌ من أعيان مكة المكرمة وساداتها.

ثم رجع صاحب الترجمة مع عائلته إلى مصر، وتولى مشيخة السجادة الوفائية في سنة ١٢٨١هـ، إذ صدر له بذلك أمر سام من خديوي مصر إسماعيل باشا يفوض إليه ما كان بيد المرحوم والده من الوظائف والأوقاف.

وفي اليوم الثاني من يونية توجَّه إلى زاوية الرباط، حيث كان رجال الحزب في انتظاره، فتلا هنالك حزب الفتح المشهور، كما جرت بذلك عادتهم، و لم يزل قائمًا بأعباء وظيفته، وأعمال الميعاد، وتلاوة الأحزاب، والاحتفال بالمولد الوفائي، وإحياء الليالي المنسوبة إليه في مولد سيدنا الحسين إلى آخر أيامه.

وفي سنة ١٢٨١هـ أيضًا عُين عضوًا في مجلس الأحكام بموجب أمر عالٍ، ثم عُين عضوًا في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، وقد أنعم عليه جلالة السلطان برتبة أدرنه، واستلم براءتها من درويش باشا، وبالنيشان المجيدي.

وفي سنة ١٣٠٨هـ توجه إلى البلاد السورية؛ لرؤية مدائنها، وزيارة ما فيها من مقامات الأنبياء والمرسلين، فتلقَّاه أهلها بالحفاوة والتبجيل، وأخذ عظماؤها وأشرافها يتناوبون ضيافته، ويُكرِّمون وفادته، ثم توجَّه إلى دار الخلافة فقوبل فيها أيضًا من رجال الدولة والعظماء بمزيد التجلة والإكرام، وأُنعم عليه بالنيشان العثماني من الدرجة الثانية، وبرتبة رءوس خمس، ولما جاء مصر وُلي عهد مملكة أسوج ونروج مع قرينته، زاره

فأضافه السيد وأكرمه بما يليق به، فلما رجع إلى عاصمة مملكته قص على الملك ما كان منه، وما أُظهر لهما من جليل الإكرام، فأرسل الملك له نيشانًا وكتابًا يشكره فيه.

وفي نوفمبر سنة ١٨٩٥مـ منحه شاه إيران المعظَّم بنشان شيرخورشيد من الدرجة الأولى.

وكان سهل الأخلاق، كريم الأعراق إلى مروءة وشمم وإل وذمم وكرم، وأريحية وهمم عربية.

فصل في ترجمة السيد محمد أبي الأنوار

قال الجبرتي: هو الأستاذ الشهير، والجهبذ النحرير الرئيس المفضل، والفريد المبجَّل، نادرة عصره، وحيد دهره الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد الرحمن المعروف: بابن عارفين سِبط بني الوفاء، وخليفة السادات الحنفاء، وشيخ سجادتهم، ومحط رجال سادتهم، وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح، ومناقبه أظهر من البيان والإيضاح.

وأمه السيدة: صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبي الإرشاد بن وفا، تزوج بها عبد الرحمن المعروف بعارفين، فأولدها المترجم.

وأخاه الشيخ يوسف، وكان أسن منه، فتربى مع أخيه في حجر السيادة، والصيانة والحشمة، وقرأ القرآن، وتولع بطلب العلم، وحضر دروس أشياخ الوقت، وتلقى طريقة أسلافه وأورادهم، وأحزابهم عن خاله الأستاذ شمس الدين محمد أبي الأشراف بن وفا عن عمه الشيخ عبد الخالق عن أبيه الشيخ يوسف أبي الإرشاد عن والده أبي التخصيص عبد الوهاب .. إلى آخر السند المنتهي إلى الأستاذ أبي الحسن الشاذلي.

ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البجيرمي فحضر عليه، كما ذكره في برنامج شيوخه أم البراهين وشرح المصنف عليها والآجرومية وشرحها للشيخ خالد، وشرح الستين مسألة للجلال المحلي، وهو أول أشياخه، ثم لازم الشيخ خليل المغربي فحضر عليه شيخ إيساغوجي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشرح العصام على السمرقندية والفاكهي على القطر، ومتن التوضيح، والأشموني على الخلاصة، ورسالة الوضع والمغني، وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الميجري الملوي في صحيح البخاري، والشيخ

عبد السلام علي الجوهرة، وأجازه بمروياته ومؤلفاته الإجازة العامة.

وكذلك أجازه الشيخ أحمد الجوهري الشافعي إجازة عامة، وإجازة خاصة بطريقة مولاي عبد الله الشريف، ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهري الصغير.

وحضر أيضًا دروس الأستاذ الحفني في شرح التلخيص للسعد التفتازاني، وشرح التحرير لشيخ الإسلام، وشرح الألفية لابن عقيل والأشموني.

وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوي المالكي في شروح الآجرومية للشيخ خالد وشيئًا من شرح الهمزية للحافظ ابن حجر، وشيئًا من تفسير الجلالين والبيضاوي.

وحضر الشيخ مصطفى السندوبي الشافعي في شرح ابن قاسم الغزي على أبي شجاع، وعلى السيد البليدي في شرح التهذيب للخبيصي.

وعلى الشيخ عطية الأجهوري الشافعي في شرح الخطيب على أبي شجاع، وشرح التحرير لشيخ الإسلام وتفسير الجلالين.

وعلى الشيخ محمد الناري شرح السلم لمصنفه، وشرح التحرير.

وعلى الشيخ أحمد القوصي شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادي.

وسمع المسلسل بالأولية من عالم أهل المغرب في وقته الشيخ محمد بن سودة التاودي المالكي عند وروده مصر في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف هـ بقصد الحج، وكتب له إجازة بخطه مع سنده، وإجازة أيضًا بدلائل الخيرات وأحزاب الشاذلي.

وكذلك تلقى الإجازة من الأستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي.

وتلقى أيضًا من إمام الحرم المالكي الشيخ إبراهيم ابن الرئيس محمد الزمزمي الإجازة بالمسبعات، واستجازه هو أيضًا بما لأسلافه من الأحزاب وكنّاه بأبي الفوز، وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة وألف هـ بمكة سنة حجة المترجم.

ولما مات السيد أبو هادي وانقرضت بموته سلسلة أولاد الظهور وذلك في سنة ست وسبعين ومائة وألف هـ تاقت نفس المترجم لخلافة بيتهم وتهيأ لذلك، ولبس التاج

والعصابة التي يجعلونها عليه، فلم يتم له ذلك، وعورض بسيدي أحمد بن إسماعيل بيك المكنّى بأبي الإمداد؛ لأنه في طبقته في النسب.

وأمه السيدة أم المفاخر ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق أرباب الحل والعقد؛ لكونه من بيت الإمارة، ومنـــزلتهم كمنازل الأمراء في الاتساع والتأنق، والمجالس المزخرفة، والقيعان والقصور، وفي ضمنه البستان بالنخيل والأشجار، وما يجتنى منها من الفواكه والثمار مع بذل الإحسان، وإكرام الضيفان، فلما تقلدها سيدي أحمد المذكور دون المترجم بقي متطلعًا يسلي نفسه بالأماني.

ثم قصد الحج في سنة تسع وسبعين هــ،كما ذكر، فلما عاد من الحج تزوج بوالدة الشيخ محمد أبي هادي وأسكنها بمنـــزل ملاصق لدار الخليفة توصلاً وتقربًا لمأموله.

ولم تطل مدة أبي الإمداد، وتوفي سنة اثنتين وثماني هــ، وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض، وقد مهد أحواله وثبت أمره مع من يخشى صولته، ومعارضته من الأشياخ وغيرهم، ودُفن السيد أحمد، وركب المترجم في صبحها مع أشياخ الوقت، والسيد أحمد البكري، وجماعة الحزب ونقبائهم إلى الرباط بالخرنفش، ودخل إلى خُلوة جدهم، فجلس بها ساعة، وقرأ أرباب الحزب وظيفتهم، ثم ركب مع المشايخ إلى أمير البلدة، وكان إذ ذاك علي بك، فخلع عليه، وركبوا إلى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة، وأصبح متقلدًا خلافة أسلافهم، ومشيخة سجادتهم، فكان لها أهلاً ومحلاً، وتقدم على أخيه الشيخ يوسف مع كونه أسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة، ولما ثبطه به من مخادعته وسلامة صدر أخيه، وحسن ظنه فيه، وانتظم أمره وأحسن سلوكه بشهامة وحشمة، ورئاسة، وتؤدة، وأدب مع الأشياخ والأقران، وتحبب إلى أرباب المظاهر والأكابر، واستجلاب الخواطر، وسلوك الطرائق الحميدة، والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة، والأخذ بالحزم والرفق مع الاشتغال بالمطالعة والمذاكرات في المسائل الدينية والأدبية، ومعاشرة الفضلاء، ومجالستهم والمناقشات معهم، واقتناء الكتب من كل فن، كل ذلك مع الجد، والتحصيل للأسباب الدنيوية، وما يتوصل به إلى كثرة الإيراد بحسن تداخل وجميل طريقة مبعدة عما يخل المقدار بحيث يقضي مراده من العظيم وجميل الفضل له، ويراسل ويكاتب ويحاسب ولا يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر؛ بل يرون أن أخذها منه من الكبائر،

وكذلك دواوين المكوس المبنية على الإجحاف، فكل ما نسب له فيها فهو معافٌ، وكلما طال الأمل زاد المدد وخصوصًا إذا انقلبت الدول.

ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ويخضع لهم، وكانوا على طرائق الأقدمين في العفة، والانجماع عما يخل بتعظيم العلم، وأهله والتباعد عن الدنيا إلا بقدر الضرورة، وخلف من بعدهم مَنْ هم على خلاف ذلك، وهم أعاظم مدرسي الوقت، فأحدقوا به، وأكثروا من الترداد عليه، وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعًا في صِلاته وجوائزه، وحصول الشهرة لهم، وزال الخمول والتعارف بمَنْ يتردد إلى داره من الأمراء والأكابر وزاد هو أيضًا وجهًا ووجاهة بمجالستهم، وبلغ به أنه لا يقوم لأكثرهم إذا دخل عليه، ومنهم مَنْ يدخل بغاية الأدب، فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته:

«يا مولاي يا واحد».

فيجيبه هو بقوله: يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم.

فإذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين حبى على ركبتيه، ومدَّ يمينه؛ لتقبيل يده أو طرف ثوبه، وأما الأدون فلا يقبل إلا طرف ثوبه، وكذلك أتباعه وخدمه الخواص، وإذا كان من أهل الذمة، أو كبار المشرين، وقبَّلوا يده، وخاطبهم في أشغاله وهم قيام، وانصرفوا طلب الطست والأبريق وغسل يده بالصابون؛ لإزالة أثر أفواههم، ولا يُجيب في رد التحية إلا بقول: خير خير، ولا يقطع غالب أوقاته مع مجالسيه وخاصيته ومسامريه إلا بانتقاد أهل مصره.

وفي سنة تسعين ومائة وألف هـ ورد إلى مصر عبد الرزاق أفندي رئيس الكُتَّاب، ومن أكابر أهل الدولة فتداخل معه، واصطحب به، وأهدى إليه هدايا واستدعاه وأضافه، وحضر في ذلك العام محمد باشا المعروف: بالعزتي واليًا على مِصْر، فأنهى إليه بمعونة الرئيس المذكور احتياج زاوية أسلافه للعمارة، ودعا الباشا لزيارة قبورهم في يوم المولد المعتاد السنوي، وذكر له المقصود وأظهر له بعض الخلل، وأن ذلك الفعل من تمام الشعائر الإسلامية، والمشاهد التي يجب الاعتناء بشأنها، وكان المعين والمساعد في ذلك شيخنا محدث العصر السيد محمد مرتضى، وهو عند العثمانيين مقبول القول، وكان عبد الرزاق

الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والإجازات، وقرأ عليه مقامات الحريري، فأجاب الباشا ووعد بإتمام ذلك، وكاتب الدولة، وورد الأمر بإطلاق خمسين كيسًا لمصرف العمارة من خزينة مِصْر، فشرع في هدم حوائطها، ووسعها عن وضعها الأصلي، وحوطها وزخرفها بالنقوش، وأنواع الرخام الملون والمموه بالذهب والأعمدة الرخام، ثم كاتب الدولة، وأنهى أن ذلك القدر لم يكف وأن العمارة لم تكمل، فأطلقوا له خمسين كيسًا أخرى، وأتمها على هذا الوضع الذي هي عليه الآن، وأنشأ حولها مساكن ومخادع، ووسع القصر الملاصق لها المختص به لجلوسه، ومواضع الحريم أيام الموالد، ثم أرسل في أثر ذلك كتخداه الشيخ إبراهيم السندوبي أبي دار السلطنة بمكاتبات، وأعرض لرجال الدولة، والتمس رفع ما على قرية زفتى وغيرها مما في حوزه من الالتزام من المال الميري الذي يدفع إلى الديوان في كل سنة، وكان إبراهيم المذكور غاية في الدهاء فتمم مرامه، و لم يدفع ما جرت به العادة من العوائد؛ بل اجتلب خلاف ذلك فوائد، ولما حضر حسن باشا الجزايرلي إلى مصر على رأس القرن، وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية واستباح أموالهم، وقبض على نسائهم وأولادهم، وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم، زاعمًا أنهم أرقاء لبيت المال وفعل ذلك، فاجتمع الأشياخ وذهبوا إليه فكان المخاطب له المترجم قائلاً له: أنت أتيت إلى هذه البلدة ،وأرسلك السلطان؛ لإقامة العدل ورفع الظلم، كما تقول، أو لبيع الأحرار وأمهات الأولاد وهتك الحريم؟ فقال: هؤلاء أرقاء لبيت المال، فقال: هذا لا يجوز، و لم يقل به أحد، فاغتاظ غيظًا شديدًا، وطلب كاتب ديوانه وقال له: اكتب أسماء هؤلاء، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره، فقال له السيد محمود البنوفري: اكتب ما تريد؛ بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا، فأُفْحم وانكف عن إتمام قصده، وأيضًا تتبع أموالهم وودائعهم، وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة، وعلم ذلك حسن باشا، فأرسل عسكرًا يطلب من المترجم وديعة إبراهيم بك، فامتنع من دفعها قائلاً: إن صاحبها لم يمت، وقد كتبت على نفسي وثيقة فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها في قيد الحياة، فاشتد غيظ الباشا منه، وقصد البطش به، فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق.

فكان يقول: لم أر في جميع الممالك التي ولجتها مَنْ اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل، فإنه أحرق قلبي، ولما ارتحل من مصر ورجع المصريون إلى دولتهم رد الأمانة إلى صاحبها حين قدم، وحسنت فيهم سيرته، وزادت عندهم محبته، وفي عقب ذلك نزل السيد محمد

أفندي البكري المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسيني للمترجم، وأرسل إليه بصندوق دفاتر الوقف، وكان نظر المشهد ببيتهم مدة طويلة، ووعده المترجم بأن يبدله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعي، فلما حصل الفراغ، واحتوى على الدفاتر نكث وطمع على الوظيفتين، بل ومد يده إلى غيرهما لعدم من يعارضه ولا يدافعه من الأمراء وغيرهم مثل نظر المشهد النفيسي والزينبي وباقي الأضرحة، وأخذ يحاسب المباشرين وخدمة الأضرحة المذكورة على الإيرادات ويسبهم، ويهينهم، ويضربهم بالجريد المحمص على أرجلهم، وفعل ذلك بالسيد بدوي مباشر المشهد الحسيني، وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم، ومشهور ومذكور في المَصْر وغيره، وكان معظم انقباض السيد البكري، ونزوله عن نظر المشهد ضيَّق صدره من المذكور، ومناكدته له، واستيلائه على المحل ومحصول الوقف، والتقصير في مصارفه اللازمة، وينسب التقصير للناظر.

وكان رحمه الله عظيم الهمة، يغلب عليه الحياء والمسامحة، ويرى خلاف ذلك من سفاسف الأمور، فتنصل من ذلك وترك فعله لغيره، فلما أوقع المترجم بالسيد بدوي وباقي عظماء السدنة ما أوقع انقمع الباقون، وذلوا، وخافوه أشد الخوف، ووشوا على بعضهم البعض، وطفق يطالبهم بالنذور، والشموع والأغنام، والعجول، وما يتحصل بصندوق الضريح من المال، وكانوا يختصون بذلك كله، وأقلهم في رفاهية من العيش وجمع المال، وكان إذا أراد الإيقاع بشخص، أو إهانته وخشي عاقبة ذلك أو لومًا يلحقه ممن ينتصر له مهد له الطريق سرًا قبل الإيقاع به، فإنه لما أراد ضرب السيد بدوي طاف على الشيخ العروسي وأمثاله، وأسرهم ما في نفسه، وامتدت يده أيضاً إلى شهود بيت القاضي، فكان إذا بلغه أن أحدهم كتب حجة استبدال، أو إجارة مكان مدة طويلة لناظر أو مستحق، وكان ذلك المكان يؤول بعد انقراض مستحقيه لضريح من الأضرحة التي تحت نظرة أحضره ذلك الكاتب، ووبخه، ولعنه، ولربما ضربه وأبطل تلك المكاتبة ومحاها من سجل القاضي، أو يصالحونه على تنفيذ ذلك مع أنها لا تؤول إلى تلك الجهة إلا بعد سنين وأعوام متطاولة، وقد نص علماء الشرع على أن الوقف، والنذر للقبور والأضرحة باطل، فإن قيل بصحته على الفقراء قلنا: إن سدنة هذه الأضرحة ليسوا بفقراء؛ بل هم الآن أغنى الناس والفقراء حقيقة خلافهم من أولاد الناس الذين لا كسب لهم، والكثير من أهل العلم الخاملين والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسيني قهر السيد بدوي المباشر المذكور، وأنشأ دارًا قرب المشهد الحسيني، ولما تم بناؤها، ونظامها وقرب وقت أيام المولد انتقل إليها بخدمه وحريمه، وتقدم إلى حكام الشرطة بأمر الناس، والمناداة على أهل الأسواق، والحوانيت بالسهر بالليل، ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد، وكان في السابق ليلة واحدة، وأحدثوا في تلك الليالي سيارات، وجمعيات، ومناور، ومشاعل، وجمع خلائق الذين ينتسبون إلى الطرائق كالأحمدية والسعدية والشعيبية، وأمرهم بأن يمروا من تحت داره، ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الأيام متفرقين، ودعا عابدين باشا يوم المولد، ثم زاد في منزل سكنهم زيادة من ناحية البركة المعروفة ببركة الفيل خلف البستان، أخذ في تلك الزيادة مقدارًا كبيرًا من أرض البركة، وأنشأه مجلسًا مربعًا متسعًا مطلاً على البركة من جهته، وبوسطه عامود من الرخام، وبُلِّط دورٌ قاعته بالرخام، وجعل به مخدعًا، وخارجه فسحة كبيرة، وشبابيكها مطلة على البركة، وصارت القاعة القديمة المعروفة بالغزالي الملتفت بابها في ضمن الفسحة، وبها باب القيطون، وسَّمى هذه المنشية الأسعدية، وبتلك الفسحة باب يدخل منه إلى منافع ومرافق، ثم عَنَّ له التغيير والتبديل لأوضاع البيت من ناحية أخرى، فهدم الساتر على القاعة الكبيرة وفسحتها، وهي التي يسمونها: بأم الأفراح، وهي من إنشاء الشيخ أبي التخصيص، وهي أعظم المجالس التي بدارهم مزخرفة بالنقوش الذهبية، والقيشاني الصيني بجميع حيطانها، والرخام الملون، وبها الفسقية والسلسبيل، والقمرية الملونة، فكشف حائطها، وأدخل فسحتها في رحبة الحوش وهدم القاعة الأخرى التي كان يصعد إليها بسلم من الفسحة الأخرى، وأبطل الحواصل التي أسفلها، وساواها بالأرض، وعمل بها فسقية من رخام ومرافقتها من داخلها، وبها باب يتوصل منه إلى الحريم وسمَّاها: الأنوارية؛ نسبة لكنيته، وأمامها فسحة عظيمة ديوان بدكك، وكراسي بجانب البستان، وبها الطرقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل إلى القاعة المُسمَّاة بالغزالي والأسعدية وهدم المقعد القديم الذي به العامود وقناطره، وما كان بظاهر الحاصل المُسمَّى بحاصل السجادة من الحواصل السفلية، وجعله مسجدًا يصلي فيه الجمعة، ونصب فيه منبرًا للخُطبة؛ وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره، وتعاظمه عن السعي الكثير والاختلاط بالعامة، وأخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاوشية وسع بها البستان، وغرس بها الأشجار، والرياحين، والثمار، وأفنى غالب عمره في تنظيم المعاش،

والرفاهية، واقتناء كل مرغوب للنفس، وشراء الجواري والمماليك، والعبيد، والحبوش، والخصيان، والتأنق في المآكل، والمشارب والملابس، وتعاظم في نفسه، وتعالى على أبناء جنسه حتى إنه ترفع عن لبس التاج، وحضور المحيا بالأزهر ليلة المعراج، وكذا الحضور في مجلس وردهم، وصار يلبس قاووقًا بعمامة خضراء تشبهًا بأكابر الأمراء، وبعدًا عن التشبه بالمتعممين، والفقهاء، والمقرئين، ولما طالت أيامه، وماتت أقرانه، وتقلبت عليه الدول، واندرجت أكابر الأمراء، وتأمر أتباعهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدي مخاديمهم، وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم لا جَرَمَ كانت هيبته في قلوبهم أعظم من أسلافهم، واستصغاره هو لهم كذلك، فكان يصدعهم بالكلام، وينفذ أمره فيهم، ويذكر الأمير الكبير بقوله: ولدنا الأمير فلان، وحوائجه عندهم مقضية، وكلامه لديهم مسموع، وشفاعته مقبولة،وأوامره نافذة فيهم وفي حواشيهم.

واتفق أن بعض أعاظم المباشرين من الأقباط توقف معه في أمر، فأحضره ولعنه، وسبه، وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد، ولم يراع حرمة أميره، وهو إذ ذاك أمير البلدة، ولما شكا إلى مخدومه ما فعل به قال: وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيًا رحم الله عظامه؟.

واتفق أيضًا أن جماعة من أولاد البلد ووجهائها اجتمعوا ليلة بمنـــزل بعض أصحابهم وتباسطوا، فأخذ بعضهم يسخر، ويقلد بعض أصحاب المظاهر، فوشى للمترجم بمجلسهم، وأنهم أدرجوه في سخريتهم، فتسماهم وأحضرهم واحدًا بعد واحد، وعزرهم بالضرب والإهانة، وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضونه في شيء؛ بل يوافقونه ولا يتكلمون معه إلا بميزان، وملاحظة الأركان، ويتأدبون معه في رد الجواب، وحذف كاف الخطاب، ونقل الضمائر عن وضعها في غالب الألفاظ بل كلها، حتى في الآثار والأحاديث النبوية وغير ذلك من المبالغات، وتحسين العبارات، والوصف بالمناقب الجليلة، حتى أن السيد حسين المنزلاوي الخطيب كان يُنشئ خُطبًا يخطب بها يوم الجمعة التي يكون المترجم حاضرًا فيها بالمشهد الحسيني وبزاويتهم أيام المولد، ويدرج فيها الإطراء العظيم في المترجم، والتوسل به في كشف المهمات، وتفريج الكروب، وغفران الذنوب، حتى إني سمعت قائلاً يقول بعد الصلاة: لم يبق على الخطيب إلا أن يقول: اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات، ولما قدمت الفرنساوية إلى الديار المصرية في أوائل سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف هـــ، لم

يتعرضوا له في شيء، وراعوا جانبه، وأفرجوا عن تعلقاته، وقبلوا شفاعاته، وتردد إليه كبيرهم وأعاظمهم، وعمل لهم ولائم، وكنت أصاحبه في الذهاب إلى مساكنهم والتفرج على صنائعهم، ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم، إلى أن حضر ركب العثمانيين في سنة خمسة عشر، وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من أرض مِصْر، ورجوعهم إلى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية، ومنها: حسابات تدفع إليهم، وأخرى تخصم عليهم، وظن المترجم وخلافه إتمام الأمر والارتحال لا محالة، فعند ذلك لحقه الطمع فذكر مصلحة دفعها لكاتب جيشهم في نظير الإفراج عن تعلقاته، وأرسل يطلبها من بوسليك مدير الجمهور، وكذلك ما قبضه ترجمانه فقال: هذه عوائد لا بد منها ودخلت في حساب الجمهور، وتغير خاطرهم منه، وكانت منه هفوة ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة، ولما انتقض الصلح، وحصلت المفاقمة، ووقعت المحاربة في داخل المدينة، وتترست العساكر الإسلامية، وأهل البلد في النواحي والجهات وانقطع الجالب عن أهل البلد مدة ستة وثلاثين يومًا التزم أغنياء الناس وأصحاب المظاهر الإطعام، والإنفاق على المحاربين، والمقاتلين في جهتهم ونواحيها، والتزم المترجم كغيره الإنفاق على مَنْ حوله، فلما انقضت أيام المحاربة، وانتصر الفرنساوية، ورجع الوزير ومَنْ معه إلى جهة الشام منهزمين، فعند ذلك انتقم الفرنساوية من المبارزين لهم بأخذ المال بدلاً عن الأرواح، وقبضوا على المترجم، وحبسوه وأهانوه أيامًا، وفرضوا عليه قدرًا عظيمًا من المال قام بدفعه.

وقيل: إن الذي زاد الفرنساوية إغراء به مراد بيك حين اصطلح معهم، وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة.

وسببه: إنه لما دهمت الفرنساوية، وطلعوا الإسكندرية، ووصل الخبر إلى مصر، اجتمع الأمراء بالمساطب، وطلبوا المشايخ ليشاوروهم في هذا الحادث، فتكلم المترجم، وخاطبهم بالتوبيخ، وقال: هذا سوء فِعالكم، وظلمكم، وآخر أمرنا معكم ملكتمونا للإفرنج، وشافه مراد بيك وخصوصًا بأفعالك، وتعديك أنت وأمرائك على متاجرهم، وأخذ بضائعهم وإهانتهم، فحقدها عليه، وكتمها في نفسه، حتى اصطلح مع الفرنساوية، وألقى إليهم ما ألقى، ففعلوا به ما ذكر وذلك في ثاني يوم الضيافة، فلما رجع العثمانية في السنة الثانية إلى مِصْر بمعونة الإنكليز، وصاروا بالقرب من المدينة حبسوا المترجم مع مَنْ حُبِس

بالقلعة من أرباب المظاهر خوفًا من إحداثهم فتنة بالبلدة، ومات ولده الذي كان سمّاه محمد نور الله وهو معوق وممنوع، فأذنوا له في حضوره جنازة ولده، فنــزل وصحبه شخص حرس منهم فلازمه حتى واراه وعاد به ذلك الحرس إلى القلعة.

وكان هذا الولد مراهقًا له من العمر اثنتا عشرة سنة، كان في أمله أن يكون هو الخليفة في بيتهم من بعده، ويأبى الله إلا ما يريد، ولما انفصل الأمر، وارتحل الفرنساوية من أرض مصر، ودخل إليها يوسف باشا الوزير ومَنْ معه، تقدم المترجم يشكو إليه حاله وما أصابه، وادَّعى الفقر والإملاق مع أن الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئًا من تعلقاته وإيراده، وجعل شكواه، وما حصل له سلمًا للإفراج عن جميع تعلقاته وإيراده من غير حلوان كغيره من الناس، وزاد على ذلك أشياء ومسامحات، ودعا الوزير إلى داره وأفراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الأمور، وعاد إلى حالته في التعاظم والكبرياء، وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر، وكان سموحًا وكذلك شريف أفندي الدفتردار، فاستكثر من التحصيل والإيراد إلى أن تقلبت الأحوال، وعادت للمصريين في ثمان عشرة، ثم خروجهم وما وقع من الحوادث، واستقر محمد علي باشا، وشرع في تمهيد مقاصده، فكان السيد عمر يمانعه، فدبر على إخراجه من مصر، وجمع المشايخ، وأحضر المترجم، وخلع عليه، وقلده النقابة، وأُخرج السيد عمر من مصر منفيًا إلى دمياط، وذلك في سنة أربع وعشرين، ووافق فعله ذلك غرض المترجم؛ لحقده الباطني على السيد عمر، وتشوفه إلى النقابة، وادِّعائه أنها كانت ببيتهم لكون الشيخ أبي هادي تولاها ثم تولاها بعده أبو الإمداد، ويصرح بقوله: إنها من وظائفنا القديمة، وأحضر بها مرسومًا من دار السلطنة وأخفاه، ولم يظهره مدة حياة محمد أفندي البكري الكبير، فلما مات وتقلدها ولده محمد أفندي ادعاها وأظهر المرسوم، وشاع خبر ذلك، فاجتمع الجم الغفير من الأشراف بالمشهد الحسيني ممانعين، وقائلين: لا نرضاه نقيبًا ولا حاكمًا علينا، فلم يتم له مراده، فلما توفي محمد أفندي البكري الصغير، ظن أنه لم يبقَ له فيها منازع، فلا يشعر إلا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بيك؛ لصحبته معه، ومرافقته له في الغربة حين كان المصريون بالصعيد، فسكت على ضغن وغيظ يخفيه تارة ويظهره أخرى.

فلما أُخرج الباشا السيد عمر، وتقلد المترجم النقابة، وبلغ مأموله عند ذلك أظهر الكامن في نفسه، وصرح بالمكروه في حق السيد عمر، ومَنْ ينتمي إليه أو يواليه، وسطر

فيه عرضًا محضرًا إلى الدولة، نسب إليه فيه أنواعًا من الموبقات التي منها: أنه أدخل جماعة من الأقباط في دفتر الأشراف، وقطع أُناسًا من الشرفاء المستحقين، وصرف راتبهم للأقباط المدخلين.

ومنها: إنه تسبب في خراب الإقليم، وإثارة الفتن، وموالاة البغاة المصريين، وتطميعهم في المملكة، حتى إنه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج في غفلة الباشا، والناس، والعساكر، وأنه هو الذي أغرى المصريين على قتل علي باشا برغل الطرابلسي حين قدم واليًا على مصر، وهو الذي كاتب الإنكليز، وطمعهم في البلاد مع الألفي حين حضروا إلى الإسكندرية وملكوها، ونصر الله عليهم العساكر الإسلامية وغير ذلك، وكتب الأشياخ عليه خطوطهم، وطبعوا تحتها ختومهم، وفي سنة ست وعشرين أنشأ دارًا عظيمة بجانب المنــزل، وأنشأ بها مجالاً، وقاعات، ورواشن ومنافع، ومرافق، وفساقي، وأنشأ فيها بستانًا غرس فيه أنواع الأشجار المثمرة وأدخل به مـــا حازه من دور الأمراء المتخربة، وكان السيد خليل البكري اشترى دارًا بدرب الفرن، وذلك بعد خروج الفرنساوية، وأنشأ بها بستانًا أنيقًا، وأنشأ قصرًا برسم ولده مطلاً على البستان، فلما تُوفي السيد خليل تعدى على ولده سيدي أحمد وقهره، وأخذ منه ذلك البستان بأبخس الأثمان، وخلطه ببستان الدار الجديدة، وبنى سوره وأحاطه، ولم يزل كلما طال عمره زاد كبره، ولما ضعفت قواه تقاعد على القيام لأعاظم الناس إذا دخل عليه محتجًا بالإعياء والضعف، وفي شهر شوال من السنة التي تُوفي فيها أحضر ابن أخيه سيدي أحمد الذي تولى المشيخة بعده، وألبسه خلعة وتاجًا، وجعله وكيلاً عنه في نقابة الأشراف، وأركبه فرسًا بعباءة، وأرسله إلى الباشا صحبة سيدي محمد المعروف بأبي دفية، وأمامه جاويشية النقابة على العادة، فلما دخلا إلى الباشا، وعرفه المرسول بأن عمه أقامه وكيلاً عنه، فقال: مبارك، فأشار إليه أن يلبسة خلعة فقال: إن موكله ألبسه، ولم يتقلدها بالأصالة، ولو كنت قلدته أنا كنت أخلع عليه، فقام ونزل إلى داره التي أسكنه بها عمه، وهي الدار التي عند المشهد الحسيني، وحضر إليه الناس للسلام والتهنئة.

وفي هذه السنة أيضًا عَنَّ للمترجم أن يزيد في المسجد الحسيني زيادة مضافة لزيادته الأولى التي كان زادها في سنة ست ومائتين وألف هـــ، فهدم الحائط التي كان بناها الجنوبية، وأدخل القطعة التي كان عمل بها الميضأة، وزاد باكية أخرى، وصف عواميد،

وصارت مع القديمة لوانًا واحدًا، وشرع في بناء دار عظيمة؛ لينـــزل فيها وقت مجيئه هناك في أيام المولد وغيره، وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة، والدار المستجدة شبابيكًا مطلة على المسجد؛ لينظر منها المجالس، والوقودات مَنْ يكون بالدار من الحريم وغيرهم، فما قرب إتمام ذلك إلا وقد زاد به الإعياء، والمرض، وانقطع عن النـــزول من الحريم، وتمت الزيادة و لم يبق إلا إتمام الدار، فيستعجل المشيد والمهندس، وينسب إليهم إهمال استحثاث العمال، ويقول: قد قرب المولد، و لم تكمل الدار، فأين نجلس أيام المولد؟ وكل يوم يزيد مرضه، وتورمت قدماه، وضعف عن الحركة، وهو يقول ذلك ويأمل الحياة، فلما زاد به الحال، وتحقق الرحيل إلى مغفرة المولى الجليل، أوصى لأتباعه بدراهم، ولذي الفقار الذي كان كتخذا الألفي والآن في خوالة بستان الباشا الذي بشبرا بخمسمائة ريال؛ لكون زوجته خشداشة حريمه، وهما من جواري إسماعيل بك الكبير؛ وليكون معينًا لها ومساعدًا في مهمالها، ولسيدي محمد أبي دفية مثلها نظير خدمته، وتقييده وملازمته له، وأوصى أن لا يُغسَّل إلا على سريره الهندي الذي كان ينام عليه في حياته.

فلما كان يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف هـــ تُوفي إلى رحمة الله تعالى وقت العصر، وبات بالمنـــزل، وصُلي عليه بالأزهر بعدما أنشد المنشد مرثية من إنشاء العلامة الشيخ حسن العطار، جعل براعة استهلالها الإشارة إلى ما كان عليه المترجم من التعاظم والتفاخر فقال:

سَـــلامٌ عَلَـــى الدُّنْـــيَا فَقَدْ ذَهَبَ الْفَخْرُ

ثم حُمِل إلى مشهد أسلافه بالقرافة، ودفن في التربة التي أعدها لنفسه بجنب مقام جدهم، وتقلد مشيخة سجادهم في ذلك اليوم السيد أحمد ابن الشيخ يوسف، وهو ابن عمه وعصبته وكنيته: أبو الإقبال بإجماع من الخاص والعام، وجلس هو وأخوه سيدي يحيى؛ لتلقي العزاء، وفي الصباح حضر إلى الرباط بالخرنفش، وكان بزاوية الرباط المذكورة خُلوة جدهم أقام بها حين حضر من الغرب إلى مصر، وعادهم إذا تولى شيخ منهم المشيخة، لا بد أن يأتي في الصباح، ويدخل الخُلوة، فيجلس بها حصة لطيفة، فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخُلوة زاعمًا أنه خاتمة أوليائه، وأنه لم يأت مَنْ يصلُح للمشيخة سواه، وكأنه أخذ بذلك عهدًا وميثاقًا، و لم يعلم أن ربه لم يزل خلاقًا، وأن الولاية ليست

بفعل العبد، ولا بالسعي والقصد، قال تعالى في محكم آياته:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾ [الأنعام:١٢٤].

وقال: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، و ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] نسأله التوفيق والهداية والحفظ عن أسباب الغواية.

ولما كان ذلك، وأحبوا إجراء العادة القديمة، حضر المتولي، وصحبته أشياخ الوقت، والسيد محمد المحروق، وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين، وقد جعلوا على محل الخُلوة ساترًا بدل الحائط المهدوم، ودخل المتوفى خلفها.

وقرأ جماعة الحزب شيئًا من القرآن، ثم قام السيد البكري فتلقى الشيخ فخرج على الحاضرين متطيلسًا، وصافحهم، وركب بصحبتهم إلى القلعة، فخلع عليه كتخذا بيك خلعة سمور، وقاموا ونزلوا إلى زاويتهم بالقرافة وأمامهم جماعة الحزب، وشاوشية النقابة، فجلسوا حصة، وقرءوا أحزابهم، ثم ركب ورجع إلى المنـــزل، وجلس مع أخيه؛ لعمل المأتم، والقراءة الجمعية على العادة، وأرسل كتخذا بيك ساعيًا بخبر موته إلى الباشا بالفيوم؛ لأنه لما سافر إلى جهة قبلي ووصل إلى ناحية بني سويف ركب بغلة سريعة العدو، وركب خلفه خواصه باللهجن والبغال فوصلها في أربع ساعات، وانقطع أكثر المتوجهين معه، ومات منهم سبعة عشر هجينًا، ورجع الساعي بعد ثلاثة أيام بجواب الرسالة ومضمونها: عدم التعرض لورثة المُتوفى، حتى يقدم الباشا من غيبته، فبقي الأمر على السكوت أربعة عشر يومًا، وحضر الباشا ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر، فبمجرد وصوله إلى الجيزة، أرسل بالختم على منـــزلهم، فما يشعرون إلا وحسين كتخذا الكتخذا بيك، وبيت المال واصل إليهم ومعه آخرون، فختموا على المجالس التي بالحريم، ومجلس الجلوس الرجالي ختموا على خزائنه، وقبضوا على الكاتب القبطي المسمَّى عبد القدوس والفراش وحبسوهما، وعدى الباشا من ليلته إلى بر مصر، وطلعه إلى القلعة، فركب إليه في صبحتها المشايخ وصحبهم ابن أخي المتوفى، وهو الذي تولى المشيخة فخاطبوه.

وقالوا له كلامًا معناه: إن بيوت الأشياخ مكرمة، و لم تجر العادة بالختم على أماكنهم وخصوصًا أن هذا المتوفى كان عظيمًا في بابه، وأنتم أخبر به، وكان لكم به مزيد عناية

ومراعاة.

فقال: نعم إني لا أريد إهانة بيتهم، ولا أطمع في شيء مما يتعلق بمشيختهم ولا بوظائفهم القديمة، ولا يخفاكم أن المتوفى كان طماعًا وجمّاعًا للمال، وطالت مدته، وحاز التزامات وإقطاعات، وكان لا يحب قرابته، ولا يخصهم بشيء؛ بل كتب ما حازه لزوجته، وهي جارية ثمنها ألفا قرش أو أقل أو أكثر، ولم يكتب لأولاد أخيه شيئًا، فلا يصح أن أمةً تختص بذلك كله، والخزينة أولى به؛ لاحتياجات مصاريف العساكر، ومحاربة الخوارج، واستخلاص الحرمين، وخزينة السلطان، وأنا أرفع الختم رعاية لخواطركم، فدعوا له، وقاموا إلى مجلس الكتخدا، وخلع على الشيخ المتولي فروة سمور أخرى، وقلدَّ السيد محمد الدواخلي نقابة الأشراف، وخلع عليه فروة سمور عوضًا عن سيدي أحمد أبي الإقبال المتولي على خلافة السادات، فانفصل من النقابة، ونزلت الجاويشية، ولوازم النقابة مثل: باش جاويش والكاتب أمام الدواخلي وخلفه، وقلد السيد المحروقي نظارة المشهد الحسيني ،عوضًا عن المتوفى وكان فرغ بها لابن أخيه، فلم يُنفذ الباشا ذلك، وفي ثاني يوم حضر الأعوان إلى بيت السادات، وفكُّوا الختوم، وطلبوا سَقّاء الحريم، فأخذوه معهم، وأوجعوه بالضرب، وأحضروا البناء، وسألوهما عن محل الخبايا، ثم رجعوا إلى المنـــزل ففتحوا مخبأة مسدودة بالبناء، فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوة ووجدوا نحاسًا وقطنًا، وأواني صيني، فتركوا ذلك، وذهبوا وأبقوا بالدار عدة من العسكر، فباتوا بها، ثم رجعوا في ثالث يوم، وفتحوا مخبأة أخرى، فوجدوا بها أكياسًا مربوطة، فظنوا بداخلها المال ففتحوها، فوجدوا بها بن قهوة، وبغيرها صابون وشموع عسل، ولم يجدوا شيئًا من المال، فتركوا تلك الأشياء، ونزلوا إلى قاعة جلوسه، وفتحوا خِزانة، فوجدوا بها نقودًا فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسًا فأخذوها، ثم سعى السيد محمد المحروقي في مصالحة الباشا حتى قرر عليهم ألف كيس وخمسين كيسًا وخمسة أكياس براني لبيت المال، وخصموا منها الذي وجدوه بالخزانة، وطولبوا بالباقي، وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة، وتوعدوها بالتغريق في البحر، إن لم تظهر المال، وأمر الكاتب بحساب إيراده ومصرفه في كل سنة، وما صرفه في الأبنية، وينظر ما يتبقى بعد ذلك في مدة سنين ماضية، فلم يزل السيد محمد المحروقي يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور، والتزم هو بدفعه، وحُولت عليه الحوالات، وضبط الباشا حصص

الالتزام التي كتبت باسم الزوجة.

ومنها: قلقشندة بالقليوبية، وسواده، ودفرينه بالجهة القبلية وغير ذلك.

وبعد انقضاء عدة الزوجة استأذن السيد المحروقي الباشا في عقد نكاحها على ابن أخي المتوفى الذي هو السيد أحمد أبو الإقبال الذي تولى خلافة بيتهم فأذن بذلك، فحضر في الحال، وأجرى العقد بعد أن حكمت عليه بطلاق التي في عصمته، وهي جاريتها زوجته بها في حياة عمه، ورزق منها أولادًا، واستقر المشار إليه في المنـــزل خليفةً، وشيخًا على سجادتهم، ومحل سيادتهم، وسكن معه أخوه سيدي يحيى زادهما الله توفيقًا، وخيرًا، واتفاقًا، وأشرق نجم المتصدر على أفق السعادة إشراقًا، فهو أبو الإقبال المتحلي بالجمال والكمال.

فِـــي الْمَهْدِ يَنْطِقُ عَنْ سَعَادَةِ جَدِّهِ ... أَثَــــرُ الـــنَّجَابَةِ وَاضِـــحُ الْبُـــرْهَانِ
إِنَّ الْهِـــلالَ إِذَا رَأَيْـــتَ نُمُـــوَّهُ ... أَيْقَـــنْتَ أَنْ سَـــيَزِيدُ فِـــي اللَّمَعَـــانِ

***

فصل في ترجمة سيدي أبي الإمداد بن وفا

قال السيد مرتضى: هو السيد شهاب الدين أحمد أبو الإمداد، خلف ابن عمه في المشيخة والتكلم، وكان سيدًا وقورًا سَليم الصدر متجمعًا عن الناس، وكان قبل توليته السجادة قد ولي نقابة السادة الأشراف.

وتوفي في يوم الأربعاء ثاني المحرم سنة ١١٨٢هـــ.

وصُلي عليه بالأزهر، ودُفن قريبًا من جده في الحوطة.

فصل في الخبر عن الأستاذ السيد محمد أبي هادي

قال الجبرتي: هو الأستاذ المعظم ذو المناقب العلية، والسجايا المرضية بقية السلف السيد مجد الدين محمد أبو هادي بن وفا، ولد سنة ١١٥١هـــ.

ومات والده وهو طفل فنشأ يتيمًا، وخلف عمه في المشيخة والتكلم.

وأقبل على العلم والمطالعة، والأذكار، والأوراد، وولي نقابة الأشراف بمصر، فساس فيها أحسن سياسة، وجمع له بين طرفي الرياسة.

وكان أبيض وسيمًا ذا مهابة أمارًا بالمعروف فاعلاً للخير.

ولما تُوفِّي صُليَّ عليه بالأزهر في مشهد عظيم حضره الأكابر والأصاغر.

ودفن بزاويتهم بالقرب من عمه ﷺ، وتخلَّف بعده السيد شهاب الدين أحمد أبو الإمداد.

وقال السيد مرتضى: وقد تشرَّفتُ منه بلبس الخرقة الوفائية، وكنَّاني: أبا الجود، هو الخليفة السابع عشر.

فصل في ترجمة الأستاذ محمد أبي الإشراق بن وفا

قال الجبرتي: هو الأستاذ المبجل ذو المناقب الحميدة السيد: شمس الدين محمد أبو الإشراق بن وفا، وهو ابن أخي الشيخ عبد الخالق.

ولما تُوفِّي عمه في سنة إحدى وستين ومائة وألف هـ خلَّفه في المشيخة والتكلم.

وكان ذا أبهة ووقار كريم النفس بشوشًا.

تُوفِّي سادس جُمادى الأول سنة إحدى وسبعين ومائة وألف هـ.

وصُليَّ عليه بالأزهر، وحُمِل إلى الزاوية، فدفن عند عمه.

وقام بعده في الخلافة الأستاذ مجد الدين محمد أبو هادي بن وفا رضي الله عنهم أجمعين.

وقال صاحب مناهل الصفا: السيد شمس الدين محمد أبو الإشراق: هو الخليفة السادس عشر، وُلد في اليوم الذي تُوفِّي فيه أبوه وهو من الاتفاق العجيب.

فصل: في الأستاذ السيد جمال الدين يوسف أبي الإرشاد بن وفا:

قال الجبرتي: ومات الأستاذ المعظَّم، والملاذ المفخم صاحب النغمات والإشارات الشيخ يوسف بن عبد الوهاب أبو الإرشاد الوفائي، وهو الرابع عشر من خلفائهم، تولى

السجادة يوم وفاة والده في ثاني رجب سنة ثمان وتسعين وألفًا هـ.

وسار سيرًا حسنًا بكرم نفس وحشمة زائدة ومعروف وديانة إلى أن تُوفِّي في حادي عشر المحرم سنة ثلاث عشر ومائة وألف هـ، ودُفن بحوطة أسلافه رضي الله عنهم.

وقال صاحب مناهل الصفا ما فحواه: قد ترجمه معاصروه كالأتيادي.

فقال: كان من أهل الكشف والزهد في الدنيا، وكانت يده بالكرم مبسوطة وعليه ينطبق قول الشاعر:

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي وَرَدَتَهُ فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفَ وَالْجُود سَاحِلُهُ

وكان سيدًا كريم النفس، سليم الصدر عالي العزم، محتشمًا مُهابًا.

وهو أجلُّ أولاد أبيه وأقام في خلافته مدة اثنتين وعشرين سنة.

ودُفن بالزاوية الوفائية وأعقب من المذكور: أبا الإشراق، وأبا الإكرام، وإبراهيم، ومدينًا، وعليًا.

ومن الإناث: أم البقا، وأم الهنا، وأم الصفا، وقد أعقب أبو الإكرام هذا.

وقال السيد مرتضى الزبيدي: هو الفرد الجامع الذي ليس في ولايته ارتياب صاحب الحال، والقال، والكشف الصريح، والسر اللُباب، وقد لبس منه جماعة كثيرون منهم: محمد بن عبد الرحمن العباسي.

ومنهم: العلامة أبو حامد البديري قال: لبست الخرقة، وتلقيتُ الذكر عن سيدي يوسف أبي الإرشاد بثغر دمياط.

وقد أجازني بالتلقين، والإلباس، والكُنَى لِمَنْ شِئت، وهو قد ألبس الخرقة شيخنا محمد ابن سالم.

فصل في ترجمة الأستاذ السيد عبد الخالق بن وفا

قال الجبرتي: هو الأستاذ الكبير، والعَلم الشهير صاحب الكرامات الساطعة والأنوار المشرقة اللامعة: سيدي عبد الخالق بن وفا قطب زمانه، وفريد أوانه وكان على قدم أسلافه، وفيه فضائل جمة، وميل للشعر.

وامتدحه الشعراء وأجازهم الجوائز السنّية.

وكان يحب السماع.

وامتدحه بعض شعراء عصره بقوله:

دَعْ عَنْكَ حَاتِمَ طَيٍّ وَابْنَ زَائِدَةٍ وَاتْرُكْ حَدِيثَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْخُلَفَا
وَانْظُرْ بِعَيْنَيْكَ هَلْ أَبْصَرْتَ مِنْ رَجُلٍ فِي الْجُودِ يُشْبِهُ عَبْدَ الْخَالِقِ بنْ وَفَا

تُوفِّي رحمه الله في ثاني عشر ذي الحجة سنة ١١٦١هـ في عشر السبعين.

وتولى بعده في خلافتهم سيدي محمد أبو الإشراق بن وفا.

وأعقب المترجم أولادًا كلهم اندرجوا إلا ابنة هي: أم السيد أبي الإمداد الذي تولى نقابة الأشراف قبل خلافته على سجادته.

وقال السيد مرتضى: هو الخليفة الخامس عشر السيد شرف الدين عبد الخالق أبو الخير ابن وفا، خلف أخاه في المشيخة والسجادة.

وكان آدم اللون مهيبًا ذا حشمة ووقار، دانت له الأكابر من العلماء والأمراء، وتبرّكوا به.

وتلقى عنه الناس جيلاً فجيلاً، وعمرًا طويلاً، وغالب شيوخنا الذين أخذنا عنهم قد تلقوا عنه، ولبسوا منه.

وقال صاحب مناهل الصفا: وقرأ المترجم وتفقه على جماعة أعلام:

كالشمس محمد الزرقاني، والشيخ إبراهيم الصوفي وله الموشحات العجيبة، والأقوال الغريبة.

خلف أخاه أبا الإرشاد، ورُزق من الأولاد نحو الأربعين منهم:

أم المفاخر الشهيرة وكلهم انقرضوا في حياته إلا هي، وهو الخليفة الخامس عشر.

فصل في ترجمة السيد أبي الحسن بن وفا

قال صاحب مناهل الصفا: هو يتيمة الدهر، ونادرة الزمن صاحب الهبات الإلهية، والفتوحات الرحمانية.

ولد سنة ١٠٤٠هـ، وأكبَّ من حَداثته على القرآن والعلم، والذكر، والعبادة، ولازم

الشيخ الأجهوري ثمان سنين، يركب إليه كل يوم اثنين، ويوم خميس، بيته بالأزبكية، فقرأ عليه شرح القطر، والخلاصة، وشرح الكافي لملا جامي، والرسالة القيروانية، ومختصر الشيخ خليل، وطالع عليه الكرماني، وكان الأجهوري يعتني به ويحبه كثيرًا، وكان بعض حاضري مجلس الأجهوري يستبطئونه في المجيء للقراءة، فقال الزرقاني: فسألني الشيخ لِمَ لا يحضر صبيحة النهار؟ فقلت له: لأنه يتعبد بأوراد إلى طلوع الشمس وبعده بنحو عشرين درجة، فقال الشيخ: زاده الله علمًا وعملاً، فليداوم على هذه الحالة، ولو لم يجيء إلا الظهر، وكان هو وأخوه أبو التخصيص روحًا واحدة في جسدين، يضرب المثل باتفاقهما، وكان يعقد في بيته كل يوم خميس، درس علم ومباحثة، يحضر فيه أكابر العلماء: كالزرقاني، والبهوتي وغيرهما.

وقد حجَّ، وأقام بمكة قليلاً، ثم توجه إلى المدينة المنورة، فمرض بالحُمَّى في الطريق، فأقام بالمدينة ثلاثة وعشرين يومًا.

ثم تُوفِّي صُبح يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأول سنة ١٠٨٩هـ.

وكان مشهده عظيمًا مشى فيه شريف مكة.

ودُفن بالبقيع جوار سيدنا عثمان بن عفان ﷺ.

فصل في الخبر عن الأستاذ أبي التخصيص

قال السيد مرتضى: هو السيد زين الدين عبد الوهاب أبو التخصيص بن وفا.

ولد في ذي القعدة سنة ١٠٣٠هـ، كما وجد بخط والده وكان لوالده اعتناء به كثير، حجَّ معه، وكان يدعو له تجاه الكعبة، وتجاه القبر الشريف.

تفقه على أعلام: كالشهاب أحمد الدواخلي، والشمس محمد الشبراملسي، ومحمود البنوفري، والشيخ عبد المعطي الضرير وغيرهم، وأجاز له من المدينة الشيخ عبد الرحمن الخياري.

وكان إذا عقد درسًا حضره أكابر العلماء في منـزله: كالشيخ عبد الباقي الزرقاني، والشيخ محمد الخلوتي، والشيخ أحمد الغرقاوي.

وقد أخذ عليه كل من: الشمس محمد الشوبري، والحافظ البابلي، وإبراهيم الميموني، وسلطان المزاحي، والنور الشبراملسي.

وكانوا يعتقدون فيه ظاهرًا وباطنًا ويتبرَّكون بلثم يده الشريفة.

وفي سنة ١٠٨٢هـ، نزل لثغر دمياط؛ لزيارة الشهداء، فأقبلت عليه الناس يتلقون منه ويتبرَّكون، وممن لبس منه الخرقة محمد بن عبد الرحمن العباسي وغيره.

وأولاده: يوسف، وعبد الخالق، وعبد المنعم، وعبد الله، وأحمد، وبناته: فاضلة وأسماء، وزاهدة، ونعمة، وتحفة.

ونعيمة، الأخيرة أمها كريمة بنت زكريا جلبي الشهير.

وتُوفِّي السيد أبو التخصيص ثامن رجب سنة ١٠٩٨هـ.

قال في النفحة: وقال الشعر الرائق الذي هو على شعر أبناء عصره فائق خلف ابن عمه الشيخ أبا اللطف يحيى، فأبان الله به ما اندرس وأُحيا، وصار شيخ الوقت والطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، ودانت له رجال الدولة واعتقدوه وأحبوه.

وهو الخليفة الثالث عشر من آل وفا.

***

فصل في ترجمة السيد أبي اللطف بن وفا

قال السيد مرتضى: الخليفة الثاني عشر السيد شرف الدين يحيى أبو اللطف بن وفا، ووالده السيد أمين السيد أبو الإشراق.

خلف عمه في المشيخة والتكلم، وتفقه على النور على الأجهوري.

وحجَّ قبل توليته السجادة خمسًا وعشرين مرة، وجاور بالحرمين سنين عديدة.

وكان عالمًا جليلاً، آمرًا بالمعروف، قائلاً الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وانقياد الأكابر له كان من العجب، وكانوا يتبرَّكون به مع كمال تواضعه، وسكونه وأدبه.

تُوفِّي سنة سبع وستين وألف هـ، ودُفن بتربة سلفهم.

فصل في ترجمة السيد أبي الإكرام

قال السيد مرتضى: الخليفة الحادي عشر السيد زين الدين بن عبد الفتاح أبو الإكرام

ابن وفا، خلف عمه في المشيخة والتكلم، وقرأ العلم على النور على الأجهوري وغيره، وكان ذا رشد وصلاح، وأوراد، وأذكار، وأحوال، وكرامات، تُوفِّي في ١١ ذي الحجة سنة ١٠٥٤هـ بمصْر القديمة، وصُلِّيَ عليه بجامع عمرو ودُفن بتربة سلفه وأولاده عبد الرحمن أبو السادات، ومحمد أبو الفضل، وعبد الرزاق أبو العطا.

فصل في الخبر عن السيد أبي الإسعاد

قال صاحب مناهل الصفا: هو الذي يهابه؛ لفرط جلاله الليث، ويستنـزل ببركة وجوده الغيث أبو الإسعاد يوسف بن أبي العطا بن أبي المكارم.

ولد سنة ٩٩٤هـ ولازم العلم، واشتغل به، فقرأ على شيخ الحديث والفقه الحافظ أبي النجا سالم السنهوري، والشيخ موسى الدمشيتي، وأبي بكر الشنواني.

وحج سنة ١٠٥٠هـ وحجَّ معه جمع كثير من الفضلاء والعلماء: كالشهاب أحمد العجمي، واجتمع في مكة بالشيخ تاج الدين شيخ النقشبندية، وأخذ كل منهما عن الآخر، وقرأ بمنـزله الشريف صحيح مسلم بشروحه، ومتن الشمائل بشروحه، وقرأ سيرة ابن سيد الناس بحاشيتها نور النبراس، وتفسير الثعالبي، والبيضاوي، والشفا للقاضي عياض، وشرح الحكم العطائية، وحضر عليه من العلماء الشهاب أحمد الدواخلي، والشيخ محمد بن ياسين المنوفي، والمقرِّي صاحب كتاب نفح الطيب الشهير، والنور على الحلبي.

وله مؤلفات منها: شرح رسالة الشيخ أبي بكر بن سالم المسماة بنور الحديقة وديوان شعر جليل وغير ذلك.

وقد كان لا نظير له في زمانه علمًا وفضلاً وتقوى، أنفق عمره في الخيرات، وصنوف الطاعات ما بين درس علم، ووظيفة ذكر، وقضاء حاجة مسلم، وتصدق على فقير.

وقد ترجمه محيي الدين المليجي، والشيخ عبد الباقي الزرقاني.

وقال: إنه كان كثير الحج يحجُّ عامًا، ويقيم عامًا، وأنه زار القدس والخليل.

فصل في ترجمة السيد أبي الفضل بن وفا

قال السيد مرتضى الزبيدي: هو الخليفة العاشر السيد شمس الدين محمد أبو الفضل بن

وفا، خلف والده في المشيخة والتكلم، وكان على قدم عظيم في المراقبة والحلم، والأمر بالمعروف، وله كرامات ظاهرة.

توفي سنة ١٠٠٨هـ، ودُفن بتربة سلفهم.

وممن حضر تجهيزه قاضي القضاة بالديار المصرية يحيى بن زكريا، وكان كثير الاعتقاد والمحبة فيه وفي سلفه، وشاهد منه عدة كرامات رحمه الله تعالى.

وأما أخوه أبو العطا عبد الرزاق: فإنه تُوفي في حياة أخيه ١٠٠٥هـ.

وأولاده: السيد أمين الدين أبو الإشراق، والسيد يوسف أبو الإسعاد، والسيد عبد الفتاح أبو الإكرام، والسيد عيسى أبو الروح، وأختهم السيدة شامة.

وكان إمامًا مَحدثًا جليلاً ترجمه الشهاب أحمد بن العجمي في كتابه: «**عنوان السعادة الأبدية**» فأطال، وأورده أيضًا في كراسة جمعها في شيوخه، فأطنب في مدحه، وقال فيه: إنه روى الحديث عن أئمة أعلام منهم: الشيخ أبو النجا سالم بن محمد السنهوري وغيره، وكان يعقد درسًا في منـــزله، فيحضره أكابر العلماء، وقد رثاه الشهاب الخفاجي.

فصل في ترجمة السيد أبي الفضل الكبير

قال السيد مرتضى: هو الخليفة الثامن السيد محمد أبو الفضل الكبير.

قال الشعراني في الذيل: إنه ختام الدوائر، صحبته عشرين سنة، فرأيته على قدم عظيم في الطريق وله مكاشفات، وخوارق، وكرامات.

وقال ابن فهد: تُوفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الثاني سنة ٩٤٢هـ بالمشتهى حال جلوسه لوضوء الصبح، وصُليَّ عليه بجامع عمرو، ودُفن عند سلفه بالقرافة، وصُليّ عليه عندنا صلاة الغائب في أول شعبان عام تاريخ وفاته انتهى.

وكان رحمه الله يحب الخُلوة، والإنجماع عن الناس مع المجاهدة التامة والرياضة، ذا هيبة عند الخاص والعام، وكان متقللاً من الطعام جدًا، رحمه الله تعالى ونفعنا به، وقد لبس منه القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني وغيره من العارفين.

وقال صاحب مناهل الصفا: قد ألبس جماعة من العارفين.

وقال المناوي: قد أقبلت عليه الدنيا، فصار كأنه أعطي حرف كن، إذا قال لجبلٍ: كن ذهبًا صار.

وقال الشعراني: وكانت له مكاشفات غريبة لا تخطئ، وأخبر بيوم موته فلم يتعده.

فصل في الخبر عن الأستاذ أبي المكارم بن وفا

قال السيد مرتضى: هو الخليفة التاسع السيد برهان أبو المكارم بن وفا، ولد في حدود العشرين وتسعمائة من الهجرة، ومات والده أبو الفضل وعمره أزيد من عشرين سنة، فخلفه مع علو همة، وفضيلة تامة؛ لأنه حفظ القرآن الشريف، والرسالة لابن أبي زيد في الفقه، والورقات في الأصول، والمقدمة في النحو، فقرأ بحثًا ورواية على الشيخ أبي الحسن المالكي، وقرأ متـــن الورقات على السيد موسى الأرميوني بزاوية الحطّاب، وكتب له إجازة، ثم قرأ أيضًا مختصر الشيخ خليل علي الشيخ ناصر الدين اللقاني وأجازه.

قال ابن فهد: قدم مكة عام تسع وأربعين للحج، فظهر لي منه الصلاح والفضل.

قال أبو جابر: تُوفِّي سنة ست أو ثمان وتسعين وتسعمائة هـــ.

وقال الشعراني في الذيل: له التوجه التام، والكشف العام، وقد علمني أشياء كثيرة، أسأل الله أن يزيده من فضله، ويحشرني في جملة خدمه.

فصل في ترجمة السيد أبي الفضل المجذوب

قال السيد مرتضى: هو الخليفة السادس السيد محب الدين محمد أبو الفضل بن وفا الشهير بالمجذوب، خلف والده في التكلم والمشيخة، وكان شديد الذكاء، متين الذوق، تبحَّر في العلوم، وحج وعرض له جذب، وربما طلع إلى السلطان وشافهه بما حسن اعتقاده فيه من أجله، قال السخاوي: سمعت أنه في أوائل هذا العارض تحول شافعيًا، وتُوفِّي ليلة رابع عشر جُمادى الأول سنة ٨٨٨هـــ عن نحو خمس وثلاثين عامًا، وكان لما تولى السجادة عمره إذ ذاك خمس عشرة سنة.

أولاده أربعة: إبراهيم وأحمد، وزينب، وفاطمة، رحمه الله تعالى.

فصل في ترجمة السيد إبراهيم أبو المكارم

قال السيد مرتضى: هو الخليفة السابع السيد برهان الدين إبراهيم أبو المكارم بن وفا، ولد في حدود السبعين وثمانمائة من الهجرة، ونشأ في كَنف أبيه، فحفظ القرآن، والمختصر، وألفية ابن مالك وغيرها، وحضر على جماعة منهم: الحافظ السخاوي وغيره، وكان قد تزوج ابنة محيي الدين عبد القادر بن تقي، واستقر في المشيخة بعد أبيه، وعمل الميعاد وحج، وتُوفِّي سنة ٩٠٨هـ، وأولاده: محمد، وأبو الفتح عبد الرحمن، وضُحى، وزينب.

فصل في ترجمة سيدي عبد الرحمن الشهيد

هو السيد عبد الرحمن الشهير بالشهيد، ترجمه كثيرون: كالسخاوي في الضوء اللامع، وابن حجر في معجمه.

فقال: وُلد قبل السبعين والسبعمائة هـ، ونشأ على طريقة أبيه وعمه، وحضر مجلس السراج البلقيني، ونبغ في النَّظْم، فرثى أباه وعمه وعمل المقاطيع الجياد، وكان حَسَن الأخلاق، غزير العلم، كثير المعاشرة، اجتمعت به، وسمعت من فوائده.

وقال غيره: كان من محاسن الدهر ذكاءً، ولطفًا، وسخاءً، وعلمًا، وفضلاً، وقد غرق نهار عاشوراء سنة ثلاثة عشر وثمانمائة هـ، كما حرره المقريزي في عقوده.

فصل في الخبر عن سيدي أبي المراحم

هو السيد شمس الدين محمد أبو المراحم بن وفا، جلس على سجادة الخلافة بعد عمه يحيى، وتُوفِّي في جُمادى الأول من سنة ٨٦٧ هـ في الروضة بين البحرين وحُمل إلى القرافة، ودُفن بزاويتهم، وهو الخليفة الخامس.

فصل في ترجمة سيدي أبي السادات

هو السيد أبو السادات يحيى بن وفا، ولد سنة ٧٩٨ هـ، وجلس بعد موت أخيه مكانه، وتكلم على الناس، فرزق القبول، وله نَظْم رائق.

أخذ عنه الإمام أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني.

وتُوفِّي السيد أبو السادات يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر من سنة ٨٥٧هـ.

ودُفن بتربتهم بجانب أخيه.

وكان لهما من الإخوة: السيد أبو المكارم إبراهيم، والسيد أبو الجود حسن، والسيد أبو الفضل عبد الرحمن، وهو المعروف بالشهيد.

فصل في ترجمة سيدي محمد أبي الفتح

هو ثالث الخلفاء، وخلاصة أهل الاصطفاء، ولد تقريبًا سنة ٧٩٠ هـ، وأخذ عن العز بن جماعة، والشمس البساطي، والبرماوي، وسمع مجلس الختم من البخاري على ناصر الدين بن الفاقوسي في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة هـ.

وحضر مجلسه الأكابر من الشيوخ؛ بل وممن حضر مجلسه الظاهر جقمق قبل سلطنته، وأنفق من بحر علمه الواسع، وقال الشعر الحسن، وتكلم في الميعاد بعد أبيه وعمه.

وله ديوان شعر.

تُوفِّي بالروضة في يوم الإثنين مستهل شعبان.

وقيل: رابعه سنة ٨٥٢ هـ، فصُلي عليه بجامع عمرو.

ودُفن بتربة جده، وقد زاد على الستين، وكانت جنازته مشهودة، ومدحه النواجي الأديب المشهور بمقامة بديعة.

فصل في ترجمة سيدي أحمد بن وفا

قال العلاء بن القصاص: كان سيدي أحمد عارفًا جليلاً، وسيدًا نبيلاً.

شُهِدت منه أحوال عجيبة، وكان أخوه سيدي علي وفا يقول عنه: هذا خِزانة العلم، وأنا أنفق منها، وكانت وفاته سنة أربع عشرة وثمانمائة هـ.

فصل في الخبر عن الأستاذ الكبير والعلم الشهير سيدي علي وفا

هو القطب ذو الكرامات، والأحوال، والمقامات وُلد سنة ٧٥٩ هـ بالقاهرة.

ولما مات والده سيدي محمد وفا كان المترجم صغيرًا، فنشأ مع أخيه في كفالة وصيهما الشمس محمد الزيلعي، فأدبهما وفقههما، وجلس المترجم مكان أبيه وعمره سبع عشرة

سنة، فعمل الميعاد، وشاع ذِكره في البلاد، وكثرت أتباعه ومريدوه، وكان أكثر إقامته بالروضة قريب المشتهى.

وله أحزاب، وأوراد وتوجهات، وتصانيف كثيرة، وديوان شعر، وفصول ومواعظ.

تُوفِّي بمنـــزله في الروضة يوم الثلاثاء اثنين ذي الحجة سنة ٨٠٧ هـــ.

وله من الذكور: أبو العباس أحمد، وأبو الطيب محمد، وأبو الطاهر محمد، وأبو القاسم محمد.

ومن الإناث: الشريفة حسنة، ورحمة، وضحى.

قال الشعراني: كان سيدي علي وفا في غاية الفضل، والكمال، والظُرف والجمال، لم يُرَ في مصر أكمل منه ولا أجمل وجهًا ولا ثيابًا، وله نَظْمٌ شائعٌ وموشحات رقيقة نسج فيها أسرار أهل الطريق، وأعطى لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجمع، وقليل من الأولياء منْ أعطى ذلك، وله من التصانيف:

- «الباعث على الخلاص في أحوال الخواص».
- «الكوثر المترع من الأبحر الأربع».

قال المقريزي: إنه كان مهيبًا معظمًا تعددت أتباعه وأصحابه، ودانوا بحبه، وبالغوا في ذلك مبالغة زائدة، هذا مع تحجبه وتحجب أخيه التحجب الكثير إلا عند عمل الميعاد أو الخروج لقبر أبيهما، و لم أرَ قطْ على جنازة من الخفر ما رأيت على جنازته وأصحابه أمامه يذكرون الله بطريقة تلين لها قلوب الجفاة.

فصل في الخبر عن الأستاذ العظيم والقطب الكبير سيدي محمد وفا

ولد في الإسكندرية سنة ٧٠٢ هـــ ونشأ بها.

وسلك طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي على يد الإمام المسلك داود بن باخلا، ثم توجه إلى أخميم فتزوج بها، وأنشأ بها زاوية كبيرة، ووفدت عليه الناس أفواجًا فُرادى وأزواجًا، ثم سار إلى مصر، وأقام بالروضة مبتهلاً بالعبادة مشتغلاً بذكر الله، وطار صيته

في الآفاق، واخترق ذكره مشارق الأرض ومغاربها أي اختراق، ثم سكن القاهرة.

وتُوفِّي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الأول سنة ٧٦٥ هـ.

ودفن بالقرافة بين ضريح الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر، والشيخ تاج الدين أحمد ابن عطاء الله بإشارة منه.

إذ قال: ادفنوني بين سعد وعطاء.

وكان ﷺ بارعًا في الأدب منفردًا بالتصوف، له مصنفات جليلة، وديوان شعر موجود في أيدي الناس، ولم يتسم بالسادات غير ذريته.

وذكر ابن فهد سبب تلقيبه بوفا: إنه مدة إقامته بالروضة توقف النيل سنة، فأمر السلطان خاصة أهل البلد من العلماء والصلحاء بالتوجه إلى المقياس، والدعاء به إلى الله تعالى في وفائه، فذهبوا إليه فلم يعلُ النيل، فاضطرب الناس، وأُخبر السلطان عن سيدي محمد وفا والجماعة عن الناس، وصلاحه وتقواه، فأرسل له أن يتوجه إلى المقياس، ويدعو الله به، ففعل ولم يلبث أن صعد الماء، وظهر الوفاء، وصار الناس يقولون: وفا وفا، وخُوطب حينئذٍ بذلك، وصار عَلَمًا عليه، وقال الشعراني في طبقاته: كان سيدي محمد وفا من أكابر العارفين، وهو خاتم الأولياء صاحب الرتبة العلية، وله لسان غريب في علوم القوم، ومن كتبه: كتاب العروش، وكتاب الشعائر، وفي كلامه رموز لم يفك أحد معناها[1].

فصل في ترجمة سيدي محمد الأوسط

هو ابن السيد محمد النجم، تُوفِّي شابًا عن ولده سيدي محمد وفا المشهور، وكان من أصحاب العلم، والفضل، والولاية.

فصل في ترجمة سيدي محمد النجم

---

(١) **قلت**: وقد منَّ الله علينا بتحقيق هذين الكتابين العظيمين، وحضرنا وسمعنا من أفاض الله عليه بفك رموز كتب سيدي علي وسيدي محمد وفا رضي الله عن السادات الوفائية أجمعين، وقدس الله سر شيخنا وروحه وأضاء له مرقده وضريحه.

كان ﷺ من أصحاب الأحوال الباهرة، والكرامات الظاهرة، ترجمه غير واحد من الأعيان، ويروى اجتماعه بالقطب إبراهيم بن أبي المجحد الدسوقي، وهو أول وافد منهم من المغرب إلى ثغر الإسكندرية وإليه نُسبت الزاوية النجمية بها.

فصل في ترجمة إدريس بن إدريس بن عبد الله، جد السادات الوفائية

وُلد رحمه الله في يوم الاثنين ٣ رجب سنة سبع وسبعين ومائة هـ، فكفله راشد مولى أبيه، وقام بأمره أحسن قيام، فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين، ثم علمه الحديث، والسُّنة، والفقه في الدين والعربية، ورواه الشعر، وأمثالَ العرب وحكمها، وأطلعه على سير الملوك، وعرَّفه أيام الناس، ودربه على ركوب الخيل، والرمي بالسهام وغير ذلك من مكائد الحرب، فلم يمض له من العمر مقدار إحدى عشرة سنة إلا وقد اضطلع بما حمل وترشح للأمر، واستحق لأن يبايع فبايعه البربر، وأتوه صفقتهم عن طاعة منهم وإخلاص.

قال ابن خلدون: بايع البربر إدريس الأصغر حملاً ثم رضيعًا ثم فصيلاً إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينة وليلى سنة ثمان وثمانين ومائة هـ وهو ابن إحدى عشرة سنة.

وكان إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية قد دس إلى بعض البربر الأموال واستمالهم حتى قتلوا راشداً مولاه سنة ست وثمانين ومائة هـ، وحملوا إليه رأسه وقام بكفالة إدريس من بعده أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي، ولم يزل على ذلك إلى أن بايعوا لإدريس، فقاموا بأمره، وجددوا لأنفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته، وفي القرطاس: أن مقتل راشد كان في السنة التي بويع فيها إدريس.

قال: وكانت بيعة إدريس يوم الجمعة غُرَّة ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائة هـ بعد مقتل راشد بعشرين يومًا، وإدريس يومئذ ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر.

وقال إبراهيم بن الأغلب في بعض ما كتب به إلى الرشيد يعرفه بنصحه وكمال خدمته.

أَلَمْ تَرَنِي بِالْكَيْدِ أَرْدَيْتُ رَاشِداً ... وَإِنِّـي بِأُخْرَى لاِبْنِ إِدْرِيس رَاصِدُ

ثَــنَاوَلَهُ عَزْمِي عَلَى بُعْدِ دَارِهِ بِمَخْــتُومةٍ يَحْظَــى بِهَا مَنْ يُكَايِدُ

فَفَــاهُ أَخُو عَكٍّ بِمَقْتَلِ رَاشِدٍ وَقَدْ كُنْتُ فِيهِ شَاهِدًا وَهُوَ رَاقِدُ

يريد بأخي عك محمد بن مقاتل العكي والي إفريقية، فإنه لما حاول ابن الأغلب قتل راشد وتم له ذلك، كتب العكي إلى الرشيد يعلمه أنه هو الذي فعل ذلك، فكتب صاحب البريد إلى الرشيد بحقيقة الأمر، وأن ابن الأغلب هو الفاعل لذلك والمتولي له، فثبت عند الرشيد كذب العكي، وصدق ابن الأغلب، فعزل الرشيد العكي عن إفريقية، وولى ابن الأغلب عليها، وإنما كان قبل ذلك عاملاً للعكي على بعض كورها، هكذا حكى صاحب القرطاس.

وقال البرنسي: إن راشدًا لم يمت حتى أخذ البيعة لإدريس بالمغرب، وإن إدريس لما تم له من العمر إحدى عشرة سنة ظهر من وفور عقله، ونباهته، وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة، فأخذ له راشد البيعة على البربر يوم الجمعة سابع ربيع الأول من السنة المذكورة، فصعد إدريس المنبر وخطب الناس فقال:

الحمد لله أحمده، وأستغفره، وأستعين به، وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي، ومن شر كل ذي شر، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى الثقلين بشيرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا، أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر وللمسيء الوزر، ونحن والحمد لله على قصد، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا، ثم دعا الناس إلى بيعته، وحضهم على التمسك بطاعته، فعجب الناس من فصاحته، وقوة جأشه على صغر سنه، ثم نزل فتسارع الناس إلى بيعته، وازدحموا عليه يُقبِّلون يده، فبايعه كافة قبائل المغرب من زنانة، وصنهاجة، وغمار، وسائر قبائل البربر فتمت له البيعة، وبعد بيعته بقليل تُوفِّي مولاه راشد، ولما استقام أمر المغرب لإدريس بن إدريس، وتوطد ملكه، وعظم سلطانه، وكثرت جيوشه وأتباعه، وفدت عليه الوفود من البُلدان، وقصد الناس حضرته من كل

صقعٍ ومكانٍ، فاستمر بقية سنة ثمان وثمانين يصل الوفود، ويبذل الأموال، ويستميل الرؤساء، ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة هـــ وفدت عليه وفود العرب من إفريقية، والأندلس نازعين إليه، وملتفين عليه، فاجتمع لديه منهم جمعٌ من قيس، والأزد، ومذحج، ويحصب، والصدف وغيرهم، فسرَّ إدريس بوفادهم وأجزل صلتهم، وأدنى منـــزلتهم، وجعلهم بطانة دون البربر، فاعتز بهم، وأنس بقربهم، فإنه كان غريبًا بين البربر، فاستوزر منهم عُمير بن مصعب الأزدي، وكان عُمير من فرسان العرب وسادها، ولأبيه مصعب مآثر بإفريقية، والأندلس، ومواقف في غزو الفرنج، واستقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي.

وكان من أهل الورع، والفقه. والدين، سمع من مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وروى عنهما كثيرًا.

وكان قد خرج إلى الأندلس برسم الجهاد، ثم أجاز إلى العدوة فوفد بها على إدريس بمن وفد عليه من العرب فاستقضاه، واستكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي، و لم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثر الناس لديه وضاقت بهم مدينة وليلى، انتهى إلى ابن الأغلب ما عليه أمر إدريس من الاستفحال فأرهف عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على إدريس، فكان منهم بهلول بن عبد الواحد المضغري من خاصة إدريس، ومن أركان دولته، فكاتبه ابن الأغلب واستهواه بالمال حتى بايع الرشيد، وانحرف عن إدريس، واعتزله في قومه، فصالحه إدريس، وكتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله ﷺ فكف عنه، وكان فيما كتب به إدريس إلى بهلول المذكور قوله:

لِــبَهْلُولٍ قَدْ حَمَّلْتَ نَفْسَكَ خُطَّةً تَــبَدَّلْتَ مِــنْهَا ضَلَّةً بِرَشَادِ
أَضَــلَّكَ إِبْــرَاهِيمُ مَعَ بُعْدِ دَارِهِ فَأَصْــبَحْتَ مُنْقَادًا بِغَيْرِ قِيَادِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِمَكْرِ ابْنِ أَغْلَبَ وَقَدْ مَا رَمَى بِالْكَيْدِ كُلَّ بِلَادِ
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِيــ ــا وَمَنَّاكَ إِبْرَاهِيمُ شَوْكُ قَتَادِ

ثم أحسَّ إدريس من إسحاق بن محمد بانحراف عنه، وموالاة لابن الأغلب، فقتله سنة اثنتين وتسعين ومائة هـــ، وصفا له المغرب، وتمكن سلطانه به.

ولما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على إدريس، وضاقت بهم مدينة وليلى، أراد أن يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته، ووجوه دولته، فركب يومًا في جماعة من حاشيته، وخرج يتخير البِقاع، فوصل إلى جبلٍ زالغٍ فأعجبه ارتفاعه، وطيب هوائه وتربته، فاختط مدينة مما يلي الجوف، وشرع في بنائها فبنى بعضًا من الدور ونحو الثلث من السور، فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي، فهدم السور والدور، وحمل ما حول ذلك من الخيام والزروع وألقاها في نهر سبوا، فكف إدريس عن البناء، واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة، ثم خرج ثانية يتصيد، ويرتاد لنفسه موضعًا يبني فيه ما قد عزم عليه فانتهى إلى نهر سبوا حيث هي حمة خولان، فأعجبه الموضع؛ لقربه من الماء؛ ولأجل الحمة التي هناك و(الحمة) كما في القاموس: كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى به، فعزم إدريس على أن يبني هناك مدينة، وشرع في حفر الأساس، وعمل الجيار، وقطع الخشب.

وابتدأ بالبناء ثم فكر في نهر سبوا، وما يأتي به من المدود، والسيول زمان الشتاء، وما يحصل بذلك من الضرر العظيم للناس، فكف عن البناء، ورجع إلى وليلى، ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعًا يبني فيه المدينة التي عزم عليها، فسار عمير في جماعة يقص الجهات، ويتخير البقاع، والترب، والمياه حتى انتهى إلى فحص سايس فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد في مرج أخضر فتوضأ، وصلى الظهر هو وجماعة القوم الذين معه، ثم دعا الله تعالى أن ييسر عليه مطلبه، ثم ركب وحده، وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود إليهم، فنُسبت العين إليه من يومئذٍ، ودعيت عين عمير إلى الآن، وعمير هذا هو جد بني الملجوم من بيوتات فاس وكبرائهم، فأوغل عمير في فحص سايس حتى انتهى إلى العيون التي ينبغ منها وادي فاس، فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف على الستين عنصراً ورأى مياهها تطرد في فسيح من الأرض، وحول العيون شجر الطرفاء والعرعار والكلخ وغير ذلك، فشرب من الماء فاستطابه ونظر إلى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبوا فأعجبته فانحدر مع مسيل الوادي حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم، فنظر فإذا بين الجبلين غيضة ملتفة الأشجار مطردة العيون والأنهار، وفي جانب منها خيام من شعر يسكنها قوم من زواغة يعرفون ببني الخير، وقوم من زناتة يعرفون ببني يرغش، وكان بنو يرغش على دين المجوسية وكان بيت نارهم بالموضع المعروف بشيبوبة، وكان البعض منهم على دين اليهودية والبعض على دين النصرانية، وكان بنو الخير ينزلون بعدوة

القرويين وبنو يرغش ينزلون بعدوة الأندلس، وكانوا قلما يفترون عن القتال لاختلاف أهوائهم وتباين أديالهم، فرجع عمير إلى إدريس وأعلمه بما رأى من الغيضة وساكنيها وما وقع عليه اختياره فيها فجاء إدريس لينظر إلى البقعة فألفى بني الخير وبني يرغش يقتتلون فأصلح بينهم وأسلموا على يده واشترى منهم الغيضة بستة آلاف درهم فرضوا بذلك ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك على يد كاتبه أبي الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ثم ضرب أبنيته بكرواوة وشرع في بناء المدينة، فاختط عدوة الأندلس غرة ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائة وفي سنة ثلاث بعدها اختط عدوة القرويين وبنى مساكنه بها وانتقل إليها، وقد كان أولاً أدار السور على عدوة الأندلس وبنى بها الجامع المعروف بجامع الأشياخ وأقام فيه الخطبة، ثم انتقل ثانياً إلى عدوة القرويين كما قلنا، ونزل بالموضع المعروف بالقرمدة، وضرب فيها قيطونه وأخذ في بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضاً ثم شرع في بناء داره المعروفة بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده، ثم بنى القيسارية إلى جانب المسجد الجامع وأدار الأسواق حوله وأمر الناس بالبناء وقال لهم: من بنى موضعاً أو اغترسه قبل تمام السور فهو له، فبنى الناس من ذلك شيئاً كثيراً واغترسوا ووفد عليه جماعة من الفرس من أرض العراق فأنزلهم بغيضة هناك كانت على العين المعروفة بعين علون وكان علون عبداً أسوداً يأوي إلى تلك الغيضة ويقطع الطريق بها على المارة فتحامى الناس غيضته وتنازروها فأعلم إدريس بأمره فبعث في طلبه خيلاً قبضوا عليه وجاءوا به إليه فأمر بقتله وصلبه على شجره كانت على العين فأضيفت إلى العين من يومئذ، وقيل عين علون، ثم أدار إدريس السرر على عدوة القرويين، وكانت من لدن باب السلسلة إلى غدير الجوزاء.

قال عبد الملك الوراق: كانت مدينة فاس في القديم بلدين لكل بلد منهما سور يحيط به وأبواب تختص به والنهر فاصل بينهما، وسميت إحدى العدوتين:

(عدوة القرويين): لنـــزول العرب الوافدين من القيروان بها، وكانوا ثلاثمائة أهل بيت.

وسميت الأخرى: (عدوة الأندلس): لنـــزول العرب الوافدين من الأندلس وكانوا جمًا غفيرًا يقال: أربعة آلاف أهل بيت، وكان الحكم بن هشام الأُموي صاحب الأندلس

صدرت منه لأول إمارته هنات أوجبت قيام جماعة من أهل الورع عليه، وكان فيهم يحيى ابن يحيى الليثي صاحب مالك وراوي الموطأ عنه، وطالوت الفقيه وغيرهما، فخلعوا الحكم، وبايعوا بعض قرابته، وكانوا بالربض الغربي من قرطبة، فقاتلهم الحكم وكثروه، وكادوا يأتون عليه، ثم أظفره الله بهم، ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام، وهدم دورهم ومساجدهم، وفر الباقون منهم، فلحقوا بفاس المغرب الأقصى وبالإسكندرية من أرض مِصْر، فأما اللاحقون بفاس فأنزلهم إدريس رحمه الله بعدوة الأندلس وأضيفت إليهم، وأما اللاحقون بالإسكندرية فثاروا بها بعد حين، فزحف إليهم عبد الله بن طاهر الخزاعي صاحب مصر من قِبل المأمون بن الرشيد، فقاتلهم ونفاهم إلى جزيرة اقريطش، فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الفرنج من أيديهم بعد مدة، وذكر ابن غالب في تاريخه: أن الإمام إدريس لما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الأولى صعد المنبر، وخطب الناس، ثم رفع يديه في آخر الخطبة فقال: اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة، ولا مفاخرة، ولا رياء، ولا سمعة ولا مكاثرة، وإنما أردت أن تُعْبَدَ بها، ويُتْلَى بها كتابك، وتُقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد ﷺ ما بقيت الدنيا، اللهمَّ وفق سكانها وقطانها للخير، وأعنهم عليه واكفهم مؤونة أعدائهم، وادرر عليهم الأرزاق، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شيء قدير، فأمَّن الناس على دعائه، فكثرت الخيرات بالمدينة، وظهرت بها البركات.

ومن محاسن (فلس): إن نهرها يشقها نصفين، وتشعب جداوله في دورها، وحماماتها وشوارعها، وأسواقها، وتطحن به أرحاؤها، ثم يخرج منها، وقد حمل أقذارها، إلى غير ذلك من عيون الماء التي تنبع بداخلها، وتتفجر من بيوتها.

وقد مدحها الفقيه الزاهد أبو الفضل بن النحوي بقوله:

يَا فَاسُ مِنْكِ جَمِيعُ الْحُسْنِ مُسْتَرَقُ ... وَسَاكِنُوكِ لِيُهنِيهُمْ بِمَا رُزِقُوا

هَـذَا نَسِيمُكِ أَمْ رُوحٌ لِرَاحَتِنَا ... وَمَاؤكِ السَّلْسَلُ الصَّافِي أَمْ الْوَرَقُ

أَرْضٌ تَخَلَّلَهَا الأَنْهَارُ دَاخِلَهَا ... حَتَّى الْمَجَالِسُ وَالأَسْوَاقُ وَالطُّرُقُ

وقال الفقيه الكاتب ابن عبد الله المفيلي[1] يتشوق إلى فاس، وكان يلي خطة القضاء

(١) هكذا في الأصل، ونسبه المقري في نفح الطيب (١٢٨/٧) إلى بعض العلماء، وقال: أظنه المزدغي.

بمدينة آزمور:

يَـــا فَاسُ حَيَّا اللهُ أَرْضَكِ مِنْ ثَرَى وَسَــقَاكِ مِــنْ صَوْبِ الْغَمَامِ الْمُسْبَلِ
يَـــا جَــنَّةَ الدُّنْيَا الَّتِي أَرْبَتْ عَلَى حِمْــصٍ بِمَنْظَــرِهَا الْبَهِــيِّ الأَجْمَلِ
غُـــرَفٌ عَلَى غُرَفٍ وَيَجْرِي تَحْتَهَا مَــاءٌ أَلَــذُّ مِــنَ الــرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
وَبَــسَاتِنٌ مِنْ سُنْدُسٍ قَدْ زُخْرِفَتْ بِجَــدَاوِلٍ كَــالأَيْمِ أَوْ كَالْمُفَــصَّلِ
وَاجْلِــسْ إِزَاءَ الْخَــصَّةِ الْحُسْنَا بِهِ وَاكْــرَعْ بِهَــا أَغْنِــي فِدَيْتَكَ وَانْهَلِ

فلما فرغ إدريس من بناء مدينة فاس، وانتقل إليها بمحلته، واستوطنها بحاشيته، وأرباب دولته اتخذها دار ملكه أقام بها إلى سنة سبع وتسعين ومائة هـ، فخرج غازيًا بلاد المصامدة فانتهى إليها، واستولى عليها، ودخل مدينة نفيس، ومدينة أغمات، وفتح سائر بلاد المصامدة، وعاد إلى فاس فأقام بها إلى سنة تسع وتسعين ومائة هـ، فخرج في المحرم برسم غزو قبائل من أهل المغرب الأوسط ومَنْ بقي هناك على دين الخارجية من البربر، فسار حتى غلب عليهم، ودخل مدينة تلمسان فنظر في أحوالها، وأصلح سورها وجامعها وصنع فيها منبرًا.

قال أبو مروان عبد الملك الوراق: دخلت مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة هـ، فرأيت في رأس منبرها لوحًا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هناك مكتوبًا فيه: **(هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم).**

وأقام إدريس بمدينة تلمسان وأجوازها يدبر أمرها، ويصلح أحوالها ثلاث سنين، ثم رجع إلى مدينة فاس.

قال داود بن القاسم: شهدت مع إدريس بن إدريس بعض غزواته مع الخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا، فلما تقارب الجمعان نزل إدريس فتوضأ وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال، قال: فقاتلناهم قتالاً شديدًا فكان إدريس يضرب في هذا الجانب مرة، ويكر في هذا الجانب الآخر مرة، ولم يزل كذلك حتى ارتفع النهار، ثم رجع إلى رايته، فوقف بإزائها والناس يقاتلون بين يديه، فطفقت أتأمله وأديم النظر إليه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم، فأعجبني

ما رأيت من ثباته، وقوة جأشه فالتفت نحوي وقال: داود، ما لي أراك تديم النظر إليّ؟ قلت: أيها الإمام، إنه قد أعجبني منك خصالاً لم أرها اليوم من غيرك، قال: وما هي؟ قلت: أولاها ما أراه من ثبات قلبك، وطلاقة وجهك عند لقاء العدو، قال: ذاك ببركة جدنا ﷺ ودعائه لنا وصلاته علينا، ووراثته من أبينا علي بن أبي طالب، قلت: وأراك تبصق بصاقًا مجتمعًا وأنا أطلب قليل الريق في فمي فلا أجده، قال: يا داود ذاك لقوة جأشي، واجتماع لبـــي عند الحرب، وعدم ريقك؛ لطيش عقلك، وافتراق لبك، قلت: وأنا أيضًا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك عليه! قال: ذاك مني زمع إلى القتال وصرامة فيه، فلا تظنه رعبًا، وأنشأ يقول:

أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَه وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطِّعَانِ وَبالضَّرْبِ

قال ابن خلدون: انتظمت لإدريس بن إدريس كلمة البربر، وزناتة ومحى دعوة الخوارج، واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لَدُن السوس الأقصى إلى وادي شلف، ودافع إبراهيم بن الأغلب عن حماه بعدما ضايقه بالمكائد واستفساد الأولياء حتى قتلوا راشدًا مولاه، وعجز الأغالبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الأدارسة، ودافعوا خلفاء بني العباس بالمعاذير الباطلة، وصفا ملك المغرب لإدريس.

واستمر بدار ملكه من فاس ساكنًا وادعًا معتقدًا أريكته، مجتنيًا ثمرته إلى أن توفاه الله ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين هـــ وعمره نحو ست وثلاثين سنة.

ودُفن بمسجده بإزاء الحائط الشرقي منه، وقال البرنسي: إنه تُوفِّي بمدينة وليلى.

ودُفن إلى جنب أبيه، وكان سبب وفاته أنه أكل عنبًا شرق بحبة منه فمات لحينه، وخلف كثيرًا من الولد منهم: محمد عبد الله، وعيسى وإدريس، وأحمد، وجعفر، ويحيى، والقاسم، وعمر، وعلي، وداود، وحمزة، كذا في القرطاس، وزاد ابن حزم: الحسن والحسين، وولي الأمر منهم بعده محمد وهو أكبرهم.

فصل في ترجمة إدريس الأكبر

هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة بإفريقية خرج من بلاد العرب، وأتى مدينة وليلى فبويع فيها في رمضان سنة ١٧٢ هـــ

وكان من أمره وسبب رحيله إلى مصر؛ أنه كان قد قام هو وأخوه له خمسة تحت إمرة أخيهم محمد، وثاروا بالحجاز في أيام المنصور فغلبوا، ثم عادوا بعد وفاة المنصور، وطلبوا الخلافة فنجحوا قليلاً لكن قتل محمد سنة ١٢٩هـ للهجرة، ففر إدريس مختفيًا إلى مِصْر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع، فعلم شأن إدريس، وأتاه إلى الموضع الذي كان به مستخفيًا ولم ير شيئًا أخلص من أن يجعله على البريد إلى المغرب ففعل، ولحق إدريس بالمغرب الأقصى هو ومولاه راشد، ونزل أولاً طنجة، وقصد إظهار دعوته فلم يتم له الأمر فأتى وليلى، ونزل على أمير أروبة وهو يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد، وكانت أروبة من أقوى أمم البربر إذ ذاك، وذلك سنة ١٧٢ هـ، فأجاره الأمير المذكور، وجمع البربر على القيام بدعوته، وكشف القناع في ذلك فاجتمعت إليه زناتة، وزواغة، وزواوة، ولماية، ولوتة، وغياثة، ونفزة، ومكناسة، وغمارة، وسائر البربر بالمغرب، فبايعوه وقاموا بأمره، وخطب الناس يوم بويع فقال بعد الحمد:

لا تمدن الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه عندنا من الحق لا تجدونه عند غيرنا، ولحق به من إخوته سليمان ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها، ولما استوثق الأمر لإدريس وتمت دعوته، زحف إلى البربر الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية، واليهودية والنصرانية مثل: قندلاوة، ومديونة، وفتح تامسنا. وشالة، وتاولا، وكان أكثرهم على دين اليهودية والنصرانية، فأسلموا على يديه طوعًا، وهدم معاقلهم وحصونهم، ثم زحف إلى تلمسان وبها من قبائل بني يعرب، ومغراوة سنة ١٧٣ هـ، ولقيه أميرها محمد بن حرز ابن حزلان فأعطاه الطاعة، وبذل له إدريس الأمان، ولسائر أبنائه، فأمكنه من قياد البلد وبنى مسجدها، وأمر بعمل منبره، وكتب اسمه فيه، ورجع إلى مدينة وليلى، وكان قد ألقى الرعب في قلب هارون الرشيد في بغداد فخاف عاقبة أمره، وزوال ملكه، ولم يمكنه أن يوجه إليه بالعساكر، فدس إليه مولى من موالي المهدي اسمه سليمان بن حرز ويُعرف بالشماخ، أنفذه بكتاب إلى إبراهيم بن الأغلب فأجازه، ولحق بإدريس مظهرًا النزوع إليه في مَنْ نزع من المغرب متبرئًا من الدعوة العباسية ومنتحلاً للطلب، فأعجب به إدريس واختصه، واتفق أنه شكا وجع أسنانه فناوله سليمان دواءً مسمومًا فكان سبب موته، فدُفن بوليلى سنة ١٧٥ هـ.

الباب الثالث

فيما يتعلق بهذا البيت الكريم من الوظائف والزوايا والمواسم ونحو ذلك

فصل في وظيفة السجادة الوفائية

هذه الوظيفة من الوظائف الجليلة والمراتب الرئيسة في الديار المصرية من قديم الزمان، والطريقة الوفائية هي: شعبة من الشاذلية.

قال الزبيدي: الطريقة الوفائية منسوبة إلى قطب العارفين وبرهان السالكين حجة الله في الأرض إمام الطريقة الأستاذ القطب سيدي أبي الحسن علي بن محمد بن محمد النجم، وسلسلة هذه الطريقة هي كما يأتي:

أخذ السيد عبد الخالق أفندي السادات عن والده السيد أبي النصر عن أبيه السيد أبي الإقبال عن عمه السيد أبي الأنوار عن خاله السيد أبي الإشراق محمد عن عمه السيد أبي الخير عبد الخالق عن أخيه أبي الإرشاد عن والده أبي التخصيص عبد الوهاب عن ولد عمه أبي اللطف يحيى عن عمه أبي الإكرام عبد الفتاح عن عمه أبي الفضل محمد عن والده أبي المكارم إبراهيم عن والده أبي الفضل محمد محب الدين عن والده أبي المراحم محمد عن عمه أبي السيادات يحيى عن أخيه أبي الفتح محمد عن والده أحمد شهاب الدين، عن أخيه القطب الكبير والعلم الشهير أبي الحسن علي وفا عن والده القطب الغوث الفرد الجامع أبي التداني محمد وفا عن الأستاذ داود بن باخلاء عن تاج الدين بن عطاء الدين السكندري عن العارف أبي العباس المرسي عن القطب الرباني أبي الحسن الشاذلي عن الشريف عبد السلام بن مشيش عن الشريف الحسيني عبد الرحمن عن أبي مدين التلمساني عن الشاشي عن أبي سعيد المغربي عن أبي يعقوب النهرجوري عن الجنيد عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الإمام الحسين عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.

ولهذه الطريقة حزب مشهور اسمه: (حزب الفتح) لسيدي محمد وفا، وهذا الحزب

يُقرأ في بيت السجادة كل أسبوع ولها خرقة صوفية مخصوصة الزي.

وهي: تاج وشد على شكل مخصوص أول من أحدثه السيد أبو الفضل، ولهذه الطريقة خلفاء في القطر المصري الآن، وكثير من المريدين والآخذين عليها.

وأما من تولى مشيخة هذه السجادة العلية من آل وفا، هم:

- الخليفة الأول: سيدي علي وفا.
- الخليفة الثاني: سيدي أحمد أخوه.
- الخليفة الثالث: سيدي أبو الفتح.
- الخليفة الرابع: السيد أبو السادات.
- الخليفة الخامس: السيد شمس الدين محمد أبو المراحم.
- الخليفة السادس: السيد محب الدين أبو الفضل.
- الخليفة السابع: السيد برهان الدين إبراهيم أبو المكارم..
- الخليفة الثامن: السيد شمس الدين محمد أبو الفضل.
- الخليفة التاسع: السيد برهان الدين إبراهيم أبو المكارم.
- الخليفة العاشر: السيد شمس الدين محمد أبو الفضل.
- الخليفة الحادي عشر: السيد زين الدين عبد الفتاح أبو الإكرام.
- الخليفة الثاني عشر: السيد شرف الدين يحيى أبو اللطف.
- الخليفة الثالث عشر: السيد زين الدين عبد الوهاب أبو التخصيص.
- الخليفة الرابع عشر: السيد جمال الدين يوسف أبو الإرشاد.
- الخليفة الخامس عشر: السيد شرف الدين عبد الخالق أبو الخير.
- الخليفة السادس عشر: السيد شمس الدين محمد أبو الإشراق.
- الخليفة السابع عشر: السيد مجد الدين محمد أبو هادي.

- الخليفة الثامن عشر: السيد شهاب الدين أحمد أبو الإمداد.
- الخليفة التاسع عشر: السيد شمس الدين أبو الأنوار.
- الخليفة العشرون: السيد أحمد أبو الإقبال.
- الخليفة الحادي والعشرون: السيد أحمد أبو النصر.
- الخليفة الثاني والعشرون: السيد أحمد عبد الخالق السادات.

فصل في الزوايا التابعة لهذا البيت الكريم

١- زاوية الرباط: وهي بناحية الخرنفش وكانت العادة قديمًا أن من يتولى السجادة الوفائية يتوجه إليها، ويخرج منها في موكبٍ حافلٍ.

٢- الزاوية الكبرى: التي بسفح المقطم، قال علي باشا مبارك في خططه ما نصه:

هذا المسجد بسفح الجبل المقطم شرقي مسجد الإمام الشافعي وسيدي عقبة بن عامر رضي الله عنهما، كان أصله زاوية تعرف بزاوية: السادات أهل الوفاء، فجددها مسجدًا على ما هي عليه الآن، الوزير عزت محمد باشا بأمر كريم من السلطان عبد الحميد الأول في سنة إحدى وتسعين ومائة وألف هـ.

وفي كتاب وقفية هذا الجامع أنه لما ورد الخط الشريف السلطاني من حضرة سيدنا ومولانا السلطان المغازي عبد الحميد خطابًا لحضرة سيدنا ومولانا الوزير عزت محمد باشا محافظ مصر المحمية، بأن يخرج القدر الآتي ذكره من مال الخزينة العامرة برسم عمارة الزاوية الشريفة كعبة الأسرار القدسية بسفح الجبل المقطم المعروفة بزاوية: السادات أهل الوفا المشمولة بنظر سيد السادات مولانا السيد الشيخ محمد أبي الأنوار بن وفا.

وقابل ذلك الوزير الأمر بالسمع والطاعة، وفوض أمر العمارة والصرف عليها للناظر المشار إليه، وأبرز فرمانه الشريف لطرف الرزنامجة؛ لإخراج القدر المعين بالخط الشريف الخاقاني؛ ليصرفه الناظر فيما هو مأمور به، فعند ذلك شرع الأستاذ المشار إليه فيما هو مفوض إليه، وأزال كامل ما بالزاوية وما هو تبع لها من الغرف والخلاوي، والمساكن، والمنافع وغير ذلك من الأبنية القديمة، وأحضر المؤن، والآلات المحكمة، والرجال القادرين

على العمل، وأنشأ محل ذلك بناءً جديدًا يشتمل على واجهة بحرية مبنية بالحجر النحيت الأحمر، بها باب مقنطر بجلستين يمنة ويسرة، يعلوه أسكفة من الرخام المرمر الأبيض مكتوب عليها أبيات، وتجاه هذا الباب من الخارج سُلّم ثلاث درج مبني بالحجر النحيت، ومصطبة برسم الركوب، ويدخل من هذا الباب إلى فسحة كبيرة مستطيلة مفروشة بالحجر مبني دائر جهاتها بالحجر الأحمر، بها تجاه الداخل باب المسجد وهو باب مقنطر مبني بالرخام المرمر الأبيض ملمع بالذهب الأحمر يعلوه أسكفة من الرخام مكتوب على عارضته علو السكفة المذكورة بالذهب:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥].

ومكتوب على السكفج أربعة تواريخ في ضمن بيتين هما:

باب شريف قد رقى ببني الوفا … الحب في أفضل الأقطاب

قَالَتْ لَنَا أَنْوَارُ سِرِّ جِنَابِه … لاَ شَكَ هَذَا أَكْمَلُ الأَبْوَابِ

سَنَةُ ١١٩ … سَنَةُ ١١٩

وبجانب الباب دائرتان من الرخام الأبيض يمنة ويسرة مكتوب على إحداهما بيتان بالذهب وهما:

لِسُلْطَانِنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ مَكَارِمٍ … قَامَ بِهَا لِلْدِينِ رُكْنًا مُشَيَّدَ

لَهُ النَّصْرُ مِنْ آلِ الْوَفَاءِ مُؤَرِّخٌ … تَدُومُ وَتَبْقَى بِالصَّلاَحِ مُؤَيَّدَا

سَنَةُ ١١٩١

وعلى الدائرة الثانية بيتان بالذهب الأحمر وهما:

عَبْدُ الْحَمِيدِ بِجَاهِ النَّصرِ مُعْتَصَمٌ … عَنِ الْمُلُوكِ بِأَوْصَافِ الثَّنَا فَاقَا

حَزَبَ الْفَلاَحُ أَبَا الأَنْوَارِ دُمْ فَرَحًا … أَعْطَاكَ رَبُّكَ أَنْوَارًا وَإِشْرَاقَا

وبجوار باب المسجد المذكور شباك يعلوه دائرة من الرخام مكتوب عليه بالذهب:

حَـبَا اللهُ سُـلْطَانَ الْبَرِيَّةِ نَصْرَهُ وَأَيَّـدَهُ الْمَوْلَـى الْحَمِيدُ بِحَمْدِهِ
وَجَازَاهُ عَنْ آلِ الْوَفَا أَحْسَنَ الْجَزَا وَأَوْلَى أَبَـا الأَنْـوَارِ سَائِرَ قَصْدِهِ

مكتوب عليها أيضًا نثرًا:

وقد كمل بناء هذا الحرم الوفائي السعيد بعناية الله الملك الحميد في غاية عام إحدى وتسعين ومائة وألف هـ من له العز والشرف ﷺ يغلق على الباب المذكور مصراعًا من خشب الجوز مصفحاً بصفائح النحاس الأصفر بكل منها حلقة من النحاس، ويعلو ذلك الباب من داخل المسجد لوح مكتوب عليه هذا البيت:

الأَوْلِـيَاءُ وَإِنْ جَلَّـتْ مَـرَاتِبِهُمْ فِـي رُتْبَةِ الْعَبْدِ وَالسَّادَاتِ سَادَاتِ

ويدخل من الباب المذكور إلى مسجد جامع لجميع المحاسن أعلاه قناديل تقارن الثريا تقام فيه الصلوات الخمس بالجماعات، والجمعة، والعيدان، والسنن، معمور بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، ويشتمل هذا المسجد على محراب مبني بالرخام الملون به يمنة ويسرة عمودان صغيران من الرخام المرمر الأبيض، يعلوه تاج من خشب الجوز منقوش بالذهب الأحمر، يجاوره منبر من خشب الجوز له باب بمصراعين من خشب الجوز منقوش بالذهب وسلم عشر درج يعلوه قبة بأربعة عساكر، وهلال من النحاس المصفى المموه بالذهب المحلول، وبالمسجد أربعة لواوين أحدها تجاه الداخل به المنبر والمحراب، واثنان على يمنة الداخل، والرابع على يسرته وبينها الصحن يوصل إليه بمجاز مفروش بالرخام الملون، والمسجد مسقف جميعه بالخشب النقي به أزار من الخشب، مكتوب عليه باللازورد والذهب الأحمر قصيدة في مدح بني الوفا، وأرضه مفروشة بالبلاط الكذان دائر جهاته بالحجر النحيت الأحمر، وبحائط المحراب، والمنبر من أوله إلى آخره أزرة كبيرة من الرخام المرمر الملون، وبه ستة عشر عمودًا من الرخام عليها اثنان وعشرون كائكة معقودة بالحجر النحت، وبالسقف أربعة ممارق، وقبة من الخشب برسم النور يعلوها هلال من النحاس المموه بالذهب المحلول، وبحائط المسجد الغربي اثني عشر شباكًا قمريات، وبالصحن دكة خشب مرسوم على عارضة بابها بالذهب:

(رب افتح يا فتاح).

وهو تاريخ للبناء، والثانية لوقاد المصابيح بالمسجد وما يتعلق بالوقادة من الأحمال والقناديل وغير ذلك، مكتوب على عارضة بابها بالذهب:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، والثالثة لشيخ السجادة مكتوب على عارضة بابها بالذهب:

(اللهم هب لنا الخلوة معك والعزلة عما سواك).

وبجوار الخلوة باب يوصل ودواليب من الخشب، وبالضريح مقصورة ضريح القطب الكبير سيدي أبي الحسن علي وفا، ووالده القطب الغوث الفرد الجامع الختيم المحمدي، كما نص عليه الشيخ الأكبر الإمام ابن العربي والعارف الشعراني وغير واحد، تشتمل تلك المقصورة على درابزين من خشب الجوز مموه بالذهب الأحمر، وباب مصرعًا من خشب الجوز مصفح بصفائح النحاس، ورفرف في الجهات الأربع.

والأسفل من دائرة المقصورة مبني من الجهات الأربع بالرخام المرمر الأبيض وستة أكتاف متصلة بسقف المسجد مدهونة بالدهانات الملونة.

وبالمقصورة عساكر من النحاس المصفى المموه بالذهب، ويعلو قبتها هلال من النحاس المصفى المموه بالذهب، وعلى دائرة المقصورة أبيات بالذهب أولها:

هَـــذِهِ رَوْضَـــةٌ وَهَـــذَا مَقَامٌ   مُزْهِـــرٌ نُـــورُه وَقُطْـــبٌ إِمَامُ
هَـــذِهِ جَـــنَّةٌ بِرَوْضِ رِضَاهَا   خَيْـــرُ آلِ نَـــزِيلُهُمْ لاَ يُـــضَامُ

وآخرها:

بِالرِّضَـــانِيِّ ضَرِيحُ جِدكَ أَرِّخْ   حَيٌّ قُطْبِ الأَقْطَابِ هَذَا الْمَقَامُ
سَـــــنَةُ ١١٩١

وعلى باب المقصورة بيتان هما:

إِنَّ بَـــابَ اللهِ طَـــهَ جَـــدُّكُمْ   وَلَكُـــمْ قَـــدْرٌ عَلِيٌّ عَنْ عَلِيٍّ
كُلُّ مَنْ يَرْجُو لَوَفًا مِنْ بَابِكُمْ   وَآلِ مَـــنْ غَيْـــرِكُمْ لَم يَدْخُل

وعلى رفرف القبة من الجهات الأربع بالذهب أبيات شريفة.

وبجوار المقصورة حوض كبير من الرخام المرمر موضوع به الرمل الأحمر على العادة في ذلك، وتجاه باب المقصورة تاج من الرخام المرمر الأبيض بأربع وجوه، مكتوب بالذهب على الوجه الأول:

لا إله إلا الله الواحد الحي الدائم العلي الحكيم.

وعلى الثاني: محمد رسول الله الفاتح الخاتم أصل الوفا المشفع العظيم.

وعلى الثالث مكتوب نسب حضرة روح أرواح اللطائف الحمدية، وسر أسرار كنـز المواهب الرحمانية الأستاذ أبي الحسن علي وفا بن محمد بن محمد بن محمد النجم بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن حسين بن أبي بكر بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد ابن إدريس التاج بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحضي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه ﷺ.

وتجاه باب المقصورة القبة التي تقبل، وبالإيوان الأول الذي على يمنة الداخل من باب المسجد ثلاث مقصورات على كل منها درابزين من الخشب النقي، بالأولى ضريح القطب الرباني سيدي أبي الإسعاد بن وفا، وضريح سيدي عبد الفتاح أبي الإكرام بن وفا، وبالثانية: ضريح القطب الرباني سيدي محمد أبي الفتح بن وفا، وبالثالثة: ضريح القطب الرباني سيدي يحيى أبي اللطف بن وفا.

والإيوان الثاني الذي على يمنة الداخل من المسجد أيضًا به ثلاث مقاصير على كل منها درابزين من الخشب، بالأولى: ضريح القطب المعظم سيدي عبد الوهاب أبي التخصيص ابن وفا.

وبالثانية: ضريح القطب المعظم سيدي يوسف أبي الإرشاد بن وفا.

وبالثالثة: ضريح سيدي محمد أبي الإشراق بن وفا، وضريح القطب سيدي محمد أبي هادي ابن وفا وضريح القطب سيدي أحمد أبي الإمداد بن وفا.

والإيوان الثالث الذي على يسرة الداخل من المسجد به مقصورة كذلك بها ضريح القطب المعظم سيدي عبد الرحمن أبي الفضل الشهيد بن وفا.

وبالإيوان المذكور الشباك الذي تعلوه الدائرة بجوار باب المسجد وله مطهرة لها مصلى بمحراب، وفسقية، وحنفية، وسبعة كراسي راحة، وساقية، وله منارة بدورين عليها هلال نحاس مصفّى مموه بالذهب، ويتبع ذلك عمارة واسعة بجوار المسجد تشتمل على دهاليز، وتبليطات، وبسطات، وقصور، ومساكن ذات رواشن وخورنقات وخلاو، ومخازن لأمتعة الوقف ولوازمه من نحاس، وفرش، وزيت، وقناديل وغير ذلك، وقاعات لطعام سماط الموالد، ومطابخ، وبيت عجين، وطابونة، وطاحون فرد فارسي كامل، وبيت قهوة، ودست كبير برسم الماء، ومصاطب، وكلارات، ووكالة لربط دواب الزوار ونحوهم، وحوش كبير فيه مدافن وصهريج.

وتلك الأبنية بالحجر الفص النحيت الأحمر، وبعضها مفروش بالبلاط الكذان، وبعضها بالرخام وسقوفها من الخشب النقي وشبابيكها من الخشب الخرط النقي، وسلالمها معقودة بالبلاط الكذان إلى غير ذلك.

وصرف مولانا الأستاذ المشار إليه مبلغًا قدره من الأكياس المصرية إلى عبرة كل كيس منها خمسة وعشرون ألف نصف فضة، مائة كيس وستة وعشرون كيسًا، وواحد وعشرون ألف نصف وأربعمائة نصف وخمسون نصفًا فضة ديوانيًّا.

استهلك ذلك في ثمن مؤن وأجر، من جير، وجبس وطين، ورماد، وطوب، ودبش، وأحجار نحيت، وبلاط ورخام، وأخشاب متنوعة، وأقصار، وأغلاق، ودبلاق، وأنخاخ، ومسمار حديد، وقريقات، ودهانات، وزجاج، وأجرة فعلة، وبنائين، ومهندسين، ونحاتين، ونجارين ونشارين، وخراطين، ومبلطين، ومبيضين، ومرخمين، وسباكين، ودهانين، وقمرياتيه ونقاشين، ونقل أتربة إلى الكيمان وغير ذلك مما احتاج إليه كل ذلك من مال الخزينة العامرة، والتمس حضرته الإذن الكريم من شيخ مشايخ الإسلام مولانا الشريف محمد أفندي قاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية لمن يعتمد عليه من عدول مجلسه الشريف بالتوجه معه صحبة معمارجي باشا، وأهل الخبرة للكشف على ذلك، وقطع قيمة البناء فأجابه لذلك، وحضر الجم الغفير من الأعيان وغيرهم، فوجد البناء مشتملاً على الأوصاف المشروحة، وذرع بذراع العمل المعتاد فبلغ ثلاثًا وعشرين ألف ذراع، ومائة وخمسة عشر ذراعًا مكسرًا بحساب الشطرنج، وبلغت قيمته من الأكياس أحدًا وأربعين

كيسًا مصرية وخمسة عشر ألف نصف ومائة وسبعين نصفًا فضة ديوانيًا بحساب كل ذراع خمسة وأربعين نصفًا فضة عددية، وذلك خارج عن ثمن البلاط، وجبس البلاط، وجبس البياض والأخشاب، والرخام، والرصاص، والنحاس، والحديد، والزجاج، والدهانات، وأجرة الشغالة، وأرباب الصنائع، وقدر ذلك خمسة وثمانون كيسًا مصرية، وستة آلاف نصف ومائتان نصف واثنان وثمانون نصفًا فضة بما في ذلك من ثمن قطني هندي، وأطلس، وصندل، وبفته هندي برسم ستر المقام الكبير الوفائي كيس واحد، وثمن حصر نقش أحمر وأبيض برسم فرش المسجد كيس واحد وكسور وثمن ذهب وفضة دستات برسم نقش القبة الشريفة، ودوائر المسجد، والتواريخ ثلاثة أكياس مصرية وكسور، وثمن صفائح نحاس أصفر محلى بالذهب المحلول برسم الأبواب، وهلالات برسم القبة الشريفة، والمنبر والمنارة ثلاثة أكياس وكسور، وثمن جوخ، وقطن، وآلات، وشاشات كساوى برسم المعلمين أرباب الحرف، والصناع المشروحة وغيرهم، كيس واحد وكسور، وبعد شهادة كاتب العمارة، وشهادة أمينها، وطوائف المعلمين، وأهل الخبرة المعينين لذلك، حكم القاضي بصحته اهـ.

وهذا الجامع باقٍ على معالمه المشروحة إلى الآن، وشعائره مقامة على الوجه الأكمل وأوقافه كثيرة تحت يد ناظره أبو الوفاء السيد عبد الخالق السادات.

فصل في المواسم المتعلقة ببيت السادات الوفائية

١ - المولد المسمى (الميعاد) قال فيه صاحب مناهل الصفا:

اسْـــتَجِيبُوا لِدَاعِـــيَاتِ الـــسُّرُورِ ... وَاسْـــتَعِيذُوا مِـــنْ عَادِيَـــاتِ الشُّرُورِ
وَاحْـــضُرُوا مَجْلِـــسًا أَلَمَّ بِهِ الأُنْـــ ... ـــسُ وَيَذْكُـــو الْهَنَا بِذَاكَ الْحُضُورِ
مَجْلِـــسُ الذِّكْـــرِ وَالـــشُّهُودِ وَنُو ... رِ الْقَلْـــبِ وَالْعَقْلِ وَانْشِرَاحَ الصُّدُورِ
وَاعْبُـــرُوهُ بِذِلَّـــةٍ وَخُـــضُوعٍ ... وَخُـــشُوعٍ عَلَـــى أَجَـــلِّ عُـــبُورِ
وَأَنِيـــبُوا لِـــرَبِّكُمْ فِـــيهِ تَحْظُـــوا ... بِحُـــصُولِ الرِّضَـــا وَحَـــوْزِ الأُجُورِ
ثُـــمَّ تُوبُـــوا إِلَـــيْهِ وَاسْـــتَغْفِرُو ... هُ وَاسْـــأَلُوا مِـــنْ فَـــضْلِهِ الْمَوْفُـــورِ
وَاسْـــتَدِيمُوا عَلَـــى التُّقَى وَاسْتَقِيـــ ... ـــمُـــوا وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْلِدِ الْمَشْهُورِ

وَاسْـــتَمِدُّوا الأَمْـــدُدَ مِـــنْ مَدَدِ السَّادَاتِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَأَهْلِ الْحُبُورِ

٢- **مولد المحرم:** قال صاحب مناهل الصفا: أما مولد المحرم فهو الجديد المكرم، فتح سيدنا أبو الإشراق بابه، وفسح رحابه، ثم من بعده سيدنا أبو الأنوار أعلا ذراه ورقى علاه.

وفي هذا قلت:

قَــصَدْنَاكُمْ فَأَثْنَيْــنَا عَلَيْكُمْ بِأَجْمَــلِ مِدْحَةٍ وَأَجَل صيغه
وَشَاهَدْنَا الْذِي حَجَدْتُمُوهُ فَأَرَّخْــنَا مَــوَالِدَكُمْ بلِـــيغه

- **مولد شعبان:** وهو موسم من مواسمهم القديمة، وعاداهم المستديمة، وكانوا يبالغون في إشهار هذه الموالد السنتية، وينفقون في ذلك كثيرًا من المبرات، والصدقات ويتأنقون في المهرجان بما يقصر عن وصفه اللسان.

قال صاحب المناهل: وكانوا يسرجون قناديل المقام في المولد الشريف بدهن اللوز اللطيف، وماء الورد بدل الماء.

٤- **الاحتفال بإحياء ليالي شهر رمضان:** وإكثار البر والصدقات فيه، وفي ليلة السابع والعشرين منه يحتفل بالكنية، وذلك أن من العوائد القديمة أن يتوافد الناس من عظيم ووضيع إلى رحاب السادات الوفائية في تلك الليلة، فيكني شيخ السجادة كل منهم بكنيته، وللناس إقبال على ذلك وتبرك به كبير.

وكانت التكنية مما يشرف به الخلفاء من يريدون تشريفه من خواصهم.

ومما ورد عن ذلك في الجزء الثاني من الأغاني أن الرشيد رضي يومًا عن مخارق.

فقال: عليَّ هرثمة، وهو أحد قواده، فدخل عليه، وهو يجر سيفه، فقال: يا هرثمة مخارق الشاري الذي حار بناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟ فقال: أبو المهنا، فقال: انصرف فانصرف، ثم أقبل على مخارق فقال: قد كنيتك أبا المهنا لإحسانك.

خاتمة في بيان الكنية

كتب السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس رسالة في الكنية نذكر منها هنا ما يأتي، قال:

المقدمة: وفيها مهمتان:

الأولى: في تحقيق لفظ الكنية لغة:

قال الجوهري في صحاحه: الكنية بالضم والكسر واحدة الكنى، واكتنى فلان بكذا وفلان يكنى بأبي عبد الله ولا نقل بعبد الله، وكنيته أبا زيد وبأبي زيد تكنيته وهو كنيه، وقال الفيومي في مصباحه: الكنية اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبي حفص وأبي حسن أو علامة عليه، والجمع كُنى بالضم، وكنيته أبا محمد وبأبي محمد.

قال ابن فارس وفي كتاب الخليل: الإتيان بالباء هو الصواب، واكتنى زيد بأبي محمد. انتهى.

وقال ابن سيده في المحكم: كنيت الرجل بأبي فلان وأبا فلان على تعدية الفعل بعد إسقاط الحرف، قال الراجز:

راهبة تُكنى بأم الخير

وكنيته فلان أبو فلان وكنوة فلان أبو فلان، وكنوته لغة في كنيته، قاله أبو عبيد، وأنشد أبو زياد الكلابي:

وَأَنِّـــي لأَكْنُو عَنْ قَذُورٍ بِغَيْرِهَا   وَأُعْــرِبُ أَحْــيَانًا بِهَا فَأُصادِحَ

وفي المحكم الكنية على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكنى عن الشيء يستكره ذكره.

والثاني: أن يكنى الرجل باسمه تعظيمًا وتوقيرًا.

والثالث: أن تقوم الكنية مقام الاسم، فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب عرف بكنيته فسماه الله بها.

الثانية في بيان قولهم أبو فلان:

قال الجوهري: وأما قولهم أبو فلان، فإن الأب أصله أبو بالتحريك، والجمع آباء، وهو الجيد كما صرح بت الأزهري، ومنه قول الفرزدق:

أُولَـئِكَ آبَائِـي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ... إِذَا جَمَعَتْـنَا يَـا جَرِيرُ الْمجَامِعُ

قال: ومن العرب مَنْ يقول: أبوتنا أكرم الآباء، يجمعون الأب على فعولة كما يقولون هؤلاء عمومتنا وخئولتنا.

قال الجوهري: وكان الأصمعي يروي قول أبي ذؤيب الهذلي:

لَوْ كَانَ مِدْحَةُ حَيٍّ أَنْشَرَتْ أَحَدًا ... أَحْـيَا أُبُـوَّتَكَ الـشُّمُّ الأَمَادِيح

قال ابن بري: ومثله قول لبيد

وَاذْكُـرْ مَـنْ تَحْت الْقُبُورِ أُبُوَّةً ... كِـرَامًا هُـمُ شَدُّوا عَلَيَّ التَّمَائِمَا

قال: وقال الكميت:

نُعَلِّمُهُـمْ بِهَـا مَـا عَلِمَتْنَا ... أُبُوَّتُـنَا جَـوَارِي أَوْ صُفُوْنَا

المطلب الأول في الفرق بين الكنية والاسم واللقب والعلَم

قال المرادي في شرح الألفية: العَلم على ثلاثة أقسام: اسم وكنية ولقب؛ لأنه إن صدر بأبٍ أو أم فهو كنية، كأبي بكر، وأم كلثوم وإلا فإن أشعر برفعة المسمى أو ضعته، فهو لقبٌ، كالصديق والفاروق في الأول، وكأنف الناقة في الثاني، وإن لم يكن كذلك فهو اسم كزيد وعمرو، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: الاسم والكنية واللقب يجمعها العلم، وتتغاير بأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم، والكنية ما صُدرت بأب أو أم، وما عدا ذلك فهو الاسم.

ونقل شيخنا في حاشية القاموس الاتفاق من الأئمة في أن اللقب ما أشعر بالرفعة أو الضعة، ولا يصدر بالأب والأم والابن والبنت على الأصح في الأخيرين.

قلت: وهو قول الرضي وسبقه إليه الفخر الرازي كما أشار إليه شيخ الإسلام زكريا.

ونص الرضي: الكنية ما صدر بأب كأبي عمرو، أو أم كأم كلثوم، ويقصد بها:

التعظيم، والفرق بينها وبين اللقب: أن معنى اللقب يمدح الملقب أو يذم، والكنية لا تعظم لمعناها؛ بل لعدم التصريح للاسم، فإن بعض النفوس تأنف من المخاطبة باسمها، وقد يكنى الصغير تفاؤلاً. انتهى.

وذكر الكرماني في شرح البخاري نحوًا مما ذكره المرادي وغيره في شراح الألفية، وفسر الجوهري: والمجد اللقب بالنبز، والنبز بالتحريك يكثر في ما كان ذمًا، ومنه الحديث: «إن رجلاً كان ينبز قرقورًا[1]» أي يلقب به.

وقال الخليل: الأسماء على وجهين: أسماء نبز مثل زيد وعمر، وأسماء عام مثل: فرس ورجل ونحوه.

قلت: وهذا بالنظر إلى الوضع الاصطلاحي، وأما بحسب الوضع الأولي، فإن الأسماء تطلق على الأنواع الثلاثة: المخبر عنه، والخبر، والرابطة بينهما المسمى بالحرف، وبه فسرت الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ [البقرة:٣١]، إذ معرفة الأسماء لا تحصل إلا بمعرفة المسمى، وحضور صورته في الضمير، كما حققه الراغب في المفردات.

وفي بصائر ذوي التمييز للمجد اللغوي: اللقب اسم يسمى به الإنسان سوى اسمه الأعلى، ويراعى فيه المعنى بخلاف الأعلام، ولهذا قال الشاعر:

وَقَلَّمَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ ... إِلاَّ وَمَعْنَاهُ إِنْ فَتَّشْتَ فِي لَقَبِهِ

قال: والألقاب ثلاثة: لقب تشريف، ولقب تعريف، ولقب تسخيف، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[الحجرات:١١].

المطلب الثاني في بيان موضوعها الأصلي

أما موضوعها الأصلي فقالوا: إنما جيء بالكنية لاحترام المكنى بها، وإكرامه، وتعظيمه لئلا يصرف في الخطاب باسمه، وقيل الأصل في ذلك:

إن الرجل كان يكنى بابنه، ثم توسعوا فصار يكنى وإن لم يكن له ابن تفاؤلاً بأن يكون له ابن.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٢٧٥).

المطلب الثالث في بيان حكم التكنية بأبي القاسم لمن كان اسمه محمدًا أو أحمد نهيًا ورخصة

وفيه مهمات: **الأولى:** في بيان اختلاف العلماء في هذه المسألة.

قـــال أهل الظاهر: لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد، سواء كان اسمه محمدًا أو أحمد نظرًا لظاهر الحديث الآتي.

وقال مالك: «يباح التكني به سواء كان اسمه أحمد أو محمدًا أم لا؛ لأن هذا كان في زمانه ﷺ للالتباس بكنيته».

وقال ابن جريج: إنما كان النهي للتنـــزيه والأدب لا للتحريم.

والمـــشهور عن الشافعي المنع، ففي شرح المنهاج في باب العقيقة: ويحرم التكني بأبي القاسم مطلقًا، وقيل: يختص ذلك بزمانه، وقيل: بمن تسمى باسم محمد، أو أحمد ولا بأس بالكنـــية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين، ومنهم: من نهى عن التسمية بالقاسم أيضًا؛ لئلا يكنى أبوه بأبي القاسم، ومنهم: من نهى عن التسمية بمحمد مطلقًا سواء كان له كنية أو لا، لما روي عنه ﷺ: «**تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونه**[1]».

الثانية: في بيان حديث: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي[2]»:

روي ذلك عن أبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

أما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري في صحيحه عن علي بن عبد الله وأبي البشر الدولابي في كتاب الكنى عن محمد بن منصور الجواز ومحمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، الثلاثة عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سيرين عنه.

وأما حديث جابر فأخرجه البخاري عن محمد بن كثير عن شعبة عن منصور هكذا في رواية الأكثر، وفي رواية أبي علي بن السكني سفيان بدل شعبة.

ومال الجياني إلى ترجيح الأول بأن مسلمًا أخرجه من طريق شعبة عن منصور،

---

(١) ذكره الهندي في الكنـــز (١٦/٥٤٧) وعزاه للبزار عن أنس.

(٢) رواه البخاري (١/٥٢)، (٣/١٣٠١)، ومسلم (٣/١٦٨٢، ١٦٨٤).

وأخرجه الدولابي عن إبراهيم بن مرزوق عن بشر بن عمر الزهراني عن شعبة عن منصور وقتادة وسليمان وحصين، الأربعة عن سالم بن أبي الجود عنه وروي عن جابر أيضًا، قال: ولد لرجل منا غلام سماه القاسم، فقلنا: يا عدو نفسه، تريد أن نكنيك بكنية رسول الله ﷺ ؟ فغدونا على رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فنهى رسول الله ﷺ أن نكتني بكنيته. أخرجه الدولابي من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن المنكدر عنه، وعن طريق إسحاق بن إبراهيم عن صفوان بن سليم الزرقي عن أبي الزبير عن جابر، وفيه:

وأما حديث أنس فأخرجه البخاري عن حفص بن عمر عن شعبة والدولابي عن يزيد بن سنان عن حمادي مسعدة كلاهما عن حميد الطويل عنه، وفيه نادى رجل بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: أنا لم أعنك يا رسول الله، إنما عنيت فلانًا، فقال رسول الله ﷺ: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي».

وروى ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أنا أبو القاسم، الله يرزق وأنا أقسم» أخرجه الدولابي من طريق أبي عاصم عنه.

وفي كتاب المبسوط لأبي القاسم بن خداع النسابة: أنه جمع بينهما رجل في زمن المأمون، فأحضر النطع والسيف بعد أن حده، فسأل في أمره يحيى بن أكثم فتجاوز عنه.

الثالثة في بيان الرخصة في الجمع

روى فطر بن خليفة عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قلت: يا رسول الله، إن ولدي ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: «نعم[1]» قال: فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب.

وقال هيثم عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان محمد بن الأشعث يكنى أبا القاسم، وكان يدخل على عائشة وكانت تكنيه به.

وقال الدولابي: أخبرني محمد بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمد بن عمر، قال محمد بن الحنفية ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن

(١) رواه أبو داود (٢/ ٧١٠)، والترمذي (٥/١٣٧).

الأشعث بن قيس ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن حاطب يكنون بأبي القاسم.

وقال إسماعيل بن أبي أويس: سألت مالك بن أنس ﷺ ما كنية ابنه محمد؟ فقال: أبو القاسم.

المطلب الرابع في القول الجامع في الكنى

اعلم أنه قد غلب على أسماء كنى صارت عليها كالأعلام، وهي على وجوه: **منها:**

ما جاء في أصل النسبة على لفظ الكنية كأبي القاسم وأبي بكر وأبي علي، وما أشبه ذلك، فهذا لا يليق به الكنى؛ لأن المراد قد حصل في أصل التسمية، إلا ما جاء نادرًا كما وقع للشريف جلال الدين أبي القاسم الطهطاوي الحسيني، فإن اسمه على الصحيح أبو القاسم ويكنى أبا علي، والقطب الجارحي اسمه على الصحيح أبو السعود ويكنى أبا علي.

ومنها: أي من الأسماء ما جاء مركبًا مضافًا كعبد الله، وعبد الواحد، وعبد الصمد وما أشبه ذلك مما أضيف إلى الرب سبحانه، فإن غالب هذه الأسماء تكنى بأبي محمد إلا ما ندر؛ كعبد العزيز يكنى أبا العز، وعبد المجيد يكنى أبا المجد، وعبد الكريم يكنى أبا الإكرام.

ومنها: ما جاء مفردًا، والأمر في ذلك يطول، ومسألة الحصر فيه تعول؛ لأن الأسماء أكثر من أن تحصر وتحصى، وأجلُّ من أن تستوف وتستقصي، وكيف تحصى! وهي المزية التي خص بها آدم عليه السلام دون غيره من الأنبياء الكرام، إلا أنه يؤخذ من ذلك ما أمكن، ويجعل مثالاً لما لا يذكر، فالأشياء تحمل على نظايرها، والفروع تحمل على الأصول.

وهذه جملة أسماء نوردها على ترتيب حروف المعجم:

(أ) أنس: أبو حمزة، وأحمد: أبو العباس، إبراهيم: أبو إسحاق، أيوب: أبو الصبر، أبو بكر: أبو الصديق.

(ب) بكر: أبو الصديق، بدر: أبو النجم.

(ث) ثعلب: أبو الحصن.

(ج) جميل: أبو الحسن، وأبو حسان، جبريل: أبو البلاغ، وأبو الأمانة، جعفر:

أبو الفيض، إشعارًا بأن جعفر من أسماء الأنهار، وقال الجوهري: ويسمى نيل مصر: الفيض، وبه كنّاني حضرة الأستاذ المشار إليه، أمد الله في عمره.

(ح) حسان: أبو جميل، الحسن: أبو عبد الله، وأبو محمد، وأبو علي، وأبو المعالي، حمد: أبو الشكر، حمدان: أبو عبد الله، وأبو عدي، حاتم: أبو الجود، وبه كنّاني المرحوم السيد محمد أبو هادي الوفائي، رحمه الله تعالى، حمزة: أبو المكارم، الحسين: أبو عبد الله، وأبو الثنا، حماد: أبو الثنا.

(خ) خالد: أبو البقا، خليل: أبو إسحاق، وأبو إسماعيل، وأبو علي، وأبو الذبيح، خطاب: أبو عمر.

(د) داود: أبو سليمان.

(ذ) ذو الفقار: أبو الصمام.

(ر) ربيع: أبو النبات، رزين: أبو معاوية.

(ز) الزبير: أبو العوام، زكريا: أبو يحيى، زايد: أبو النما.

(س) سعد: أبو عمر وأبو حسان، سليمان: أبو داود، وأبو الربيع، سلمان: أبو الخير، سيف: أبو المضا، سعود: أبو غالب، ساجي: أبو الفلاح، سالم: أبو النجا وأبو ناجي.

(ش) شكر: أبو الثنا، وأبو أحمد، وأبو المعالي، شرف: أبو المجد.

(ص) الصديق: أبو بكر، صالح: أبو الصلاح، صارم: أبو مرهف، صدقة: أبو البر.

(ط) الطاهر: أبو المجد، طالب: أبو العزم.

(ع) عمران: أبو موسى، عبد الرحمن: أبو هريرة: عوف: أبو عبد الرحمن، العباس: أبو الفضل، عياش، أبو المعمر، عدي: أبو حاتم، علوان: أبو الحسن، عمر: أبو خطاب، عيسى: أبو مهدي، عساكر: أبو الجيوش.

(غ) غانم: أبو بدر، غيث: أبو مطر.

(ف) فتح: أبو العطا، الفضل: أبو العباس.

(ك) كرم: أبو العطا.

(م) منصور: أبو الحارث، مقاتل: أبو غانم، مؤمل: أبو سلطان، مكرم: أبو السخا، محمود: أبو الثنا، محمد: أبو عبد الله، وأبو قناع، مصطفى: أبو درويش، وأبو الصفا.

(ن) ناجي: أبو سالم، ناهض: أبو العزم، نور: أبو الجمال، النعمان: أبو حنيفة.

(و) وهبان: أبو العطا، الورد: أبو الزهر، الوهادي: أبو محمد.

(ي) يحيى: أبو زكريا، ياسر: أبو زرارة، يونس: أبو النون.

المطلب الخامس في ذكر كنى من وقع في نسبه الشريف ﷺ

آدم، عليه السلام، يكنى أبا البشر، وهي كنية العامة، ويكنى أيضًا أبا محمد، والعادة عند العرب كنية الإنسان بأجل ولده، ولأجل محمد ﷺ، خُلق آدم وشرفه أن جعله من ظهره الطاهر ينقل في الأصلاب الفاخرة نوره إلى أن ظهر أمر الله، وعلت كلمة الحق به ﷺ، ويروى عن عكرمة قال: «كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان، قال: وكان لقصره أربعة أبواب؛ لكيلا يفوت أحد، وإسماعيل عليه السلام يكنى أبا السباع؛ لأنه أول من ذللت له وحوش الخيل، وأبا الفدا وأبا الذبيح، وآد بن أدد يكنى أبا ذيبان، ومعد بن عدنان يكنى أبا قضاعة وفيه يقول الشاعر:

أَبُوكُمْ مَعَدٌ كَانَ يُكَنَّى بِبِكْرِهِ ... قُضَاعَة ما كُنِّي بِهِ مِنْ تَحَمْحُمَا

وأبو كبشة كنية الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن حلان بن ناصرة بن قضية بن نصر ابن سعد، وهو والد رسول الله ﷺ من الرضاعة، وإياه عنى أبو سفيان: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، وفيه أقاويل غير هذا، منها: أن جده لأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، كان يكنى أبا كبشة، فنسبوه إلى جده لأمه، وكان عمرو بن زيد بن أسد البخاري الخزرجي أبو سلمى أم عبد المطلب أيضًا يكنى أبا كبشة، وقيل: لحظوا بذلك إلى جزء بن غالب بن عامر بن الحارث بن غبشان، وهو أبو قيلة أم وهب بن عبد مناف، والد السيدة آمنة رضي الله عنها، على ما بينه السهيلي في الروض، وفصلناه في شرحنا على القاموس.

وإلياس كنيته أبو عمرو، ومدركة كنيته أبو الهذيل، وقيل: أبو خزيمة.

وخزيمة كنيته: أبو الأسود، وكنانة كنيته: أبو النضر، قيل: أبو قيس، ومالك بن النضر كنيته: أبو الحارث، وفهر كنيته: أبو غالب، وغالب كنيته: أبو تيم، ولؤي كنيته: أبو كعب، وكعب كنيته: أبو هصيص، ومرة كنيته: أبو يقظة، وكلاب كنيته: أبو زهرة، وقصي كنيته: أبو المغيرة، وعبد مناف كنيته: أبو البطحاء، ومنه حديث رقيقة: «هنيئًا لك أبا البطحاء»، ويقال له أيضًا: قمر البطحاء، ويكنى أيضًا: أبا عبد شمس.

وقال الجوهري: كان هاشم بن عبد مناف يكنى: أبا نضلة، وقال ابن الأثير: عبد المطلب كنيته: أبو الحارث، قال وعبد الله بن عبد المطلب يكنى: أبا قثم، وقيل: أبا أحمد، وقيل: أبا محمد، فهؤلاء في عمود نسبه ﷺ.

واختلفوا في كنية الخضر عليه السلام، فالأشهر: أبو العباس إشعارًا بأن اسمه الكريم أحمد، كما جزم به بعضهم، وفيه خلف: وهل هو نبي أو ولي؟ الأكثر على الأول، وبه جزم ابن الصلاح، وأقره عليه النووي، ورجحه الجمهور.

المطلب السادس في ذكر كناه ﷺ وكنى العشرة المشهود لهم بالجنة وكنى الأئمة الأربعة من بعدهم

فأما رسول الله ﷺ فكنيته المشهورة: أبو القاسم بابنه القاسم، أكبر أولاده، كما ذكر جماهير أهل السير، وقد تقدم ما روي عن أبي هريرة عنه ﷺ قال:

«أنا أبو القاسم، الله يرزق وأنا أقسم»، ويروى: «الله يعطي وأنا أقسم[1]»، ثم أطلق على الاسم الكريم في الاصطلاح العرفي الكنية بأبي عبد الله باسم أبيه ثم أحمد؛ لأنه من أسمائه ﷺ وكنية هذا الاسم الكريم: أبو الحسن، وأبو العباس، ومن كناه ﷺ أبو إبراهيم، روى الزهري عن أنس قال: «لما ولدت مارية القبطية جارية النبي ﷺ أتاه جبريل فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم[2]»، أخرجه البيهقي في الدلائل، والدولابي في الكنى، ومن كناه ﷺ أبو الأرامل؛ لمحبته ﷺ لهم؛ لأنه كان معوانًا لهم على فقرهم.

نقله ابن دحية عن صاحب الذخائر والأعلاق.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٤٣٣).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٣٥).

ومن كناه ﷺ أبو المؤمنين، نقله السيوطي في النهجة السوية في الأسماء النبوية، وتبعه الشامي في سيرته، ويستأنس ذلك في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وقرأ أُبي بن كعب: «وهو أب لهم» :أي كأبيهم في الشفقة والرأفة والحنو، وفي الحديث: «إنما أنا لكم مثل الوالد[1]».

وأما أبو بكر الصدق ﷺ فقيل: اسمه كنيته، وقيل: كني بذلك لابتكاره أمورًا لم يسبق إليها، وعدَّ منها: إسلامه أولاً، وإسلام جماعة على يديه، وغير ذلك، كما في شروح البخاري.

واختلف في اسمه فقيل: عبد الله، روي ذلك عن عائشة، وعبد الله بن الزبير، وأخيه عروة، ورجحه يحيى بن معين.

وقيل: عتيق، روي ذلك عن عبد الرحمن بن القاسم، قال: وكانوا إخوة ثلاثة بني أبي قحافة: عتيق، ومعتق، وعتيق، ووافقه عليه الزهري، وقيل: بل هو لقب له لجمال وجهه، أو لأنه صلى الله عليه وسلم قال له: «أنت عتيق من النار» أو قالت له أمه: هذا عتيقك من الموت فهبه لي.

وأما عمر بن الخطاب ﷺ فكنيته أبو حفص، روى الزهري بسنده أن النبي ﷺ قال لعمر: «يا أبا حفص[2]».

وفي حديث أنس وذكر دخوله ﷺ الجنة، وفيه قال:

«فذكرت غيرتك أبا حفص فلم أدخله[3]».

وأما عثمان ﷺ فكنيته: أبو عبد الله، وأبو عمرو، وأبو ليلى، وأبو محمد، وزاد بعضهم أبا سعيد، قال الزهري: ولدت رقية بنت رسول الله ﷺ لعثمان ولدًا اسمه عبد الله، وبه كان يكنى أول مرة، حتى كني بعد ذلك بعمرو بن عثمان.

---

(١) رواه النسائي (٣٨/١)، وابن ماجه (١١٤/١).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٩١/٣)، وأبو داود (٩١/١).

(٣) رواه البخاري (١٣٤٦/٣)، ومسلم (٢٠٧٧/٦).

وقال يحيى بن معين: كنيته عثمان بن عفان أبو عمرو.

وأما علي ﷺ فله كنيتان: أبو الحسن، وأبو تراب، روى سفيان عن يحيى بن سعيد قال: قال علي: أنا أبو حسن القرم، وروى عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: أنا أبو حسن، وكان أحب كناه إليه أبو تراب؛ لأن النبي ﷺ كناه بها فيما رواه سهل بن سعد أنه ﷺ وجده نائمًا في ظل جدار المسجد، وقد سقط الثوب عنه فجعل ﷺ ينفض التراب عن جسده ويقول له: «قم أبا تراب، قم أبا تراب[1]» قال سهل فما كان اسم أحب إلى علي من أن يدعى به من أبي تراب، وفيه يقول القائل:

إِذَا مَــا مُقْلَتِي رَمُدَتْ فَكُحْلِي تُــرَابٌ مِــنْ نَعْلِ أَبِي تُرَابِ
هُــوَ الْبَكَّاءُ فِي الْمِحْرَابِ لَيْلاً هُوَ الطَّعَّانُ فِي يَوْمِ الضِّرَابِ

وقد كنى كذلك جماعة من ولده منهم: محمد بن محمد بن علي البطحاني الحسني جد أشراف بلخ، وصيدرة بن محمد بن القسم الحسيني المصري.

وأما الزبير بن العوام ﷺ فكنيته: أبو عبد الله، نقله العباس الدوري عن يحيى بن معين.

وأما طلحة بن عبيد الله ﷺ فكنيته: أبو محمد، وقد روى طلحة بن يحيى عن أبيه أن طلحة بن عبيد الله قال:«دخلت على رسول الله ﷺ وفي يده سفرجلة فقال:

«دونكها يا أبا محمد، فإنها تجم الفؤاد[2]».

وهي أيضًا كنية عبد الرحمن بن عوف ﷺ روى هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: «يا أبا محمد[3]».

وأما سعد بن أبي وقاص ﷺ فكنيته أبو إسحاق، رواه مصعب الزبيري في كتاب النسب.

وأما سعيد بن زيد ﷺ فكنيته: أبو الأعور نقله الدولابي في كتاب الكنى.

وأما أبو عبيدة بن الجراح ﷺ فاسمه: عامر بن عبد الله بن الجراح، قاله يحيى بن معين.

---

(١) رواه البخاري (١/١٦٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٢/١١٨).

(٣) رواه مالك (١/٣٦٦).

وأما كنى الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، فإن الثلاثة ما عدا النعمان بن ثابت يكنون أبا عبد الله اتفاقًا، والإمام الرابع يكنى أبا حنيفة بابنة له تسمى حنيفة، صرح بذلك بعضهم.

المطلب السابع في ذكر كنى ساداتنا بني الوفا ونفعنا بهم آمين

وهذا الفصل هو المقصود بالذات من تأليف هذا الكتاب، وما عداه فروع حصرت عليه، ولنشرح في بيان ذلك على ترتيب حروف المعجم إيضاحاً للمبهم:

(أ) أبو الأنوار: كنية سيدنا ومولانا الأستاذ الأعظم والملاذ المفخم السيد محمد بن وفا صاحب السجادة والكنية حالاً، حفظه الله تعالى من الأسواء حالاً ومآلاً، وهي كنية الشمس؛ لكونها مصدر الأشعة ثلاثة تشرف الدنيا ببهجتها شمس الضحى، وأبو الأنوار والقمر وكان شرف جلوسه على السجادة في تاسع محرم من سنة اثنين وثمانين بعد المائة والألف هـ.

والأنوار: جمع النور، والنور نوران: دنيوي وأخروي، فالدنيوي حزبان: معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأنوار الإلهية كنور العقل، ونور الإيمان، ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجرام النيرة كالقمرين، والنجوم المنيرة.

وأنشد بعض المفسرين:

ثَلاَثَــةُ أَنْــوَارٍ تُــضِيءُ مِنْ السَّمَا ... وَفِي سِــرِّ قَلْبِــي مِــثْلهُنَّ مُــصَوَّرُ

فَأَوَّلُــهُ بَــدْرٌ وَثَانِــيهِ كَــوْكَبٌ ... وَثَالِــثُه شَــمْسٌ مُــنِيرٌ مُــدَوَّرُ

عُلُومِي نُجُومُ الْقَلْبِ وَالْعَقْلُ بَدْرُهُ ... وَمَعْــرِفَةُ الــرَّحْمَنِ شَمْسٌ مُنَوَّرُ

أَمَامِــي كِــتَابُ اللهِ وَالْبَيْتُ قِبْلَتِي ... وَدِينِــي مِنْ الأَدْيَانِ أَعْلَى وَأَفْخَرُ

شَــفِيعِي رَسُــولُ اللهِ وَاللهُ غَافِــرٌ ... وَلاَ رَبٌّ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَــــرُ

فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة:١٥].

وقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:٣٥].

وأنشد بعضهم:

فِــي الْقَلْبِ نُورٌ وَنُورُ الْحَقِّ يُمْدِدُهُ ... يَــا حَـبَّذَا نُــوره مِــنَ وَاحِدٍ أَحَدِ
نُــورٌ عَلَــى الــنُّورِ مِنْ نُورٍ تَنَوَّر ... نُــورٌ عَلَــى الــنُّورِ دَلَالٌ عَلَى الْعَمْدِ
إنْ رَمَــتْ أوْلَــهُ يَهْــدِي الْــ ... ــأزَل أوْ رَمَتْ آخِرَهُ يُطْوَى عَلَى الأَبَدِ

ومن النور المحسوس الذي يرى بعين البصر قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ [يونس:٥].

ومما هو عام فيهما قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩].

ومن النور الأخروي قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد:١٢]، وسمى الله تعالى نفسه نورًا من حيث أنه المنور فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

وقيل: النور هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو الغواية، وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور، فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورًا.

وسئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه؟»[1] :أي هو نور كيف أراه،

---

(١) رواه مسلم (١/١٦١).

وقال سيدي عبد القادر الأمير في «المواقف» في الكلام على هذا الحديث: والتحقيق عندنا أنه رآه يقظةً ليلة الإسراء، وما زاغ بصره وما طغى، وجوابه للسائل إنما لكونه عرف منه أنه لا يعرف إلا رؤية الذات البحت مجردًا عن المظاهر، ولا يعرف هذا السائل أمر التجلي، فكان هذا الجواب الساذج أولى به، وإمّا أن يكون السائل لا يعرف إلا الرؤية المعتادة عند العامة التي تمنع أنوار الأشعة من تحقيق ما رأى فورًى له ﷺ بأن الحق تعالى اسمه النور، وأمر النور في منع تحقيق الرؤية مشهورٌ، ما قال: (ما رأيته)؛ لأن هذا السائل لا يعرف أن من رأى الحق إنما يراه ببصر الحق لا ببصره المقيد، فإنه قال: (فإذا أحببته كنت سمعُه وبصره) الحديث اهـ.

ثم قال: فمحمدٌ ﷺ رأى ربه يقينًا في مظهرٍ، وهو التعيُّن الأول، وهو الخاصُّ بمحمدٍ ﷺ، لا يشاركه فيه غيره من رسولٍ أو مَلَكٍ، والرؤية في غير تعيُّن محالٌ، وهذه الرؤية التي حصلت لمحمد ﷺ هي التي سألها موسى، فمنعها على حسب سؤاله لا مطلقًا اهـ. **ثم قال:** والمحققون من العارفين لا يقولون بأنهم يرون الحق تعالى حال شهودهم، بل يقولون إنهم ما رأوه قطعًا، وإنما يرون صورهم ومراتبهم واستعداداتهم في الوجود الحق، فلا يشبه الشاهد منّا إلا نفسه؛ لأن المشاهدة على قدر ما يعلمه منه، وإن كان العلم خلاف الشهود والرؤية فكل مشهودٍ معلومٌ ما شهد منه، وما كل معلومٍ مشهودٌ، فما =

وسئل عنه الإمام أحمد فقال: «ما زلت منكرًا له وما أدري ما وجهه؟» وقال ابن خزيمة: في القلب من صحة هذا الحديث شيء، وقال بعض أهل الحكمة: النور جسم وعرض، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض، وإنما حجابه نور، وكذا روي في حديث أبي موسى ﷺ، والمعنى: كفي أرى وحجابه النوراني النور يمنع من رؤيته، وفي الحديث: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا» :أي استعمل هذه الأعضاء مني في الحق، واجعل تصرفي ومتقلبي فيها على سبيل الصواب والخير، وقد يطلق النور ويراد به النبي ﷺ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة:١٥]، أو القرآن.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف:١٥٧] أو الإسلام.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف:٨]، حققه المجد اللغوي في البصائر تبعًا للسمين في عمدة الحفاظ، والراغب في المفردات وهما عمدته فيما أورده في كتابه المذكور.

أبو الإكرام كنية: السيد عبد الفتاح بن يوسف بن عبد الوهاب بن وفا، أجل أولاد أبيه، كان فاضلاً محتشمًا، وهو والد سيدنا المرحوم السيد محمد أبي هادي بن وفا، الآتي ذكره، وهي أيضًا كنية السيد عبد الفتاح بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا وُلد سنة ثلاث بعد الألف هـ، وخلف عمه أبا الفضل في المشيخة بإشارة منه، فإنه قدم مرة في زاوية أجدادهم، صلى به إمامًا، وقرأ العلم على النور على الأجهوري وغيره، وكان ذا رشد، وصلاح، وأوراد، وأذكار، وأحوال ظاهرة، وكرامات باهرة، مات ليلة الجمعة حادي عشر ذي الحجة سنة أربع وخمسين بعد الألف هـ في مصر القديمة وصُلي عليه في جامع عمرو ودُفن عند أجداده.

أبو الإرشاد: كنية السيد يوسف بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرزاق بن وفا خلف والده في المشيخة، وكان سليم الصدر، كريم النفس محتشمًا زاهدًا، أوحد عصره ترجمه غير واحد من أهل عصره، تُوفي في إحدى عشر محرم في سنة ثلاثة عشر بعد المائة

=

يلزم من شهود الشيء العلم بحده وحقيقته، وإلا فما علمه؟! ولذا كان علمنا بالله شعورًا فقط، والشعور علمٌ إجماليٌ يعطي أن ثَمَّ مشعورًا به، ولكن ما يعلم ما هو اهـ (ص٢٠٥،٢٠٤).

والألف هـ، وكانت جنازته مشهودة، ودُفن في الزاوية عند أجداده.

أبو الإسعاد: كنية السيد يوسف بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، وُلد سنة ثلاث أو أربع وتسعين وتسعمائة هـ، أنفق عمره في طاعة الله ما بين دروس علم، وذكر، وقيام ليل، وحج، وزيادة، وتصديق على الفقراء والمساكين، وقضاء حوائج الخاص والعام مع تواضع، ومكارم أخلاق، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ: أبي النجا سالم السنهوري وأبي بكر الشنواني، وعبد الله الدنوشري، والشيخ موسى الدمشقي، وسالم الشبيشري وحج سنة خمسين وألف هـ.

وحج معه جمع كثير من الفضلاء منهم: الشهاب أحمد العجمي، واجتمع بمكة مع الشيخ تاج الدين العثماني رئيس الطائفة النقشبندية، وأخذ كل منهما عن الآخر، ورجع إلى مصر.

وقرأ بمنـزله الشريف المواهب اللدنية، والجامع الصغير وقطعة من تفسير البيضاوي، والشفاء لعياض، فلازمه سيدي علي الأجهوري، والشهاب المقري، وأحمد الدواخلي، وفتح الله البيلوني، وغرس الدين الخليلي، ومحمد الشبراملسي المالكي، والغنيمي، وعلي الحلبي، وحجازي الواعظ وتلميذه علي العزيزي.

وكان يقرأ درسه بحضور هؤلاء مجتمعين ومفترقين تارة، وكان ممن يحضر درسه:

محمد بن يس المنوفي، والنور الشبراملسي، وبركات البحيري السفطي، ومحمد البهوتي الخلوتي، ومما قرأ بمنـزله الشريف أيضًا سيرة ابن سيد الناس مع حاشيتها نور النبراس، وبعض صحيح مسلم بشروحه، ومختصر البخاري لابن أبي جمرة، وشرح الهمزية لابن حجر، وشعب الإيمان للقصري، وتفسير الثعالبي، وشرح الحكم العطائية، ومتـن الشمائل بشرحه للمناوي، وله مؤلفات منها:

شرح الرسالة المسماة: نور الحديقة للشيخ أبي بكر بن سالم، وله ديوان شعر تلقاه الناس بالقبول، وكان هو وأخوه أبو الإكرام، كأنهما روح واحد في جسدين.

تُوفي ليلة الأحد سلخ صفر سنة إحدى وخمسين بعد الألف هـ، وصُلي عليه صبيحتها بالجامع الأزهر في مشهد عظيم ودُفن بتربة أجداده.

أبو الإشراق: كنية السيد محمد بن يوسف بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرزاق ابن وفا خلف في المشيخة عمه عبد الخالق أبا الخير في نهار الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين بعد المائة والألف هـ.

وكان شيخًا بهيًا محتشمًا، سليم الصدر، كريم النفس بشوشًا صاحب كرامات، وإشارات، وأحوال.

تُوفي سادس جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين بعد المائة والألف هـ.

ودُفن في الحوطة عند أجداده.

وهي أيضًا كنية السيد أمين الدين بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا والد السيد يحيى أبي اللطف.

أبو الإمداد: كنية السيد أحمد بن وفا خلف السيد محمد أبا هادي في المشيخة.

وتولى قبل ذلك نقابة السادة الأشراف بمصر استقلالاً.

وكان إنسانًا حسنًا ذا أخلاق رضية وآداب مرضية، وانجماع عن الناس.

تُوفي نهار الأربعاء ثامن محرم سنة اثنتين وثمانين بعد المائة والألف هـ.

وصُلى عليه بالأزهر، ودُفن بالحوطة قريبًا من جده، وهو الذي تولى بعده حضرة سيدنا الأستاذ المشار إليه.

(ﷺ) أبو التخصيص :كنية السيد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرازق بن إبراهيم بن وفا، وُلد في ذي القعدة سنة ثلاثين وألف هـ، كما وجد بخط والده، وتفقه على جماعة أعلام، وخلف في المشيخة عن ابن عمه أبي اللطف بن وفا، وروى بالإجازة عن عالم المدينة الوجيه عبد الرحمن الخياري، ومن شيوخه: الشهاب الدواخلي، ومحمد الشبراملسي المالكي، والشمس البابلي، وسلطان المزاحي، وإبراهيم الميموني، وممن حضر عليه في منـــزله عند إقرائه الكتب: الشيخ عبد الباقي الزرقاني، والنور الشبراملسي، وأحمد الغرقاوي، ومحمد البهوتي الخلوتي، وعلي بن أحمد السطيحة، وكان للجميع فيه اعتقاد تام باطنًا، وله كرامات كالشمس في رابعة النهار.

تُوفي ثامن رجب سنة ثمان وتسعين بعد الألف هـ، ودُفن عند أجداده.

أبو التداني: كنية السيد محمد بن محمد بن محمد النجم الملقب بوفا.

وُلد بثغر الإسكندرية سنة اثنتين وسبعمائة هـ ونشأ بها.

وسلك طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي في التصوف على يد الإمام داود بن باخلا، واجتمع بياقوت العرشي، ثم سار إلى أخميم من أرض الصعيد وتزوج بها، واشتهر هناك، ثم قدم مصر، فأقام بالروضة مدة طويلة، ثم سكن القاهرة، وتُوفي بها يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وستين وسبعمائة هـ عن ثلاث وستين سنة، ودُفن بالقرافة ما بين تربة الشيخ تاج الدين بن عطاء الله، وتربة الشيخ أبي السعود أبي العشاير بإشارة منه.

وله مصنفات منها: كتاب التأصيل، وكتاب الشعائر، وكتاب الأنفاس، وكتاب أصول الحقائق، وكتاب الأزل، وكتاب الصور، وكتاب مفتاح الصور، وكتاب المقامات السنية للسادات الصوفية، وكتاب العروس، وديوان شعر في مجلد، وله رموز في منظوماته مطلسمة إلى وقتنا هذا لم يفك أحد ما فيها من الأسرار والعجايب.

(ج) أبو الجود: كنية السيد حسن بن شهاب الدين أحمد بن محمد وفا.

تُوفي في حياة والده سنة ٨٠٨ هـ وهو ابن تسع عشرة سنة، وقيل: ابن تسع وعشرين، كذا في العقود للمقريزي، وذكره السخاوي في معجمه أيضًا.

(ح) أبو الحسن: كنية القطب الشهير، والفرد الكبير سيدي علي بن محمد بن محمد بن محمد وفا.

وُلد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة هـ، فلما بلغ سبع عشرة أو تسع عشرة جلس مكان والده، وعمل الميعاد، وشاع ذكره، وبعد صيته، وكثر أتباعه وذكر بمزيد اليقظة، وجودة الذهن، وكان أكثر إقامته بالروضة قريب المشتهى، وله من التصانيف: الباعث على الخلاف في حسن الظن بالخواص، رد به على الزين العراقي رسالته، والكوثر الأترع من الأبحر الأربع في الفقه، وله ديوان شعر مقبول بين أيدي الناس.

وترجمته في مجلد.

تُوفي بمنـــزله في الروضة يوم الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة سنة سبع وثمانمائة هـــ عن ثمانٍ وأربعين سنة، ودُفن تجاه والده على سرير في صفته.

وهي أيضًا كنية السيد علي بن يوسف بن عبد الرازق بن إبراهيم بن وفا.

وُلد في سنة أربعين وألف هـــ، وحصل له من والده النظر التام، ونشأ مكبًا على القرآن، والاشتغال بالعلم، والذكر، والعبادة، والأوراد الخفية، والتواضع، والشيم المرضية، حج مرارًا، ولازم النور الأجهوري في العلم مدة.

وكان يعقد في منـــزله في كل يوم خميس درسًا يحضره أكابر الفضلاء :كالشيخ عبد الباقي الزرقاني، والشيخ محمد الخلوتي وغيرهما، تُوفي بالمدينة ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين بعد الألف هـــ، وُدفن بجوار سيدنا عثمان ﷺ.

(خ) أبو الخير: كنية السيد عبد الخالق بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، خلف في المشيخة أخاه أبا الإرشاد في ثاني عشر محرم سنة ١١١٣ هـــ، وكان شيخًا مهيبًا، أسمر اللون، نحيفًا بشوشًا ذا وقار واحترام مفرط، ونباهة، وجلالة، ومهابة عند الخاص والعام، وعمر طويلاً حتى كوَّف الأحفاد بالأجداد، وقد تلقى عنه أكابر العلماء وأحبوه، ولم يزل على سيرة حميدة، وعيشة سعيدة حتى لبى مولاه في ثاني عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين بعد المائة والألف هـــ، وصُلي عليه بالأزهر في جنازة حافلة، ودُفن عند آبائه.

وهي أيضًا كنية السيد بقية الله ابن سيدنا الأستاذ المشار إليه دام ممتعًا بالتهاني، وحرس بالسبع المثاني.

وُلد ثالث عشر جمادى الأولى من شهور سنة ١١٨٧ هـــ.

وكتب: إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أنه سيصير بدرًا كاملاً، أقر الله عين سيدنا به، وجعله مشمولاً بملاحظة جده، وفي حسبه، آمين يا رب العالمين.

(س) أبو السيادات: كنية السيد يحيى بن السيد شهاب الدين أحمد بن محمد وفا.

وُلد بالقاهرة سنة ٧٩٨ هـــ ،وخلف في المشيخة أخاه أبا الفتح في سنة اثنتين وخمسين هـــ وتكلم على الناس في المواعيد، فرزق القبول، وأكثر الناس من زيارته، وكان

حسن الصوت في المحراب، وذا نظم حسن.

تُوفي يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثمانمائة هـ.

ودُفن عند أخيه في تربة أجداده.

(ط) أبو الطيب: كنية السيد محمد بن القطب السيد علي بن محمد وفا.

تُوفي بعد أبيه بثلاثة أيام، ذكره السخاوي في المعجم والمقريزي.

أبو الطاهر: كنية السيد محمد بن القطب سيدي علي بن محمد وفا، وهو أخو الأول وُلد بالقاهرة، وأخذ عن أبيه، وتكلم في الميعاد بعد وفاته، ثم ارتحل إلى اليمن، وانقطع خبره، ذكره السخاوي هكذا.

(ع) أبو العطا: كنية السيد عبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، كان هو وأخوه أبو الفضل كأنهما روح واحد في جسدين، يضرب المثل في اتفاقهما.

تُوفي في شوال في سنة خمس بعد الألف هـ في حياة أخيه.

وهي أيضًا كنية السيد عبد الرزاق المذكور ابن عبد الفتاح بن عبد الرزاق المذكور كان كثير التردد إلى الحرمين الشريفين والمجاورة بهما، حتى صارت أخلاقه، وأحواله كأهلهما.

أبو العز: كنية السيد أمين الدين بن عبد الرزاق بن وفا، ويقال: أبو الإشراق، وهو تقدم، وهو والد أبي اللطف، الآتي ذكره.

أبو العباس: كنية السيد شهاب الدين أحمد بن محمد وفا، أخو القطب سيدي علي المشار إليه، وُلد بظاهر مصر سنة ٧٥٦ هـ، ونشأ على طريقة حسنة ملازمًا للخلوة والانجماع عن الناس، وكان عنده سكون، وأحوال غريبة، خلف في المشيخة أخاه المشار إليه، وكان يعمل المواعيد مع خواص أصحابه.

توفي يوم الأربعاء ثاني عشرين شوال سنة ٨١٣ هـ، ودُفن عند أبيه وأخيه، وهي أيضًا كنية السيد شهاب الدين أحمد بن محمد وفا، وُلد سنة ٧٩٠ هـ.

وتُوفي سنة ٨٢٦ هـ عن ست وثلاثين سنة.

(ف) أبو الفضل: كنية القطب سيدي محمد وفا لما جزم به التاج الوسيمي في شرح الحزب، وقيل: أبو التداني، وقد تقدم.

وهي أيضًا كنية السيد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد وفا، ومنهم من سماه محمدًا ويعرف بغريق النيل.

وُلد قبل السبعين وسبعمائة هـ، ونشأ على طريقة أبيه وعمه، وحضر مجلس السراج البلقيني، وتولع في النظم حتى برع فيه، ورثى أباه وعمه، وعمل المقاطيع الجيدة على الطريقة النباتية، وكان حسن الأخلاق، كيس العشرة.

مات غريقًا في النيل في يوم عاشوراء قريبًا من روضة مصر سنة أربع عشرة وثمانمائة أو ثلاث عشرة أو خمس عشرة هـ والأول أصح، ورجح السخاوي الثاني، وغرق معه الجمال محمد بن أحمد بن محمد الزبيري قاضي المالكية، ويُعرف بابن التينسي.

وهو أيضًا كنية حفيدة السيد محب الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالمجذوب، خلف أباه في المشيخة، وكان شديد الذكاء، متين الذوق.

قرأ يسيرًا في النحو وغيره ثم عرض له الجذب.

تُوفي عن نحو خمس وثلاثين عامًا في ليلة رابع عشر جُمادى الأولى من سنة ثمان وثمانين وثمانمائة هـ.

وهي أيضًا كنية السيد محمد بن محمد بن علي بن محمد وفا، نقله السخاوي.

وهي أيضًا كنية السيد محمد بن إبراهيم بن محمد الملقب بالفيل الأبيض.

كان على قدم عظيم من التقوى، وله مكاشفات، خلف في المشيخة والده.

تُوفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة ٩٣٢ هـ بالمشتهى، وحمل إلى القاهرة، ودُفن عند سلفه بالزاوية.

وهي أيضًا كنية حفيده السيد محمد بن إبراهيم بن محمد، خلف أباه في المشيخة، وكان على قدم عظيم من المراقبة، والتواضع، والحلم، والأمر بالمعروف.

وله كرامات تُوفي في سنة ثمان بعد الألف هـ، ودُفن عند سلفه.

وهي أيضًا كنية السيد محمد بن عبد الفتاح بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن الفيل الأبيض، تُوفي سنة ١٠٨٣هـ.

أبو الفتح: كنية السيد فتح الدين محمد بن أحمد بن محمد وفا، وهو بكنيته أشهر، وُلد تقريبًا سنة سبعين أو تسعين وسبعمائة هـ بالقاهرة ونشأ بها، فحفظ القرآن وكتبًا، وأخذ عن العز بن جماعة، والشمس البساطي، والبرماوي وغيرهم، وسمع مجلس الختم في البخاري علي ناصر الدين بن الفاقوسي في سنة إحدى وثلاثين هـ وبرع، وقال الشعر الحسن، وتكلم على الناس بعد والده، وصار أعلم بني الوفا قاطبة وأشعرهم، وحضر مجلسه أكابر العلماء: كالبساطي، والبرماوي، والشرف عيسى المغربي، والظاهر جقمق قبل سلطنته، مات بالروضة يوم الإثنين مستهل شعبان سنة ٨٥٢ هـ، وحُمل إلى مصر، فصُلي عليه بجامع سيدنا عمرو بن العاص، ودُفن في الزاوية عند آبائه.

وهي أيضًا كنية السيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن وفا.

(ق) أبو القاسم: كنية السيد محمد ابن القطب سيدي علي بن وفا.

وُلد بمصر سنة ٧٨٨هـ، وأخذ عن أبيه، وتكلم على الناس في البندقانيين، وعمل الميعاد، وتُوفي سنة ٨٣٣ هـ، ذكره السخاوي.

(ل) أبو اللطف: كنية السيد يحيى بن أمين الدين بن عبد الرزاق بن وفا، خلف في المشيخة عمه أبا الإكرام، وكان عم أبيه الشيخ أبو الفضل يقول:

أولاد السادات كلهم منهم الزيت إلا ولد ابن أخي، فإن زيته من رأسه إلى قدمه، تفقه على النور الأجهوري وحج قبل توليته السجادة خمسًا وعشرين مرة، وجاور بالحرمين سنين عديدة، وكان قوالاً بالحق أمارًا بالمعروف، لا يهاب أحدًا، وانقادت له الدولة، وكانوا يتبركون به.

تُوفي في سنة سبع وستين بعد الألف هـ.

(م) أبو المراحم: كنية السيد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشهيد، أمه رحمة بنت سيدي علي وفا، خلف في المشيخة عمه أبا السيادات.

وتُوفي في جُمادى الأولى سنة ٨٦٧ هـ في الروضة، وحُمل إلى الزاوية فدُفن بها عند سلفه، وكان يومًا مشهودًا.

أبو المكارم: كنية السيد إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن محمد وفا، وُلد سنة ٧٨٨هـ، وتُوفي سنة ٨٣٣هـ.

وهي أيضًا كنية السيد برهان الدين إبراهيم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهيد وُلد في حدود السبعين وثمانمائة هـ، ونشأ في كنف أبيه، فحفظ القرآن، والمختصر، وألفية ابن مالك، وعرض على جماعة شيئًا من محفوظاته، واستقر في المشيخة بعد أبيه وحج، وتُوفي في سنة ثمان وتسعمائة هـ.

وهي أيضًا كنية حفيده السيد برهان الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم.

وُلد في حدود العشرين وتسعمائة هـ، ومات والده وعمره أزيد من عشرين سنة، فخلفه في الزاوية مع يقظة، ونباهة، وعلو همة، وفضيلة، حفظ القرآن، والرسالة لابن أبي زيد والورقات في الأصول، والأجرومية في النحو، وقرأ محفوظه بحثًا ورواية على الشيخ أبي الحسن المالكي، وقرأها مع الورقات على السيد موسى الأرميوني بزاوية الحطاب، وكتب له إجازة بهما، ثم قرأهما أيضًا مع مختصر الشيخ خليل علي ناصر الدين اللقاني، وأجازه بثلاثتهما، واجتمع على أعيان وقته: كالشيخ أبي الحسن البكري وغيره، تُوفي سنة ست أو ثمان وستين وتسعمائة هـ، ودُفن عند آبائه.

وأبو الوفا: كنية سيدي محمد بن محمد بن محمد النجم.

وقيل: وفا لقبه، وأما كنيته فأبو الفضل، وأبو التداني، وقال المقريزي: هو الملقب بوفا، يقوله العامة أبو الوفا.

(هـ) أبو هادي: كنية السيد محمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عبد الوهاب، بن يوسف بن عبد الرزاق بن وفا.

وُلد تقريبًا في حدود سنة ١١٥٢ هـ.

ومات والده وهو طفل، خلف عمه أبا الإشراق في المشيخة والتكلم في سابع جمادى الأولى من سنة ١١٧١ هـ، وأقبل حينئذ على العقل، ووفور الذكاء، ومزيد الفهم،

والتودد إلى الناس بالبشاشة، وحسن الخلق، وأقبل على العلم إقبالاً كليًا، وتعلم أنواع الفروسية بشهامة زائدة، وقوة قلب.

وتولى نقابة السادة الأشراف وساس فيها أحسن سياسة، و لم يزل على أمر جميل حتى لبى مولاه صبح الخميس خامس ربيع الأول من سنة ١١٧٦ هـ، غُسل في قاعة التجلي، وصُلي عليه بالجامع الأزهر في مشهد حافل، وحُمل إلى الزاوية، فدُفن في حوطة عند سلفه رضي الله عنهم أجمعين.

المطلب الثامن في سر اختصاصها بسيدي علي وفا وأولاده

أما بحسب الظاهر: فإن التكنية كالأعلام، والألقاب للملوك خاصة، يضعونها على مَنْ شاءوا من خواص رجال الدولة تشريفًا لهم، وتنويهًا بشأنهم، وكانت نسبة السيد علي وأولاده في الأولياء نسبة الملوك مع الرعايا اختص بذلك من دونهم إعلامًا بأنه سلطان العارفين، وسيد المقربين، وجرى ذلك وتسلسل في ذريته، وسلسلة أهل الرسوخ والتمكن، وإليه أشار شيخنا المرحوم عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي في قصيدة له في مدحهم:

وَالأَوِلِيَاءُ وَإِنْ جَلَّتْ مَرَاتِبُهُمُ فِي رُتْبَةِ الْعَبْدِ وَالسَّادَاتِ سَادَاتُ

وأما بحسب الباطن: فهو إشارة إلى اختصاصه ﷺ بمقام محو الرسوم ولا سيما المعبر عنه بالفنا، أشار لذلك الإمام أبو الطيب الأقصرالي حيث قال في رسالته المسماة بالبارق الأسنى: لما أظلم ليل الشرك، وعبس وسطا بجنحه على جوانح القلوب، وعسعس وانفجر صبح الهداية في أفق سماء العناية بهالة شمس المحمدية، وتنفس، فأشرقت أراضي القلوب بنورها، وارتفع من البصائر، والأبصار، كثائف ستورها، وتلقت القوابل ما تطيقه حسب السابقة من الحكم خصوصًا وعمومًا تخصيصًا وتعميمًا، ولما استولى ذلك على الذوات أزيل به ما كان بها من الظلمات، وعمت لوازمه القوالب، والقلوب، وتطرقت به إليها أسرار الغيوب، فانطوت الجوانح على الأنوار، والأسرار، والحكم مستبدلة من ظلم الكفر المبعد عن معادن السيادة والنعم، وأتت الجوارح بما يريد ذلك، ويحققه لكل مؤمن سالك فمن خصوص النصوص للبعد المحفوص ما به تغنى الآنية، وتنعدم الأبنية، ومن تمام هذا القسم عدم الاسم كما انعدم له الرسم؛ ليتم له الفنا حيث تلاشيه جملة في المعنى على

بساط كل شيء هالك مستلزماً ثبوت توحد المستغني القاضي بنشأة البقاء بعد الفنا الموجبة؛ لتبديل الأسماء بالكنى من الحكم الغالب من تجليات الحسنى الظاهرة بأسمائها الحسنى، ومن هنا ظهر لنا بالصفاء حكمة سر اعتناء روح حضرة الجمال الأستاذ سيدي علي وفا بالكنى دون غيره من الكمل الأمناء، وهي سنة حسنة تشير إلى اعتنائه ﷺ بتمام مقام الفنا الذي هو أتم الاستعدادات؛ لتحصيل القصد الأسنى، وهو الذي ينبغي لكل مرشد، خصوصًا مَنْ ينهل من هذا المورد؛ لأن مَنْ لازم محو الرسم محو الاسم؛ ليكون عنده من وجوده الذي كان به مع الحجاب شيء، ثم توجيه عدم اعتناء غيره من الكمل الذين ساروا على سيره بها، نحمله على معنى، وهو أنهم قصدوا بقاء الاسم إعلامًا بعدم زوال الرسم سترًا على الحال وغيره من أهل المحال.

انتهى الكتاب والحمد لله أولاً وآخرًا

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي

وعلى آله وصحبه وسلم

شعائر العرفان

في

ألواح الكتمان

تأليف

قطب الأقطاب أبي الأنوار سيدي محمد بن محمد وفا

المتوفى ٧٦٥هـ

تحقيقه وتخريجه وتعليقه

أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب شعائر العرفان في الو
الكتمان الحمد لله ماحي السنن بالسنن ومكمل المنن بالمنن ومظهر اذ
في العلن ومدخل الزمن في الزمن وحاشر الامم في الامم ومنبع الحكم
نزل الارواح في الاشباح فاعرب في البيان واعجم من مزج الايام في الابد
فاسكت ناطق ولا نكلم واوج الاسما في الاسماء فما تبين مستخف وأ
وكتم الاسرار في النوايب فنطق الاخرس والابكم اظهر الانسان في
الاكوان وكان عنه نكونه فغيبه من حيث نعتي جعله عين الخير
وستره بستر القدرة ثم اعتوله الى انه الزمن محي نوهم الفكرة ووقف
على ما وجد واقتصر ولقد صدق وما اشد من قال تناهي القدرة
خلق البشر فكيف لا يصدق في مظننه وقد خلق الله ادم على صورته
وعلمه الاسما كلها فما خلف عنه شيا ولا اخره اسجد له ملكوت السموا
والارض فمن اعز منه ومن اخيره فسيد الاكوان من جهل الانسان وعبد
الرحمن من تحقق سره بالعرفان فسبحانه سبحانه وله الفضل والامر
والدليل الواضح والبرهان وعظمة القدرة والشان كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وشهادته له حقيقة التوحيد وهو
خلة صفة التجريد بامن هو الا هو شهد الله انه لا اله الا هو وشهد لمحمد
انه الرسول الا وحده وعرشه الا مجد وموضع المقصد الا قصد
لي بوجده وعنده لا يفقد وصلى الله عليه ووحد في لياليه العشرة
وامهات الصور التي اولد وعلى الخلق المثاني حتى القران العظيم جامع الآ
والمعاني وخاتم الواحد والثاني وبعد فان الشعور من نصوص الكتـ
المسطور وطي الرق المنشور منعقد بيل طوته على القصود وكا

صورة الصفحة الأولى من الشعائر

حَامِي حِمَي حَرَم حُرَمِهِ عبودته فتشعابر الاسرار في الانوار وتنزل الاخبار
في الاثار تستنزل الاحوال عن اعين الافكار وتخيل الاوهام بالاختبار فكتبنا
باقلام اعجميه لذوي القلوب العربيه في الالواح القابلة اللدنيه شعابر اوائ
شعابر في كل واحدة كنوز ودخاير يستغني بها الوارد والصادر فطوبي
لمن كان عبدا عاثرا بحيرة الحاير اذ لم يكن له ناصر ولا هو علي فتح اغلاقها
قادر وقد سميته بلا لسان بلسان الاحسان شعابر العرفان في الواح
الكتمان فجعلنا الله ممن نظر فنظر وسمع فحضر وبطن فخطر وثبت فاستقر
وامتحق فالتحق فصدق وصدق وتجرد فتوحد وتفرغ فحضر واستتر
فظهر واستحق الاسم الاعظم من حيث تحقق وشق العصاة فما اشتق وخرج
علي بصيرة في التمام في الارض والسماء فله الاسماء الحسني والصفات العلا والمنة
والولاء والصلاة والسلام الاسني علي جامع الرسل والانبياء وعلي اله اهل الاصطفاء
والولاء وسلم تسليما كثيرا تشعيره الحيرة كل الحيرة في الغيبة عن الغيرة
شهود الحق في محو الفرق السعود به تشبه حكم الربوبيه الاتحاد اخر مقامات
المعيه التوبة رجوعك عنك اليك الاوبه رجوعك اليك الانابه رجوعك
منه اليه الاعتزال رجوعك منك اليك الانتباه انتباهك من نوم الهم
المحاسبه رفع حكم العزة التفكر رفع شبهة التصور الاعتصام التمسك
بحبل الالهيه الرياضة سكون النفس عند حركة الطبع السماع نصوص
الحبوبية في عين الحيرة الحزن اهتمام القلب بحصول الاصل الخوف شعور
البقية بالفناء الاشفاق احجام العقل عن مشاهدة الاطلاق الخشوع
سكون النفس عند طوارق الازل الاخبات ذل الحس عند بداية التجلي
الزهد ترك الكل الورع اجتناب الارجح التبتل استمرار الطلب الرجا
شعور الحصول الرغبة امتلاء الامل المعاملات من احكام التخلق الرعاية
ملاحظة الاصل المراقبة دوام انتظار الوارد الحرمة القيام علي قدم التعظيم
الاخلاص حضرة من لا تدركه الابصار التهذيب اشعار النفس بنقص
القصد الاستقامة الثبوت علي الطريق الاوسط التوكل طلب بلا سبب
التفويض خروج عن الحيلة الثقة تيقن ما لا بد منه التسليم الانقياد بالطبع
الاخلاق في نتائج المقدمات الصبر تجرع مرارة البقية الرضا وجدان حلاوة

صورة الصفحة الثانية

جانبه وصور ادميه العقل ان رل ابوالارواح النبويه كما ادم ابو الاشباح
البشريه وكذلك جبريل ابو الارواح الملكيه كما ابليس ابو الارواح الجانيه
ومامن صورة بشريه [illegible] الا ولها صورة روحانيه نبويه تتجلى عليها وتشرق
فيها فتنا مرها وتنهاها [illegible] خيرها وتقواها ولكل صورة ادمية قرينان
قرين ملكي وقرين جاني يتعاقبان فان غلب الملكي على الجاني يحصل الصفا في الجوهر
الترابي جوهر التراب واشرقت الروح النبويه [illegible] وظهر فيها
صور [illegible] التجلي كما يظهر شكل [illegible] في المراة وان غلب الجان فاما ان تكون
غلبته متقاربة فتكون نسبة قرينه من النسبة وان كانت متباعدة كانت
شيطانيه فيغلب الكدر [illegible] يحجب البصر وينقطع الخبر ومن لم يجعل الله له
نورا فماله من نور وهذه الروح الامريه هي التي تحاسب العبد يوم القيمة وتجازيه
بشاكلة عمله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من عرف نفسه فقد عرف ربه
تم كتاب شعائر العرفان في الواح الكتمان بحمد الله وعونه وحسن [illegible]
ولله الحمد دايما ابدا [illegible] رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه اجمعين [illegible]

حرر [illegible] الهوانه
[illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة



مقدمة سيدنا المصنف

الحمد لله ماحي السنن بالسنن، ومكمِّل المنن بالمنن، ومظهر السر في العلن، ومدخل الزمن في الزمن، وحاشر الأمم في الأمم، ومنتج الحكم بالحكم، نـــزَّل الأرواح في الأشباح، فأعرب في البيان وأعجم، ومزج الإبهام في الإيضاح، فما سكت ناطقٌ ولا تكلم، وأولج الإمساء في الإصباح، فما تبيَّن مستخف ولا تكتَّم، وكتم الأسرار في الأنوار فنطق الأخرس والأبكم.

أظهر الإنسان في عين الأكوان، وكان عنه تكوَّن، فغيَّبه من حيث تعيَّن، جعله عين الخبر، وستره بسرٍّ القدر، فما عُثر له على أثرٍ، إلا من محي توهم الفكر، ووقف على ما وجد واقتصر، ولقد صدق وما أشر.

من قال: تناهى القدر في خلق البشر، فكيف لا يصدق في مظنته، وقد خلق الله آدم على صورته وعلَّمه الأسماء كلها، فما خلف عنه شيئًا ولا أخر، أسجد له ملكوت السموات والأرض، فمن أعز منه ومن أفخر، فعبدُ الأكوان من جهل الإنسان، وعينُ الرحمن من تحقق سرَّه بالعرفان، فسبحانه سبحان، وله الفضل والامتنان، والدليل الواضح والبرهان، وعظمة القدرة والشأن، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

وشهادته له حقيقة التوحيد، وموضع خلاصة التجريد، يا من هو إلا هو، شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد لمحمد الأحمد أنه الرسول الأوحد، وعرشه الأمجد، وموضع المقصد الأقصد، وغيره لا يوجد، وعنده لا يفقد.

وصلَّى الله عليه ووحد في لياليه العشر السُّجَّد، وأمهات الصور التي أولد، وعلى خلفاء المثاني، حتى القرآن العظيم جامع الأعيان والمعاني، وخاتم الواحد والثاني.

وبعد.. فإن الشعور من تضمَّن الكتاب المسطور، وطي الرق المنشور، متعذر نيل طَوله على القصُور، وكان حامي حمى حُرمة غيور، فشعائر الأسرار في الأنوار.

وتنـــزل الأخبار في الآثار، تستر الأحداث عن أعين الأفكار، وتحيل الأوهام بالاختبار، فكتبنا بأقلامٍ أعجمية لذوي القلوب العربية في الألواح القابلة اللدنية شعائرًا، وأي شعائرٍ في كل واحدةٍ كنوز وزخائر، يستغني بها الوارد والصادر، فطوبى لمن كان عليها عاثر، ويا حيرة الحائر إذ لم يكن له ناصر، ولا هو على فتح أغلاقها قادر، وقد سميت للإنسان بلسان الإحسان شعائر العرفان في ألواح الكتمان، فجعلنا الله ممن نظر فنظر، وسمع فحضر، وبطن فخطر، وثبت فاستمر، وامتحق فالتحق، فصدق وصدق، وتجرد فتوحَّد، وتفرَّغ فعمر، واستتر فظهر، واستحق الاسم الأعظم من حيث تحقق، وشق العصاة فما أشفق، وخرج على بصيرةٍ في العماء في الأرض والسماء، فله الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، والمنّة والولا.

والصَّلاة والسلام الأسنى على جامع الرسل والأنبياء، وعلى آله أهل الاصطفائية والولاء، وسلّم تسليماً كثيرًا.



الشعيرة الأولى

الخير: كل الخير في الغيبة عن الغير.

شهود: الحق في محو الفرق.

العبودية: تثبت حكم الربوبية.

الاتحاد: آخر مقامات المعية.

التوبة: رجوعك عنك إليك.

الأوبة: رجوعك إليك.

الإنابة: رجوعك منك إليه.

الفرار: رجوعك منك إليك.

اليقظة: انتباهك من نوم الوهم.

المحاسبة: رفع حكم العدد.

التفكر: رفع شبهة التصور.

الاعتصام: التمسك بحبل الأزلية.

الرياضة: سكون النفس عند حركة الطبع.

السماع: تصور الخبر في عين المخبر.

الحزن: اهتمام الفرع بحصول الأصل.

الخوف: شعور البقية بالفناء.

الإشفاق: إحجام العقل عن مشاهدة الإطلاق.

الخشوع: سكون النفس عند طوارق الأزل.

الإخبات: دك الحس عند بداية التجلي.

الزُّهد: ترك الكل.

الورع: اختيار الأرجح.

التبتل: استمرار الطلب.

الرجاء: شعور الحصول.

الرغبة: إملاء الأمل.

المعاملات: من أحكام التخلق.

الرعاية: ملاحظة الأصلح.

المراقبة: دوام انتظار الوارد.

الحرمة: القيام على قدم التعظيم.

الإخلاص: حضرة من لا تدركه الأبصار.

التهذيب: إشعار النفس بنقض القصد.

الاستقامة: الثبوت على الطريق الأوسط.

التوكُّل: طلبٌ بلا سبب.

التفويض: خروج عن الحيلة.

الثقة: تيقن ما لا بدَّ منه.

التسليم: انقيادٌ بالطبع.

الأخلاق: نتائج المقدمات.

الصبر: تجرع مرارة البقية.

الرِّضا: وجدان حلاوة فقد الغير.

الإيثار: غيبةٌ عن الضرورة.

الخلق: نتيجة صفاء المعاملة.

التواضع: إسقاط التمييز.

الفتوة: النظر بعين الجمال.

الانبساط: مشاهدةٌ من محض الرحمة.

الأصول: كل أساسٍ بُني عليه.

القصد: توجه الهمة للمطلوب.

العزم: ترك التعلل.

الإرادة: ترك الإرادة.

الأدب: القيام بحكم الوقت.

اليقين: عدم التردد.

الأنس: دوام المجالسة.

الذّكر: استحضار المذكور.

الفقر: فقدٌ لا ترك.

الفناء: وجودٌ لا تواجد.

المراد: مقهورٌ مكرم.

الأودية: حضرات الهيمان.

الإحسان: انفهاق المعنى على الأعيان.

العلم: تجويزٌ في موضع الاستحالة.

الحكمة: شهود الجمع في الفرق.

البصيرة: اطلاعٌ على مكنون السر.

الفراسة: استخراج الغيب من الشهادة.

التعظيم: حفظ الحق في كل شيءٍ.

الإلهام: بداية الوحي.

السكينة: ركونٌ إلى ما يعطي الوقت.

الطمأنينة: طمعٌ بحصول الغاية.

الهمة: خروجٌ عن كل ما أوجب الحجاب.

الأحوال: أطوارٌ منفصلةٌ.

المحبّة: استهلاك المحب في عين المحبوب.

الغيرة: بغيةٌ توجب تقديس المحل.

الشوق: مثير الطلب.

القلق: عجلة تصحب الشوق.

العطش: تطلع لما يدفع به حرارة القطيعة.

الوجد: طربٌ يقوم بالقلب عند تيقن القرب.

الدهش: حيرة البصيرة عند رفع الستر.

الهيمان: تطلبٌ على حيرةٍ.

البرق: لوائحٌ تشعر بالكشف.

الذوق: ورود قطرات النعيم.

الولايات: اختيار الأعلى لا الأدنى.

اللحظ: تصفح الوارد.

الوقت: غلبة ما يرد.

الصفاء: تخلص الوقت من المعاتبة؛

السماع: من سر الوارد.

السر: لا يُدرك ولا يُترك.

النَفَس: نفحة سر الأمر.

الغربة: تنكيرٌ في الموجود بالمسموع.

الغرق: إياس من التخلص.

الغيبة: ذهولٌ عن العوائد.

الحقائق: غايات المطالب.

المكاشفة: نفوذ البصيرة إلى مكنون الغيب.

المشاهدة: استمرار دوام التجلّي.

التمكين: رسوخ القدم في حضرات الفعل.

المعاينة: استغراق الخلق في مظاهر الحق.

القبض: أثر الجلال.

البسط: أثر الجمال.

السُّكر: الغيبة عن تفصيل العقل.

الصحو: رجوعٌ إلى الفرع بالأصل.

الاتصال: رفع حكم البين.

الانفصال: وحشةٌ تشعرها البقية.

النهايات: رسوخ الأقدام في مواطن الإكرام.

المعرفة: شهود الحق في كل شيءٍ بحكمة.

الفناء: استهلاك كل شيءٍ في الله.

البقاء: إثبات كل شيءٍ بالله.

التحقيق: كان الله ولا شيء معه.

التلبيس: صناعة التزين في الوضع.

الوجود: لا يقبل العدم.

التجريد: الخروج من حضرة إلى حضرة.

التفريد: شهود الحق في كل شيءٍ بحكمة.

الجمع: إسقاط حكم المعية.

التوحيد: لا أنا ولا أنت.

***

الشعيرة الثانية

مفاتيح الغيب الأزل: أسرار أمهات العلم، ولما كان الغيب العدم خزائن سره المكتم، في غياهب ليلة العتم، لم يكن ثَمَّ فصل ظاهر، ولا بصر ناظر، ولا لسان ناظم، ولا تأثر، ولم يكن إلا علم ومعلوم، بتقدير اتحاد الذوات وامتزاج الصفات، كانت هذه الأقوية الأقلام وألسنة السر العلام، أول أنوار ظهرت، وذوات سمعت وأبصرت، وأقلام تكلمت وأخبرت، وعلمت وأرادت وقدَّرت، وكانت في العندية الإلهية الأحدية الصمدانية تقديرًا لا تعيينًا، وتوحيدًا لا تحديدًا، وكان المهيمن على مجموعها الوجود في عين الحياة ونورها الباصر الأسنى.

ومن ها هنا لا يظهر على غيبه أحدًا من الجبروت الأخفى، ولموضع تحقيق الأسماء الحسنى حيث لم يكن ثَمَّ إلا الله، ولا شيء يُعرف سواه، ثم انفهقت الأنوار الساطعة والبروق اللامعة، والأسماء الجامعة، مقاليد الملكوت الروحاني، والأفق الرحماني الرباني، أسماء عاقلة ومفكرة، وحافظة وخيالية وذاكرة، ووهمية وإلهامية، تفتح خزائن اللاهوت وتستخرج خزائن الملكوت، تعين ولا تجسم، وتمثل ولا تخيل، ثم نتجت المقاليد السماوية الأرضية، والأرواح الرضية المرضية، والأشكال المعينة أمهات الملكية، الحواس المدركة المفصلة، والأنوار المميزة المفصَّلة، كان آخر مقامات النــزول، ومستقرات التحصيل والحصول، وليس إلا محسوس جسماني، وأعيان وأواني، حروفٌ مسطرةٌ، ومقاديرٌ مقدرةٌ، وإلى هنا تنتهي تنــزلات القوى من مصافها الأعلى إلى أفقها الأدنى، ثم إليها يكون الانتهاء عند العود إلى موضع الابتداء، ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨]

و﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه:٦].

فنسأل الله الفتح المبين على الأفق المبين، بأسرار المقرَّبين من حضرات الروح الأمين، آمين آمين.

الشعيرة الثالثة

النور والنار بالفرق حجابي الحقيقة والحق، المطلوب بالوضع مهروبٌ عنه بالطبع، وحيث المرجوح وعكس الممدوح، تلويح البشر بالمعنى الذي لا يبقي ولا يذر.

وهذه الطريقة تعين الحقيقة، والآخر إليه مرجوع بتوهم المسموع، ولست أخاف عليكم الذنب، ولكن أخاف عليكم ما هو أشد منه، العجب، «**وحفت النار بالشهوات**»، عبارة عما في باطنها من الأمن والأمنيات، والأسرار الخفيات، وبما هي عزة اللاهوت تحجبت بالجبروت، وأعلن باللاهوت في الناسوت، فظاهر المحفوف عبارة عن باطنه المكفوف، كانت الحضرة النورانية أشهى لوجاهة العقل، وبما سُتر الخبر بالنقل، فهي تهييج مظاهر الحق، وتزين الوضع بالفرق، وحجاب الغيرة بالغيرة، وتكتم السريرة بهذه السيرة، فالأجلُّ في الأقل والعكس، «**وحُفَّت الجنة بالمكاره**[1]» لما في باطن أمرها من منع الوصول إلى حقيقة الإطلاق، والتخلص من قيد الوثاق، والنظر إلى مشاهد الإشراق، ولأنها موضع تنعم الحس، واستقرار شهوات النفس، وهما الحجابان المانعان، والسيفان القاطعان، وحيث تلاشي الخلق شُهد الحق، فما أعز المطلب إذا كان بالطلبَ عنه المهرب، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

الشعيرة الرابعة

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٤٠]، وبما تناهت الأزمان في الأزمان، واجتمعت الأحيان في الأحيان، وأشرقت شموس الأيام السبعة في مطلع يوم الجمعة، واجتمع في حيطة الجامع لكل مريدٍ حي قادر عالم بصير متكلم سامع، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر:٦٩].

وحان وقت الاستواء، وتجلّي الإمام الأكبر في شرفات المنبر، وقد تحجب بالأطلس،

---

(١) رواه مسلم (٤/٢١٧٤)، والترمذي (٤/٦٩٣)، وأحمد (٢/١٥٣).

وتـــنكر وتعرف للخبر بحكم ما أخبر، وقام مؤذن الحق وكبَّر، وخشعت الأصوات للرحمن، وشخصت الأبصار وصغت الآذان، وانتظم كلم الخطابة في الساعة المجابة، وبما كان قيام الساعة في هذا اليوم الكريم الجلي، وهو عين اليوم الكلي، جاء الحق وزهق الباطل، وتلا الإمام الأمي، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:٤٢].

فلما أخذ الإمام الجامع في الصلاة بالجمع المطيع السامع، خلت البيوت من أربابها، وتداعت المنازل بخرابها، وأصبحت الأرض مشرقة بنور ربها، وقام الباعث الوارث وقد خلت عليه البلاد، واجتمعت العباد إلى المعاد، جمع النفوسَ النفيسة، والأرواح والقلوب المطهرة والأشباح، وجُمع الفرق، وتحقق الحق، وبما خُصت الأرض بالميراث؛ لتحقق موت نفوسها، ومحو رسومها وطروسها، ولذلك كانت موضع الخلافة والولاء:

﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر:٧٤]، ولما عمدت المقامات والدرجات، وتروحت الأسماء والصفات، وخلعت الخلع الوحدانية على الذوات الفردانية، وتوجوا بالتيجان الربَّانية، ولذلك كانت: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس:١٠].

واعلم أن الإنسان هو العرش المحيط، وله من ثقل العظم أطيط، وبما كان العين الكاملة، والدائرة الجامعة الشاملة، حفَّت به الأرواح المجردة، والأنوار الزاهرة المفردة، وعظم التسبيح والتقديس، وارتفع حكم التشكيل والتلبيس، وسرى سر التهليل بالتحليل، وانفضَّت الختامات، وارتفعت الملامات، وظهرت الكرامات، وعظم المجد والجد، وكثر الشكر والحمد.

وأما الرؤية التي تكون في دار البقاء، وموضع الارتفاع والارتقاء، هي برفع حجاب الشك والشرك، والكفر والإفك، فيجوز المستحيل، ويرتفع التجريح بالتعديل، ويستغرق التصحيح التعليل، فيرونه رأي العين، وقد ارتفع الكيف والأين، وتسقط الغيرة بنفي الغير، ويعم النعيم وتمتزج الكؤوس بالتسنيم:

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:٨٠]، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

***

الشعيرة الخامسة

اعلم وفقك الله أن العوالم[1] الثلاث: وهو عالم العقل وبما فيه من أسرارٍ ذاتية، لاهوتية وصفات قدوسية واجبية، ومعان نورانية، هي أقوية التفرد والتحكمات.

وموضع إبداء الأسرار والصفات بالتجليات.

كان هذا عالم الجبروت، مفارقًا لما سواه بذاته وصفاته وإياه، وبما تنــزّه عن الزمان والمكان، والأين والمثل والكيف، والأطعام والأذواق، والألوان، وكانت النفس الناطقة وهي العالم القريب بالتجريد من صفاته المحققة بالتوحيد، هي عرشه وفرشه، وحضرته وقدسه، وهي عالم الملائكة العظام، والحجب المقدسة الكرام، ثم إن عالم الكون والفساد والطباع الأربعة الأكوان، وبما انحصروا في القوة الحيوان، ولذلك كان النتاج من حيث هذه الروح الحيوانية عن الكل بالجزء، تبرز نوادرًا من القوة للفعل، ثم تــتطور وتــنتــقل من الاستعداد المعدني، ثم استعداد النبات، ثم استعداد الحيوان، ثم تــتــنــزل لروح من العالم المشترك البرزخي، الذي هو الفصل بين العالمين، والوصل بين المتباعدين، عالم الروح الأمين بالاستعدادات الإنسانية إلى الكُمَّل من الأشخاص الحيوانية، وبما نزفت لممكنات الكونيات بتــنــزل الواجبيات الآمريات، حكمةٌ كحكمة، وسنةٌ كسنة.

واعلم أنه ما خلف حجاب هذه الأكوان الحيوان غير عالم الجان، وغايتها الإنسان، كما أن غاية الإنسان الرحمن، وما بين الإنسان والرحمن إلا الملائكة المقرَّبون، والأرواح القدسيون المكرمون، وما نزفت من الأرواح الحيوانية تكون بالملائكية، وإن عكست تنقلت إلى الشيطانية، ومهما نزفت من الإنسانية إلى الملائكية فإلى النبوية، فإن أحجمت

---

[1]) قال سيدي ابن ناصر الكيلاني: العالم مأخوذ من العلامة، وهو عبارة عن كل ما سوى الله، والعوالم كثيرة جدًا، وأمهاتها هي الحضرات الوجوديّة، وأول العوالم المتعيّنة من العماء عالم المثال المطلق، ثم عالم الرسم، ثم عالم القلم واللوح، ثم عالم الطبيعة من حيث ظهور حكمها في الأجسام الحقيقي الهيولي، والجسم الكل، ثم العرش، ثم هكذا على الترتيب إلى أن ينتهي الأمر إلى الإنسان في عالم الدنيا، ثم عالم البرزخ، ثم عالم الحشر، ثم عالم جهنم، ثم عالم الجنان، ثم عالم الكثيب، ثم حضرة أحديَّة الجمع والوجود الذي هو ينبوع جميع العوالم كلها، هكذا كاشفه صاحب الكشف الأتم، فافهم والله الهادي والمفهم. وانظر: مجمع البحرين شرح الفصين (بتحقيقنا).

وقفت مع الملائكية، وإن نفدت فإلى الحضرات الرحمانية.

هذا فيما يُعطى الترقي والتلقي مع الجاذب الملكي، والدليل النبوي.

وأمـــا فيما تُعطى التـــنـــزلات الربّانية بالبطانات السريانية، فتخصيصٌ لا يُعقل سره ولا يُدرك كنهه.

واعلم أن الاسم الذات المتّصف بجميع الصفات بالذات يتجلّى على أسماء الصفات الذات الوجودية، فيستغرقها في الذات، فإذا صارت ذوات وكلمات تامات تجلّت على ما يليها من أسماء الأفعال، فرقتها إلى مقاماتها التي عنها انتقلت، فإذا كانت الأفعال صفات للذات نقلت المفعولات بالتجليات إلى مقام الأفعال، ثم يبرز الحيوان من أفلاكه الأربعة الطباع لإحكام الترتيب للأوضاع، والأمر كذلك ولا نهاية لذلك، أسرارٌ تـتنـزل بالإلهية إلى الحيوانية، وتترقّى بالروحانية إلى الرحمانية، وما بين هذا التنـــزل والترقّي فقعرات سجينيات أرضيات، ودرجات رضوانيات سماويات، وحضرات وغير حضرات، وعوالم مفترقات، فسبحان من لا يُدرك كنهه، ولا يُبلغ شأوه، ولا ينفد أمره.

الشعيرة السادسة

﴿الَـــر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود:١]، هذا الإحكام في الكتب هو حقيقة التأصيل والضبط، وكان الأمر في الغيب حيث لا شك ولا ريب، قبل تعين الأكوان وتكون الأعيان، علومًا غيبية، ومعلومات كتبية، وأسماء أعجمية وعربية، تبرز من أعماق الأزلية، وتظهر في الآفاق الأبدية.

وبما قال ﷺ: «كتب الله مقادير الأشياء قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء».

فكان هذا الكتاب تأسيس ما يكون من المجمل في المفصل، ومن المعلوم في المؤول، وكما كانت الأشياء تقديرات كان الزمان كذلك، والعرش الذي كان على الماء هو جامع الأسماء، ومشرق شموس الآلاء، وموضع تـــنـــزل الاستواء، عليه وقع الخطاب، وفيه رقم الكتاب، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١].

وأما الماء فهو نور العين العرشية، الممتد بنهاية الظلية من رأس السمت الأول إلى

منتهى المركز الأسفل، كل ذلك وستر العين سيل، والأمر مفصل والخلق مجمل، وبما كان الحاكم الأول والذات الأكرم الأفضل، والذوات السبعة الذين هم أحكم أصله وفرعه، وحقق فرقه وجمعه، مفاتيح كنوز أزله ومقاليد آفاق أبده، الحياة[١] وعنها مصادر الأمهات، والعلم وعنه مصادر الآيات، والقدرة وعنها مصادر الأقوية الفاعلة، والسمع وعنه مصادر التصورات، والكلام وعنه مصادر المصورات، والبصر وعنه مصادر العينيات والمشكلات، والإرادة وعنها مصادر الترتيب والتقديرات، كل هذه أقوية فعَّالة، وأرواح قدوسيات، وأسرار لاهوتيات، فلما نفدت الإرادة بتحقيق هذه السيادة أوجدت القدرة وما أحدثت، وتكلّمت القوة وما حدَّثت، وتجلّت الذوات المطلقة فأظهرت وما كونت، وخلقت وما خلقت، فبرز الموجب عن الواجب، وتجلّى الحاضر في الغائب، وظهرت الأرواح في الأشباح، وانتشر الرفرف وخفق الجناح، وجرت الأقلام فكتبت، وقابلتها الألواح فحفظت، وركبت الألوف الحروف، وتربعت الطباع بالأوضاع، وأبرز الهوى الهباء، وتكاثف عنه الماء ثم صار أرضًا صمًّا، وتصادمت الأركان والأكوان فكان الأثير عن هذا التأثير، وتمّ النظام بالتقدير، واستوى المهاد بالتدبير[٢]، وعظم التسبيح بالحمد، وتزايد الناتج في العد، فلما اعتدلت الحركة، وتمهّدت المملكة.

---

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: الحياة هي على الحقيقة إبدال أوصاف المُبقَي بنعوت المُبقِي وهي ببقاءٍ لا بإبقاءٍ، وحقيقتها: ثبوتٌ يمنع الحادث من التغيير، وتمكينٌ يجرِّد المُمَكنَ عن صفة نفسه، وغايتها: قيامٌ يمتنع انقطاعه، ووجودٌ يستحيل عدمه اهـ.

(٢) التدبُّر: نعتٌ للحق من حيث تجليِّه في باطن الرُّتبة الإنسانية، وفي الإنسان الكامل، فإن نَظَرَ الكامل بربه، وإن شئت قل نَظَرَ الحق بالكامل في المزجة الوجودية الحاصلة من انبساط الوجود على التعينات العلمية المسمَّاة معلومات وممكنات؛ لتمييز أحكام المراتب بعضها عن بعضٍ، وإضافة كل فرع إلى أصله؛ لتبقى بعد الامتزاج الوجودي متميزة الأحكام والإضافات كـ«هي»؛ باعتبار تجرُّدها عما تلبّست به من الصور الوجودية تسمَّى تدبُّرًا، فهو توجُّه إلهي بسرٍّ عبدانيٍّ، وتوجُّه عبداني بحقيقة الألوهة نحو أمرٍ مشهودٍ حالاً، معلومٍ مشهودٍ أزلاً وآنًا؛ توجُّهًا كليًّا إلى أصلٍ جمليٍّ؛ لِيَفُكَ ختام تفصيله؛ حبًّا في إكمال إيضاحه وتبيينه وتوصيله.

وليس هذا شأن الفكر، فإن الفكر هو توجُّه نفساني بصفة افتقارٍ واستعانة بموادٍ معلومة من قبل؛ مستفادةً من الحسِّ والأوليات وترتيبها على نحوٍ خاص؛ طلبًا لأن يقتنص بذلك كله ما شَعُرَت به نفسٌ للمتوجِّه من خلف حجابِ الطبع، ومن حيث صفةٍ من صفاته، أو لازم أو عارض مما ليس بمعلومٍ عنده؛ ليصير معلومًا. وانظر: النفحات الإلهية للصدر القونوي ﷺ (ص٩٧) بتحقيقنا.

قال صاحب القدرة المنيفة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فقالت ألسنة الغـــيرة[1] بمـــا تقدّم لها من وقار الحضرة: نحن نقدر الحمد قدره، ونوفي المذكور ذكره، فأجاب اللسان المكنون: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

وهنا سريرة إلهية، وذخيرة رحمانية، تندرج في الخلعة الخلافية حتى الظهيرة الوفائية، حيث الختم والانتهاء، والفتح والابتداء، سنة كسنة، وحكمة كحكمة، سنةٌ لا تتبدل، وحكمةٌ لا تتحول، تُنفد ولا تَنفد، وأتقن إحكام الأوضاع برفع القبضة من التراب إلى بطانتها الخضراء، والدمنة الزهراء، نفر الأشباح، وانفهاق الأرواح، وكما نزل الأمر من المحدَّب إلى القعرة، رقا الخليفة من القعرة إلى الحضرة، فكان الخلق من التراب لإحكام هذه الأسباب.

واعلم أن هذا كله من سنة فتق الرتق، وتحقق وحي الأمر في الخلق، والذي كان وما زال والحال عند نفي الإشكال ما حال.

واعلم أن ما تراه من آفاق وأفلاك وأشباح وأملاك وألواح وسطور وأعيان ونذور وظواهر وبواطن، كل ذلك فتق رتق، وتـــنـــزل أمر في خلقٍ، وبحسب ما يكون الأمر يكون تصور الروح، يكون مخيل الملك، يكون تعين الفلك.

ومن هنا فاعلم أن لكل فلكٍ ملك، ولكل ملكٍ تأثير وتدبير، وفعل وتقدير، وعلم واستيلاء، وله أرضٌ وسماءٌ، وأفقٌ وأفلاكٌ وهواء، ثم يتنوع في نفسه إلى آفاق وأفلاك، كذلك ثم كذلك، وهذا من سر التبارك، وإبراز ما لم يكن هنالك، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور:٤١]، وكان الارتقاء والتنـــزيل بحكم التفصيل والتجميل، وما هو إلا روحٌ تلبس روح، أو كيفية تنفهق على ماهية، وقد انقلب العين والأين، وتبدَّل الأفق واللون، وخيل له الحكم الغالب أنه ترقّى ونزل، وحكم وعزل، وأجمل وفصَّل، وابتدأ وانتهى، وغاب وحضر، وعلم وجهل، وعلى ما يكون من أحكام المتصل والمنفصل، والمتحول والمنـــتقل، وكل ذلك كائن ولم يكن، فلما خلعت على القبضة الأرضية، والمؤتلفة الجسمية أشرف مياه روحانية ملكية، انفهقت عليها الماهية الإنسانية، فاستوت

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: الغيرة هي حرصٌ يُوجب صون المخصوص بالمحبة عن إشراف لواحظ الأسباب المؤدِّية إلى بذله، مع عدم الاستحقاق، واستقباح فحش الشركة فيه، وحقيقتها: حمى تستلزمها المحبة؛ لمنع صفاء ما يكدر صفاء العين مع المحبوب اهـــ.

عند ذلك الهوية[1] الرحمانية، فما وسع الجنود غير السجود، وأقرت الشهود للمشهود بأنه الرب المعبود، وبما أعرضت القوة الغضبية عن السجدة الملكية بما كان، ثم من سترٍ حصين على سرٍّ مصون، وعقدٍ ثمين، فاحتجب الاجتهاد في الجحود، واستتر القريب في المبعود، وانقلب الفاقد بالموجود، إنما هي أحكامٌ تظهر، وحكمٌ تُصان وتُستر.

الشعيرة السابعة

كتب القلم الأول في اللوح الباطن المجمل، بمداد الأزل علم الظاهر والمرسل، إلى الأبد الآخر المفصل، فأول ما كتب سبع كلمات ذوات مجردات من الأسماء والصفات: الله الله الله الله الله الله الله، وكان لها ثامنًا وعليها محيط، وفيها كامل، ثم تجلّت فأظهرت سبع صفات سبوحيات قدوسيات، وجوديات لا عدميات، وجمعيات لا فرقيات، وحقيّات لا حقيقيات، وكلٌّ منها في كلٍّ منها، بكله مستترٌ خلف حجاب، قوته بنعله، موافي العالم المريد، القادر، السميع، البصير، المتكلم، وتمنها بالخاتم الأول، والعالم الأكمل، فكان جامع حضرات ربوبياتها، وعين أعيان خزائن جبروتياتها، ومشرق شموس ملكوتياتها، روح القدس الأمر الإنسان، عمود الساق في أعماق الآفاق، ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ*إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة:٢٩، ٣٠]، وبهذه الكلمات والأسماء المعظمات خلفاء الله

---

(١) والهوية بضم الهاء: يُراد بها عند الحكماء: الحقيقة الجزئية؛ لأن ما به الشيء هو هو، إن كان جزئيًّا تسمّى بذلك. وإن كان كليًّا يُسمّى بالماهية، وإن لم يعتبر فيه كلية ولا جزئية كان حقيقة، فهي أعم منها. وهذا المعنى وإن كان صحيحًا في نفسه عند السادة حيث أن الوجود الحق عندهم جزئي لا كلي: أي هو شيء واحد ظهر بكثرة إلا إنهم: أي السادة اصطلحوا على الهوية بأنها الوجود الحق الذي لم يؤخذ بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء، فإن الوجود كما قدمنا إما أن يؤخذ لا بشرط شيء، وهو الذات البحت.

وإما إن يؤخذ بشرط شيء ولو كثرة، وهو مقام الجمع المعبر عنه بالواحدية، وإما أن يؤخذ لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء، وهو هذه الهوية السارية بكل شيءٍ، أي شيء كان، وهي الوجود الحق المذكور، والمراد بالسريان الظهور في المظاهر: أي ظهور هذه الهوية في كل شيءٍ، كما يشاهده العارفون فإنهم صرَّحوا به، لا يكون الكامل كاملاً حتى يرى هوية الحق سارية في كل شيءٍ، بل وهويته كذلك؛ إذ هي هي، ولا يظن الحلول بقسميه، بل ولا يتوهم أن لا اثنينية أصلاً، بل شيء واحد تعين بتعينات حسية وغيرها رجعت إلى عدم محض. وانظر: كشف الأسرار لصلاة سيد الأبرار للعطار (ص١٢٥) بتحقيقنا.

في الأرض والسموات، أمهات الجزئيات في الصور الملكيات والملكوتيات، فما أخفى سرهم، وما أدق أمرهم، وما أعظم في كل دورٍ قدرهم، فالكل في الوحدة.

الأول: بالأحد.

والثاني: بالواحد.

والثالث: بالاتحاد.

والرابع: بالحلول[1].

---

(١) **قلت**: مسألة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود قد كثر فيها الكلام من العالم والجاهل، فكثر الكلام، وتخبطت الآراء، وتنازعت، وبمجرد إطلاق لفظ وحدة الوجود يتوهم الجاهل القول بالحلول والاتحاد، ونسبها ظلمًا وعدوانًا الكثير من الجهلة قديمًا إلى سيدنا الشيخ الأكبر وأكابر الأولياء: كالشيخ سيدي عبد الكريم الجيلي، والشيخ القوني، والشيخ ابن سبعين، والشيخ ابن الفارض، وغيرهم رضي الله عن جميعهم، وتبعهم على ذلك أتباعهم من المتأخرين، وإن شئت قلت: أعوانهم في تلك الجهالة، وكان مدخلهم إلى هذه النسبة وتلك الاعتراضات وتجرؤهم على ما يجهلونه من علوم الأولياء نظرهم إلى علوم القوم باعتبار أنها علومٌ فلسفيةٌ، مصدرها الفكر والعقل، ولا ما روي عن أبي جحيفة قال: سألت عليًا ﷺ: هل عندك عن النبي ﷺ شيءٌ سوى القرآن؟ فقال: (لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبدًا فهمًا في القرآن وما في هذه الصحيفة)، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ الحديث، ولا ما روي في البخاري: حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)، ولم يبلغهم مما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مما يقرر اختصاص الحق سبحانه لمن شاء من عباده بما شاء من عطاياه، سواء كان المُعطَى محسوسًا أم معنويًا كالعلم بالله والفهم في كتابه، فراحوا ينكرون كل ما يجهلونه، وكأنهم أحاطوا بما عند الله، أو تحكموا على الله في ألا يعطي أحدًا من خلقه إلا بعد أن يستأذنهم، ولا يُفهِمُ أحدًا في كتابه إلا بما فَهِمُوه هم بفهمهم السقيم لا غير، فسبُّوا ولعنُوا أولياء الله، وجعلوا يستشهدون بأقوال أهل الكفر المستشرقين الذين ما أرادوا بالإسلام والمسلمين خيرًا قطُّ على أئمة الهدى المسلمين، فينسبون العلم اللدني الوارد ذكره في كتاب الله وفي سنة رسول الله تارةً إلى المسيحية، وتارةً إلى الفلسفة اليونانية، وأخرى إلى الاستنباطات العقلية تبعًا لهؤلاء المستشرقين، الذين أدركوا حقيقة علوم التصوف، وما لها من العظمة بحيث يعجز غير المسلمين عن الإتيان بشيءٍ منها، وكيف لا وهي من السيد الأعظم ﷺ متلقاةٌ، وأن التصوف الإسلامي منذ عهد الصحابة إلى الآن السبب الأقوى والفعَّال في دخول جموع الناس في دين الله أفواجًا، وهذا ما يشهد به =

=

التاريخ، فراحوا ينسبونها إلى أنفسهم أو إلى عقلٍ وفكرٍ كما مرَّ محاولين بذلك التقليل من شأن العلم في قلوب المسلمين، ولكن هيهات هيهات: ببعضٍ من النظريات التي يكذبها التاريخ، وتأباها عظمة الدين الخاتم: فترى دافع المتقدمين إلى الإنكار:

الحقد، والحسد، وحب السمعة، والمتأخرين: الجهل الذي ملأ قلوبهم فتراهم ينقلون أقوال إخوانهم الذين يمدونهم في الغيِّ دون أدنى معرفة بالدليل الذي استند إليه العلماء بالله، ولا يستبرئ لدينه فيبحث عنه، بل أخذوا يكررون ويرددون الأقوال المنكرة في حقِّ سادات الأمة المحمدية ورثة الأنبياء تلك الأقوال العارية بالطبع عن دليل القوم، وكان الأحق بهم قبل أن يؤذنهم الله بمحاربته بإيذائهم لأوليائه أن يأخذوا العلم من أهله؛ وخصوصًا أن علوم القوم موضوعها العقائد المتعلقة بمعرفة الله ورسوله ﷺ، وتلك أمورٌ محلها القلب، فلا اطِّلاع عليها إلا لصاحبها.

ولا تظن يا أخي أن علوم القوم خاليةٌ عن تأييد الشرع، أو عاريةٌ عن الدليل، كما صوَّرها هؤلاء الجهلة، بل الحق الذي لا مرية فيه أنه لا توجد عقيدةٌ قررها القوم في كتبهم إلا وهي محاطةٌ بالدليل الشرعي، والمتتبع لأقوالهم نفعنا الله بهم يجدها مصحوبةً بالدليل.

فتبرَّأ لدينك يا أخي، وإيَّاك أن تعترض على أحدٍ من العلماء بالله بجهلك في أمرٍ جهلته من كلامهم، أو أن يكونَ لك أيُّ نسبةٍ تربطك بهذا الاعتراضِ فالأمر جدٌّ وليس بالهزل.

وانظر كيف نُسبوا إلى الله في تسميتهم، بل وحقيقتهم في قول: أولياء الله، أو العلماء بالله، أو العارفين بالله، فما عاديت في الحقيقة إلا ما نُسب لله؛ فانتبه من رقدتك.

واعلم أني ما ذكرت لك تلك المقدمة في هذا الموضع إعلامًا منِّي بأن واحدًا من العلماء بالله يقول بالحلول أو الاتحاد معاذ الله، ولكن لأوضح لك حقيقة الخلاف، والله يتولى هداك وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وإليك نصوص ما ذكره ساداتنا العلماء بالله في نفيهم للحلول والاتحاد المتوهَّم في حقهم الشريف فنقول وبالله التوفيق:

قال سيدنا في «الفتوحات» في باب الأسرار: من قال بالحلول فهو معلولٌ؛ فإن القول بالحلول مرضٌ لا يزول، ومن فَصَلَ بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه، ألا ترى قوله: «كنتُ سمعَه الذي يسمع به»، أثبتك بإعادة الضمير إليك ليدلك عليك، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فإنه أثبتك حالاً ومحلاً، فمَنْ فَصَلَ نفسهُ عن الحق فنِعْمَ ما فَعل.

وقال في باب الأسرار أيضًا: الحادث لا يخلو عن الحوادث، لو حلَّ بالحادث القديم لصحَّ قول أهل التجسيم، فالقديم لا يَحِلُّ ولا يكون مَحَلاً، ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل اهـ.

وقال في هذا الباب أيضًا: أنت أنت، وهو هو، فإيَّاك أن تقول كما قال العاشق: (أنا من أهوى ومن أهوى أنا)، فهل قدر هذا أن يرد العين واحدةً؟ لا والله ما استطاع فإنه جهلٌ، والجهل لا يتعقلُ حقًّا، ولا بدَّ لكلِ أحدٍ من غطاءٍ ينكشف عند لقاء الله.

=

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلامٍ طويلٍ: وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق، ولا حلّ فيه الحق؛ إذ لو كان عين الحق أو حلّ فيه لما كان تعالى قديمًا ولا بديعًا انتهى.

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين: من أعظم دليلٍ على نفي القول بالحلول والاتحاد أنك تدرك عقلاً أن الشمس هي التي أفاضت على القمر النور، وأن القمر ليس من نور الشمس شيئًا مشهودًا؛ لأنها لم تنتقل إليه بذاتها، وإنما القمر محلاً لها، فكذلك العبد ليس فيه شيءٌ من خالقه، ولا حلّ فيه اهـ.

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة: لو صحّ أن يرقى الإنسان عن إنسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصحّ انقلاب الحقائق، وخرج الإله عن كونه إلهًا، وصار الحق خلقًا، والخلق حقًا، وما وثق أحدٌ بعلمه، وصار المحال واجبًا، فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدًا اهـ.

وقال في الباب الثامن والأربعين: لا يصحُّ أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى أبدًا، كما لا يصحُّ أن يكون المعلول في رتبة العلة اهـ.

وقال سيد الطائفة الجنيد ﷺ: التوحيد إفراد القدم عن الحدوث.

وقال سيدي عبد القادر الأمير ﷺ في ((مواقفه)) في حديث مسلم: ((إن الحق تعالى يتجلى لأهل المحشر ..إلخ)): وفرقةٌ تقرُّه في الدنيا والآخرة: أي التحول المذكور في الحديث من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ولا تولُّد، مع اعتقاد، وهم العارفون بالله تعالى أهل التجلي والشهود في الدنيا اهـ (ص ٣٥٣).

وقال أيضًا: الموقف الثلاثون: قال لي الحق: ((أتدري من أنت؟ فقلت: نعم، أنا العدل الظاهر بظهورك، والظلمة المشرقة بنورك. فقال لي: عرفت؛ فالزم، وإيَّاك أن تدَّعي ما ليس لك، فإن الأمانة مؤداةٌ والعارية مردودةٌ، واسم الممكن منسحبٌ عليك أبدًا، كما هو منسحبٌ عليك أزلاً)) اهـ.

ثم قال في شرح حديث (كنت سمعه): وإنما هي الأحكام العدمية التي ظهر الوجود الحق بها لا غير، ولا اتحاد كما يفهمه العميان، ولا تأويل كما يقول صاحب الدليل والبرهان اهـ.

وقال في الكلام على حديث (ما وسعني..إلخ): قلب العارف الكامل المحقق الواصل يصير عين معروفه، وعين ما حققه، مع بقاء التمييز: إلهٌ ومألوهٌ، ربٌّ وعبدٌ اهـ.

وقال سيدي عليُّ بن وفا نفعنا الله به: إنما كانت القلوب السليمة تحنُّ إلى التنـــزيه أكثر من التشبيه لأن التنـــزيه هو الأصل، والتشبيه إنما هو تنـــزُّلٌ للعقول، ومن شأن الذات الإطلاق لذاتها، وتساوي النسب لصفاتها؛ فاعلم ذلك، ونزِّه ربَّك عن صفات خلقه اهـ.

وقال سيدي أيضًا: المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم: فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى، كما يقال: بين فلانٍ وفلانٍ اتحادٌ، إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه، ثم أنشد:

وعلمُك أنَّ كل الأمر أمري ... هو المعنـــى المسـمَّى باتحـــاد

ثم إن كل واحدٍ منهم له من الحجب العدد سبعين ألف أحدٍ، كل حجابٍ له حكمٌ في تجليه، وتحكم في بعده ودنوه وتدليه، وإحاطته ومعيته، وفرقيته وجمعيته، وعند خلع اللباس يُعلم الإلهام(١) من الوسواس، ويلتحق بهذه الحقائق كل شاهدٍ وصادقٍ، ويقطع بالعلائق كل جاحدٍ ومنافقٍ، فسبحان من قسم القسم، وحكم فأوضح وأبهم، فأوهم وعلّم، فله نسأل ومنه نطلب، وفي فضله نرغب.

=

وقال سيدي أيضًا: الاتحاد لفظٌ يطلق ويراد به أعلى درجات قرب العبد من الرب اهـ.

وانظر يا أخي رحمك الله إلى ما قاله هؤلاء السادات في الحلول والاتحاد؛ كي تعلم حقيقة مرادهم بتلك اللفظة، على فرض وقوعها في كلامهم، هو استخدام اللفظ ليس إلا، ودليلي فضلا عمَّا ذكرته من نفي القوم لذلك: قال سيدي عليٌّ ﷺ: (إن الاتحاد لفظٌ) ولم يقل معنًى أو حقيقةً، فاعلم تلك الأقوال، وعضَّ عليها بالنواجذ، واجعلها أساسًا تحمل عليه كلام القوم.

وانظر قول الشيخ الشعراني: وعندي أن هؤلاء القائلين بالاتحاد كلهم لم يصح لهم اتحادٌ قطُّ إلا بالوهم، وانظر كلامهم تجده من أوله إلى آخره لا يبرح من الثنوية، فإنه لا بدَّ من مُخاطِبٍ ومخاطَب.

وفي كلامه ﷺ ما يغني عن التعليق من نفي تلك الاعتقادات المتوهمة، وقولي المتوهمة إنما هو بالنظر للمنكر، فإننا إذا أمعنا النظر في كتابات المعترضين على أقوال الكُمَّل رضي الله عنهم نجدها منصبَّةً حول معنًى غير مقصودٍ بالمرة للقائل، ولو ذكرت للقائل معنى تلك المقولة بتفسير المنكر لها؛ لكان من أول المنكرين لها وأشد الناس اعتراضًا عليها، فإذن تلك العقائد المعترض عليها ليس لها وجودٌ إلا في عقل المنكر، فإنه اعترض على ما فهمه هو، لا على حقيقة المراد باللفظ.

فإذن الخلاف ليس في المعاني، وإنما هو خلافٌ نشأ عن استخدام تلك الألفاظ، ودليلي في ذلك ما ذكرته لك من أقوال هؤلاء الأئمة، فخذ تلك القواعد واحكم عليهم بمقتضى قولهم تجدهم جميعًا أقرب الخلق إلى الله وإلى رسوله ﷺ وأعرفهم بالله ورسوله ﷺ.

فإن قلت: فكيف العمل في تلك الأقوال الكثيرة المشحونة باستخدام تلك الألفاظ الموهمة؟!

أقول لك: بعد ما تقدم ذكره من القول إن لم تستطع قبول تلك الأقوال ولم تفهم المعنى الموافق للشرع الذي هو يقينًا مراد القائل فتأولها بما يوافق الشرع، فإن الكتب الفقهية والشرعية مليئةٌ بالتعارض والترجيحات وتأويل الأقوال والأدلة المتعارضة، فقس على ذلك والله هو الموفّق.

واعلم يا أخي أني لم أذكر لك جميع كلام القوم في نفي الحلول والاتحاد ووحدة الوجود المتوهمة وإنما ذكرت لك طرفًا منه، فإنهم نبَّهوا عليه كثيرًا فاختر يا أخي لنفسك، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، ووالله لا ينسب القول بالحلول أو غيره من القبائح إلى القوم بعدما ذكرناه من كلامٍ إلا معاندٌ مكابرٌ، فحمل كلامهم على مرادهم لا غير، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والسلام.

(١) **قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به في ((المقامات السنية))**: الإلهام هو وحيٌ يلقيه خاطر الحق لكلِّ قلب ألقى السمع وهو شهيدٌ، وحقيقته: خطابٌ يُخاطب به صاحب الذوق الصحيح، وغايته: لسانٌ يتكلّم بالكلام الذي لا يجوز على مثله الكذب اهـ.

والصلاة على الحبيب الأقرب، سيد من أعجم وأعرب: محمدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب.

ولما ورد الرسول المنذر، والصادق المخبر، قام على أقدام النصيحة، وأطلق الألسنة الفصيحة، وقال وما استقال، سلامٌ من الذي ودد بسر الأحد، وتجلّى وأشهد، وتكلم فأسمع، كلٌ مصيغ واجد، وبصير شاهد، هذا رسول الله، قد جاء في حجاب هذه الصحيفة، يخبر عن أسرارٍ خفيةٍ لطيفةٍ، وأنوار عظيمة منيفة، وأرواح كريمة شريفة، فصعد منبره الناطق، وقال بلسانه الصادق:

الحمد لله الفاتق الراتق، السابق اللاحق، والجامع الفارق، الباطن بالجلالة، والظاهر بالآلة، والأول بالهوية، والآخر باللاهوتية، عزَّ فبطن، ورحم فظهر، أحاط فتوحَّد، وخلق فكثر الواحد وعدَّد، نـــزَّل أسماء الوجوب في حروف الإمكان إلى مشاهد الأكوان والأزمان، فاسمه ومسمَّاه الله، وحجابه وعينه:

﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ القُرْآنَ*خَلَقَ الإِنسَانَ*عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن:١: ٤].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، وما كان.

أحمده حمد عبوديته، وأنـــزهه تنـــزيه ربوبيته، وأوحده توحيد ألوهيته، وأضمحل في مشاهدة هويته عن آنيته وماهيته.

وبعد..

فيا واحد وحدانيته، وفرد فردانيته، كيف تربيت في عبدانيته، وتسرمدت في حمدانيته، إن كنت مقدوره فمن القادر، أو كنت مفعوله فمن الفاعل، فيا عالم من الجاهل، كم تتحجب وتتعجب، ومنك في كل مظهرٍ تتقرَّب، وفي كل بطانةٍ تتغيَّب، فقد جئتك منك إليك، ولست بغيرك، وأعجب منك، أنك رسولك فيما بينك وبينك، فها سرك قد ظهر وما استتر، واستغنى خبرك عن الخبر، تسمَّيت بآدم وأنت رب الأفعال الكونية، ثم تسمَّيت بنوح إذ نـــزلت بملكوت إلهيتك في حجاب ربوبيتك الصناعية، ثم قلت: إبراهيم لما نـــزلت في غيب التفهيم والتعليم، إلى حجاب الربوبية الملكية، ثم أعلنت بموسى لما نزلت في حجاب التكليم بربوبية السميع العليم، ثم نـــزلت إلى حجاب داود وسليمان بربوبية الجبال والطير والجان، ثم تسمَّيت بعيسى لما نـــزلت في حجاب الروح بربوبية الخلق والجعل، واستغنيت في الأب عن البعل، ثم جئت محمَّدًا وأحمدا، متوحدًا، وموحدًا، ورقيت في معارج النـــزول على مدارج هذا الحصول، حتى إلى قاب قوسين أو أدنى، فتجدَّد الهنا

ورفع العنا، وأتّصل الأنت والأنا، فالحمد للأحد، ما اتصل الأزل بالأبد[1]، وتحلل المركب وتجرد، وتربَّب الوهم واستعبد، وعلى الأسماء العظام والوجوه الكرام أفضل الصَّلاة والسلام.

الشعيرة الثامنة

وبما تجلّى الظهور، وأراد البروز من خلف الستور، وليتمتع الناظر بالمنظور، ويتجلّى في آحاده، ويتّسع في أحكامه وأوراده، نــزل كل ربٍّ عن مقام حيطته، وغيب رهبوت عزته، إلى جنة خلد أبده، وظاهر ملكه وسؤدده، وكان النــزول بالفصل[2] لا بالأصل، وبالتجلّي لا بالذات، فتجلّى الرحيم عن الرحمن، فكان له موضع تــنــزيل وتأبــيد، وحضور تقديس وتعيين، وبما تجلّى في عوالم وإحاطات، وظواهر وتحكمات، ثم نــزلت السنة بهذا التجلّي إلى الخليفة الإنسان، فأظهر رحيم مملكته، ومرآة تجليه وصورته، وهي النفس العاقلة، والقوة الجامعة الشاملة، وهي موضع تجلّي صورة المماثلة، وحقائق ذواته المتشاكلة، المنفصلة المتواصلة، ثم تــنــزلت السنة بالتجلي لمقام جبريل، انفهق عنه الرفرف الأخضر، وتجلّى الغيب وظهر، ولاح فجر الملكوت وانفجر، ثم انفلق الفجر الأسنى، والنور الأقوى، بتولد المقر الأحوى حوى، فكانت العلم الظاهر، وتعيين الغائب في الحاضر، فقرّت النواظر، وتقابلت الظواهر مع الظواهر، وهذه من سنن الافتتاح والانشراح، وقاعدة الانبساط والانفساح، فاستوى على الموضع المحمول، وترجم القابل في المقول، وأفاض الفاضل على المفضول، وتلازمت العلة بالمعلول، فما أكثر العدد وما نفد، وأوسع الأمد في الأبد، وأكمل الدوائر في الظواهر، وما أعجب تلون الواحد على الأبصار والبصائر، فكم له من غاربٍ وشارقٍ، وصامتٍ وناطقٍ، وراتقٍ وفاتقٍ، وأدوار وأكوار،

---

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ: الأزل في الأبد سر في علن، ومعنى في الكلام الذي ما ورد في الأسماء الحسنى لأنهم في نظامه، والمسميات في نظام قيوميته قيامه في كل كلمة من كلامه على كل نفس من تجلياته أقام فيه دوائر وجوه حضرات عين إجماع مرأى قوابله، وهذا هو الوجه الباقي في العين القائم عرش الإحاطة مربع بوجوه الحضرات.. وانظر: كتاب الأزل لسيدنا قدس سره (ص٨٤).

(٢) الفصــل: فوت ما ترجوه من محبوبك. كرجائك تحققك به وبأسمائه منه، وإذا اطلعت على حالة تحت حقك، فهو الفصل به وبأسمائه منه، وإذا اطلعت على حالة ذلك في حقك، فهو الفصل. وقال قدس سره: وهو عندنا تغيرك عنه أو عن محبوبك بشهود نفسك القاضي بمغايرتك إياه بعد حال الاتحاد الظاهر لك بحكم غلبة حال ذلك ولا يتبين فيه صحته عن سقمه.

وتكثيرات وآثار، وعجائب وغرائب، هذا والواحد الأحد، فردٌ صمدٌ، لم يلد ولم يولد، فمن سمع اطلع، ومن تواضع ارتفع، ومن خشع انتفع، ومن شكك اندفع، ومن فرق انقطع، فلا حول لأحد ولا قوة إلا بالأحد.

الشعيرة التاسعة

﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

واعلم أن هذا السؤال في موضع التباس وإشكال، وذلك أن الأرواح التلبسية، والأنفس الشيطانية الإبليسية، تجول وترد، وتشب نارها وتخمد، وتعد وتمني، وتلقى المَين بصدق التمني، وتتلون في ورودها، وتتستر في إقرارها بجحودها، وبما قال ﷺ: **«ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن والملائكة، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا إيَّاي ولكن أعانني الله عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»**.

وهذا من أسرار العصمة، وإسباغ النعمة، وبما تعلم أن الملك الذي انفهق، وتــنــزل اسمه وامتثل رسمه، هو جاعل الملائكة رسلاً، أولي أجنحة، مثنى وثلاث ورباع، وبما رآه ﷺ في «ستمائة جناح»، وهي مصاف هذه الأشباح، وأسرة الشهداء الأرواح، أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، ترتع بهم في الجنة، وهي الخلعة التي انخلعت عن آدم عند النــزول، وأكلة النسيان والذهول، وبما تقدَّم أن الزمان الآدمي له خلفاء أربع، وقد التأم شملها في حجاب الحيوان، واجتمع وكان في فداء الذبيح تجريدها عن الحجاب الأرضي، وخروجها ووقوفها في مقام برزخها؛ لانتظار دعوتها إلى عروجها، ورجوعها إلى الأفق، الذي كان عنه نــزولها، ولقد ظنَّت النفوس المحجوبة في زمانهم، والذين كانوا أهل مضادتهم وعنادهم، أنه انقطع خبر اسمهم، وامتحى أثر رسمهم، وزعموا ألا إعادة لهم أبدًا، وألا يظهر الله لهم مشهدًا، فوقع الجدال في معرض النــزاع، واشتاق الخليل لسر الاطلاع، وشفع الوجيه في تلقي الروح الذي نزل، والملك الذي عزل، وبما قال النمروذ بلسان الطغيان والجحود: **﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾** [البقرة:٢٥٨]، فقال الاسم الكريم: أنا الذي أحيي وأميت، قال: **﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي﴾** [البقرة:٢٦٠]؛ لكشف الغيب لا لنفي الريب، وطمأنينة القلب كانت لنفي الغيرة بمشهد القدرة، ونفي مماثلة الأدنى بصيغة الأنا، ولأن الغيرة شديدة، وحرمة الله مصونة، ولما ظهر سر القدر في الأثر، بهت الذي

كفر بالخبر، فقال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾ [البقرة:٢٦٠]، وهذه الطيور الأربعة من أسرار الأملاك الأربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وإلى هذه الإحاطيات الأربعة يكون انتقال الشهداء من أرواح السعداء، وهذه أول سنة النشور، وبعث من في القبور، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ﴾ [طه:١٠٨]، وكان نفاد الدعوة الإسرائيلية تضاهي دعوة الأذان في الإسماعيلية، ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾ [الحج:٢٧]، وبما كان الإعلان بالأذان بعد طهارة البيت وإحكام البنيان؛ لاستجابة الأرواح من مواطن الأزمان، شيب وشبان، ورجال وركبان، وكلٌّ أجاب المنادي من غيب المنادى، وأتى إليه ساعي من أفق الدَّاعي.

وبما كان العين الجامعة لكل روحٍ مطيع سامعة، والمجيب هنا صورة إنسانية في خلع رحمانية، لا كالمشبحة والمجنحة، وبما خص هذا الطريق بالفج العميق(١)، وإجابة الصديق، ومنادي التحقيق، يومئذ يتبعون الدَّاعي لا عوج له، وكان هذا الأذان من سر النداء، وفتح باب الدعاء في باطن الغيب الملكوتي، وظاهر السر الجبروتي، وهو من سر صيحة الحشر

(١) **قلت:** قد ذكر سيدي علي وفا ﷺ وعنَّا به في تدوين كتب السادة الصوفية سرًّا لم ينبِّه عليه غيره، وهو قوله في «**الوصايا**»: لما كان ختم الأولياء وفاتح كنوز الآلاء معلومٌ ظهوره بالأمر العظيم، والسلطان العزيز الكريم، مبلِّغًا كل قاصدٍ أحسن قصده، ومُنفِذًا كل متعلِّقٍ به إلى غاية حده من مجده نهضت همم أولياء الأزمان المبشرة بزمانه لتدوين أحسن أقوالهم وأحوالهم وأعمالهم بأيديهم وأيدي المؤمنين بهم؛ رجاءَ دخول حضرته بوجودهم الكُتُبي؛ بدلاً من كونهم الجسمي المتحلل قبل إتيانه؛ لعلمهم بأن ذلك المولى لا ينظر لأحدٍ بعين الرضا والرحمة، ولا يذكر بلسان العناية شأنه أو اسمه إلا بلَّغه غاية قصده، ووصلَّه حيث لا يصل بحده وجدِّه، يخلِّصه ويُخصِّصهُ ويُمحِّصه مما ينقصه؛ فلذلك يذكر أخبارهم ليحقق أسرارهم، وينظر أسطارهم ليكمل أنوارهم، ويؤول بالآية قصصهم فيثبت كمالهم بمحو ما نقصهم، ويبلغُون ساعتئذٍ فوق غاية آمالهم، بما به خصَّصهم، فالجاهل بهذا النور الذاتي يظن أنه يتعاطى أسرار العباد ليستفيد، والعارف بفضله يعلم أنه يذكر وينظر ويخبر ليُعطي ويمنح ويُفيد، فربما خالط جلساء المكان المشرف بوطء أقدام بشره الأعز الأكرم؛ ليسمع عقولاً طارت من أقفاص أشباحها إلى رياض اختصاص أرواحها، جوعانةً عطشانةً هيمانةً لهفانةً، حلفت بصدق هواها وذلِّها لعزِّ مولاها ألا تشرب إلا من عين خطابه شِفَاها، ولا تتغذى إلا برؤية وجهه وجاها؛ فلما دخلت حضرة مولاها وشكت إليه ما بها أشكاها، وعطف عليها؛ فأطعمها وسقاها اهـ.

اللَّهُمَّ اجعل لنا نصيبًا من مدد ولايته وخصوصيته، آمين.

ليوم النشر، فما أعجب شهود الأنوار لمشاهد الأبصار ممن أبطن خفايا الأسرار في قلوب الأحرار.

رجوع واستدراك:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، وبما وحّد إبراهيم عليه السلام، وأفرد رب الملكوت، وما أشرك به ولا ألحد ولا كان.

حنيفًا مسلمًا، تبرأ من الشمس والقمر والكوكب، بحيث استشعر أن الحق فيهم استتر، لا بهم ظهر، خرج عن الصور، ونــزه الخواطر والفكر من نجاسة الشرك وطهر، حمد الله له صنيعه، وشكر وأسبغ عليه فضله، فاستمرَّ حتى إلى يوسف، وهو عرشٌ من عروش مملكته، وكرسي من كراسي ملكه، واسم من أسماء حجب ربوبيته، أسجد له الكواكب، والله على أمره غالب، فانقلب عين المعبود عابد، وتــنــزَّه الذي كان في الشرك زاهد، فما أبدع هذه المشاهد للشاهد، وما أظهر هذه المعاهد للمتعاهد، وما أخفى سر الواحد في الواحد، فنسأل الله كشف حجاب الإغماء عن سر المغمى، وتنوير الظلماء بأنوار هذه الأسماء، وشرح الصدر الإيماني لهذه الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى.

الشعيرة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] [1]، الحجاب عبارة عن المانع بأي وجهٍ كان، والحجب

(١) قال الشيخ المصنف قدس سره في المعاريج: فالأجسام والنفوس والصدور والقلوب والأرواح والأسرار والأفئدة النورانية كل حجب لله على عباد الله، فالعباد محجوبون بأنفسهم عن مشاهدة ذات الله عز وجل ويفترق الحجابان إلى سبع حجب ثم إلى سبعين ثم إلى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة وأصلهن حجاب واحد ناري أو نوري فمن دخل في ميم المحمدية، وحاء الحقيقة الحنيفية وميم الملكية ودال الديمومية، وألف الإحاطية وحاء الأحمدية وميم الملكية العبدانية ودال العبودية زج زجة تبعية محمدية أحمدية، فخرق الحجب النارية الجسمانية والنورية الروحانية ولحق بالإمامة المحمدية والسيادة العبدانية، وتحقق بالخصوصية لسيد البرية إمام الملكية في الروحانية والآدمية في الإنسانية، فكثرة الأعداد في الحجب بكثرة التباس الأوصاف والوقوف عند أحكام الصفات، فكل وصف توصف به النفس حجاب، كل صفة تتصف بها الروح حجاب، فالحجب النورانية تجذب الروح للتنعم بها والحجب =

ليوم النشر، فما أعجب شهود الأنوار لمشاهد الأبصار ممن أبطن خفايا الأسرار في قلوب الأحرار.

رجوع واستدراك:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، وبما وحَّد إبراهيم عليه السلام، وأفرد رب الملكوت، وما أشرك به ولا ألحد ولا كان.

حنيفًا مسلمًا، تبرأ من الشمس والقمر والكوكب، بحيث استشعر أن الحق فيهم استتر، لا بهم ظهر، خرج عن الصور، ونــزه الخواطر والفكر من نجاسة الشرك وطهر، حمد الله له صنيعه، وشكر وأسبغ عليه فضله، فاستمرَّ حتى إلى يوسف، وهو عرشٌ من عروش مملكته، وكرسي من كراسي ملكه، واسم من أسماء حجب ربوبيته، أسجد له الكواكب، والله على أمره غالب، فانقلب عين المعبود عابد، وتــنــزَّه الذي كان في الشرك زاهد، فما أبدع هذه المشاهد للشاهد، وما أظهر هذه المعاهد للمتعاهد، وما أخفى سر الواحد في الواحد، فنسأل الله كشف حجاب الإغماء عن سر المغمى، وتنوير الظلماء بأنوار هذه الأسماء، وشرح الصدر الإيماني لهذه الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى.

الشعيرة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] [(١)]، الحجاب عبارة عن المانع بأي وجهٍ كان، والحجب

---

(١) قال الشيخ المصنف قدس سره في المعاريج: فالأجسام والنفوس والصدور والقلوب والأرواح والأسرار والأفئدة النورانية كل حجب لله على عباد الله، فالعباد محجوبون بأنفسهم عن مشاهدة ذات الله ﷻ ويفترق الحجابان إلى سبع حجب ثم إلى سبعين ثم إلى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة وأصلهن حجاب واحد ناري أو نوري فمن دخل في ميم المحمدية، وحاء الحقيقة الحنيفية وميم الملكية ودال الديمومية، وألف الإحاطية وحاء الأحمدية وميم الملكية العمدانية ودال العبودية زج زجة تبعية محمدية أحمدية، فخرق الحجب النارية الجسمانية والنورية الروحانية ولحق بالإمامة المحمدية والسيادة العبدانية، وتحقق بالخصوصية لسيد البرية إمام الملكية في الروحانية والآدمية في الإنسانية، فكثرة الأعداد في الحجب بكثرة التباس الأوصاف والوقوف عند أحكام الصفات، فكل وصف توصف به النفس حجاب، كل صفة تتصف بها الروح حجاب، فالحجب النورانية تجذب الروح للتنعم بها والحجب =

=

النارية تجذب النفس لتتنعم بها في نعيم الروح دون النفس عذاب النفس وفي نعيم النفس دون الروح حجاب الروح، فنعيم الأرواح رفع الحجب الملكوتية وكشف الأغطية الروحانية وإيضاح الدرجات النورانية وكشف أسرار الآيات الفرقانية وتبيان العلوم الغيبية وإيضاح اللطائف الفردوسية وارتقاء للمقامات العلية، وتلقيات العلوم اللدنية وقبول الإفاضات الرحموتية والإضاءات العرشية وكشف الأغطية الحجابية عن البواطن النورية ومعرفة الأرواح القدسية في العوالم البهائية قبل التنـــزل لمشابكة الجثمانية، والبطون عن العوالم الروحانية والظهور تحت أحكام الصفات البشرية والآدمية الإنسانية ونعيم النفس دون الروح بلوغ أغراضها الدنيوية الدنية ومطالباتها الشهوانية ولحاتها الدركية وآمالها البعدية وأخلاقها الرذيلية وأعرافها الأخسرية ومطامعها الأقسامية وتشوفاتها البهيمية، وكل ذلك بعد عن مقامات الروحانية النورانية، واستغراق في الحجابيات الظلمية والمؤمنون تحرق أنوار إيمانهم كثائف حجابياتهم وتخرق سهام أنوارهم حجابيات نفوسهم، فيمرقون من حجابياتهم كما يمرق السهم الثاقب فتنعم نفوسهم وأجسامهم بتنعم أرواحهم فتنعم جملتهم نفوسهم وأجسامهم وصدورهم وقلوبهم وأرواحهم وأسرارهم وأفئدتهم ظواهرهم وبواطنهم كثائفهم ولطائفهم دقائقهم ورقائقهم وحقائقهم، فينال كل جزء وفرد من ذرات أجزائهم الظهارية والبطانية الجسمانية والروحانية أوفى نصيب وأزكى حظ من أنواع النعيم، فكل رقيقة لحقيقة ودقيقة لرقيقة تشهد في ذاتها من نعم الناعمين ما لم يبلغه أحد من رقائق ذاتها لأحد من العالمين، فتشهد الرقائق في ذواتها ترادف ازدياد النعم في كل زمن فرد متجدد فترى أن الجنة بأسرها لها، وأن المزيد وارد عليها دون من عداها، وأنه لم يبلغ أحد في نعيم الجنة ما بلغت، و لم يعط أحد ما أعطيت فتفوه بالحمد لله رب العالمين والثناء والشكر لأكرم الأكرمين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

فالأبرار أهل اليمين أدنى نعيمهم اشتغالهم بالتنعم في دار النعيم وأعلاها كشف حجب التنعيم لمشاهدة البر الرحيم، وأما المقربون فدائمون بمحاضرة الوجهة الجمالية والحقيقة الرحمانية والذات الصمدانية والصفة الألوهية، فهم بين حجاب رحماني وكشف لاهوتي رباني فبكشف الحجاب اللاهوتي يغرقون في بحر الوحدانية ويفنون عن الأنانية ويمحون من بين الملكية والإنسانية، فتمحى آثارهم وتطمس أخبارهم فتحرقهم أنوار اللاهوتية وتصطلمهم سبحات الربوبية فيفنون من بين الأكوان وتستغرقهم حقيقة كان قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان».

وكتب في الذكر كل شيء حتى الكيس والعجز فمن أحرقته سبحات الوجهة الإلهية ومحقته أنوار حقيقة الصمدانية تحقق بالدخول تحت ظل ميم المحمدية، وشهدت له الحقيقة الربانية بخصوصية

=

الذي يخاطب الحق الخلق من ورائهم سبعون ألف حجاب، هم حضرات أنواره، ومعادن أسراره، هم الذين تقربوا لله بالله، حتى أحبهم فكان لهم سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، كما أخبر رسول الله ﷺ: «فبه يسمعون، وبه ينظرون، وبه ينطقون[1]».

واعلم أنه حيث ظهر الحق بطن ما سواه، وامتحق بشرط الكشف، وإن كان لا سوَى، وإنما هو بحكم الشاهد لا بحكم المشهود، وتحقيق هذا: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧].

وكذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] وإنما عند النحويين للحصر، وهي هنا على بابها، وقد بقي الغير إشارة لا غير.

قال رسول الله ﷺ: «**سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حسابٍ، منهم على صورة الشمس، وعلى صورة القمر، ومع كل واحدٍ سبعون ألفًا[2]**».

ولما كانوا أهل أسرار وأنوار كانت منهم شموس وأقمار، فشموس الحقيقة وأقمار الشريعة، تجلّى عليهم بأنوار أسمائه الظاهرة، فهم أنوار الهدى وأعلام الاقتداء، كما قال ﷺ: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[3].

وتجلّى عنهم بأسرار أسمائه الباطنة، فهم حضرة من لا تدركه الأبصار، حيث بطنت الأسرار واستترت بحقائق الغيرة عن الأغيار، فليس الحق في غيرهم موجودًا، ولا نور تجلياته في سوى حجبهم مشهودًا، ومن هنا يفهم سر قوله ﷺ في جواب من سأل: هل نرى ربنا؟ فقال: «**أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: أتضامون في رؤية**

=

العبدانية قال الله تبارك وتعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].
وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].
وهو تعالى يختص برحمته من يشاء ويؤتي ملكه من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو تعالى الفتاح العليم ذو الفضل العظيم لا إله إلا هو رب العرش الكريم.

(١) تقدم تخريجه بنحوه.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/١٩٧).

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٥٦).

الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: كذلك ترون ربكم»[1].

وقال أبو العباس الخراز ﷺ: شهدت شمس الحقيقة، يعني الربوبية في صدور أربعة رجال: أبي أحمد جعفر، وأبي عبد الله القرشي، وأبي يوسف الدهماني، وأبي الحسن الصباغ.

ومن هنا يظهر سر قوله ﷺ في بقية الحديث:

«ثم يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطاغوت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها، فيأتيهم الله في صورةٍ غير صورته التي يعرفونه فيها، فيقول: أنا ربكم، فيقول: إنا نعوذ بالله منك»[2].

وبما كانت صفة النفاق فيهم ظهر الإنكار عنهم، وعموا عن حقائق مظاهر الحق، ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٦]، فإذا جاءهم في الصورة التي يعرفونه عليها وهذا هو حجاب الاختيار والرأي، ومن تجلّى له الحق بالحق، فلا يخفى عليه في أي مظهرٍ كان، ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ [البقرة:١١٥].

لمعة الواجد المتجلّي في آحاد الملك، وانتحل المتصرف بتصاريف الحقيقة والحق، كالشمس ذات المددين، مدد النور للأبصار، ومدد الحرارة للنبات والحيوان والمعدن، هو

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: رواه البخاري (٧٤٣٤)، (٧٤٣٥)، (٧٤٣٦)، (٥٥٤)، (٥٧٣)، ومسلم (١/ ٤٣٩)، وأبو داود في السنن (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١)، والنسائي في الكبرى (١/١٧٦)، وأحمد في المسند (٤/٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥)، وفي السنة (٣٧، ٣٨، ١٨٣)، وابن ماجه (١٧٧)، والحميدي في مسنده (٧٩٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٤٦-٤٥٠)، والطبري في تفسيره (١٦/٢٣٣)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٦٧، ١٦٩)، والآجري في كتابي الشريعة (٢٥٨، ٢٥٩)، والبيهقي في الاعتقاد (٥٠)، وذكره المصنف في مختصره لاعتقاد البيهقي-بتحقيقنا- والسنن الكبرى (١/٤٦٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/٤٦٦)، والبغوي في معالم التنـــزيل (٤/٢٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/٢٩٦-٢٩٧)، والمعجم الأوسط (٢/١٩٤)، (٨/٩٠)، والدارقطني في الرؤية (١٠٦)، وكذلك (١٣٧)، (١٤٩)، (١٥٥)، (١٦٣)، (١٦٥)، بتحقيقنا. قلت: وألفاظ هذا الحديث وطرقه كثيرةٌ.

(٢) رواه البخاري (٥/٢٤٠٣)، ومسلم (١/١٦٤)، والنسائي (٦/٤٥٧).

واحد في كل زمانٍ؛ لقوله ﷺ: «يظهر الله على رأس كلِ مائةٍ رجلاً يحيي به هذا الدين[١]».

وهذا هو المؤمن الذي وسع قلبه الحقيقة بالمعرفة، وضاق عنها كل شيءٍ:

«لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن[٢]».

فبما تجلّت هذه الأنوار فيه، قال في حقه: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به[٣]».

ولما امتحى أثره، وطاب خبره ومخبره، قيل: افعل ما شئت، مغفورًا لك، فالوجود كله جسم وهذا قلبه، العارف من عرفه، والصديق من تلقى منه، والشاهد من أشهد الله فيه.

واعلم أن نوره يسري في الوجود[٤] على قسمين: قسمٌ غيبي، وقسمٌ شهادي بالغيبي،

---

(١) رواه أبو داود (٤/١٠٩)، والطبراني في الأوسط (٦/٣٢٤).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/٤٩٦)، والقاري في المصنوع (١/١٦٤)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/١٢٩).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٢٨٤).

قلت: وأما معناه عند أكابر القوم فقد ورد فيه: قال سيدي علي وفا قُدِّس سرُّه: معنى: «كنت سمعه...» إلى آخره.. أن ذلك الكون الشهودي مرتَّبٌ على ذلك الشرط، الذي هو حصول المحبة، فمن حيث الترتيب الشهودي جاء الحدوث المشار إليه بقوله (كنت سمعه)، لا من حيث التقرير الوجودي.

وقال الشيخ المحيوي قُدِّس سرُّه في الباب الثامن والستين: المراد بـ«كنت سمعه وبصره» إلى آخره: انكشاف الأمر لمن تقرب إليه تعالى بالنوافل، لا أنه لم يكن الحق سمعه قبل التقرُّب، ثم كان الآن تعالى الله ﷻ عن ذلك، وعن العوارض الطارئة. قال: وهذه من أعز المسائل الإلهية اهـ.

(٤) الوجود: هو وجدان الحق في الوجد.

فإن المشهود في الوجد هو ما صادف بغتة ، وما صادف بغتة ، إن لم يكون وجود الحق لا يفنيك عن شهودك نفسك وشهود الكون، إذ من شأن القديم أن يمحو الحادث عند اقترانه به، لا شأن غيره، ولكن وجود الحق في الوجد غير معلوم؛ إذ ما يقع به المصادفة ، قد يكون على حكم ما عينه السماع المطلق، أو المقيد ، فلا ينضبط، فإنه تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾[الرحمن: ٢٩].

ولذلك قال قدس سره: إذا رأيتم من يقدر الوجد على حكم ما عينه السماع المطلق، أو المقيد، فما عنده خبر بصورة الوجد، فإنما هو صاحب قياس في الطريق، وطريق الله تعالى لا يدرك بالقياس، فإنه: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن: ٢٩] وأن كل نفس في استعداد. فوجود الحق في الوجود، وإنما يختلف عند الواجد بحكم الأسماء الإلهية ، وبحكم الاستعدادت الكونية في كل نفس إلى لا غاية.

عموم المؤمنين من الموحدين على اختلاف درجاتهم، وبالشهادتين أهل التخصيص بمحاضرته ومكالمته، الذين تجلّى لهم عن الغيب، ورفع عنهم حجاب الشبهة والريب، فهم العارفون والصديقون، والشهداء المحققون؛ لأنه هو ليس بهذه الأسماء يسمى، ولا بهذه الكنايات يُكنى، وبما ظهر لقومٍ من وراء حجاب قوم، وظهر لآحادٍ من وراء حجاب واحد، فهؤلاء هم أشياخ زمانه، وأعيان أوانه، وبما كان هذا الظهور على رأس كل مائةٍ سبعة، كان لكل واحدٍ منهم في زمانه سبعون ألفًا، أعلام هدى، ومشارق أنوار الاقتداء، ومن هنا يفهم سر السبع المثاني: «**إن لله سبعون ألف حجاب من ظلمة ونور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

وفي حديث آخر: «**حجابه النور**[1]».

وفي طريقٍ آخر: «**حجابه النار**»، و﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ [القلم:٤٢]، وهذا هو النور الأعظم المحمدي، المحيط بجميع الأنوار، المشهود فيه حجاب كل متبوع بالمشهود والمسموع، يوم الكشف الأعظم، فمن كان له متبوع سجد لسر طاعته المتقدمة، ومن لا متبوع له فيصير ظهره طبقه، لا يستطيع السجود، فإنه لا مولى له، والله المسئول أن يشهدنا الحق بالتحقيق، ويكفينا المضلة عن سواء الطريق، ويجعلنا من أهل الاتباع لا من أهل الابتداع، ويرفعنا بالاتضاع، ولا يضعنا بالارتفاع، ثم الصَّلاة على السيد الأكمل، والرسول الأمجد الأبجل، من رفع الحق وعلاه، وثبت الإيمان وولاه، رسول الله وحبيبه: محمد بن عبد الله، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الشعيرة الحادية عشر

اعلم أن فلك الهواء هو الجسم المحيط بجميع الأجسام، والمشكل فيه سائر الأعيان والأجرام، وبما كان عن كثافة الماء، وعن كشف الماء التراب، وكان تركيب جميع الأجسام من الهواء على حكم ما تكثف منه.

وبما كان الجسم جمادًا كان حجاب عما وضع ستر وإغماء، وبما بطن فيه من أقوية روحانية، وعقول علمية، وأسرار ربَّانية وغير ربَّانية، حتى يكون فيه التمييز بالفرق، وليتبيَّن مظاهر الحق ثم الاسم الجامع المهيمن على الأسماء بحكم المتبوع والتابع، تنزل في حجاب كلّي جزئي، فرقي جمعي، هو شخصٌ في الظهور، قائمٌ في وسط الهواء، آلة من

---

(١) رواه أحمد (٤/٤٠٥)، وابن ماجه (١/٧١).

الآلات العظمى، عرش محيط بجميع الأربعة القوى:

«كان ربنا في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء[1]».

فلما حق الأجل وانتهى، وبرز الفعل من القوى، وبلغ أشده واستوى، تنــزل من الأفق الأعلى إلى مصاف سدرة المنتهى، ولقد رآه نزلة أخرى، وكيف لا وقد تدلّى فدنى، حق به يسمع ويرى، ويتكلم ويبطش بلا مراء، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، ثم أراد الظهور من خلف حجاب النور إلى منشرح أمهات الصدور، وربات الخدور والستور، فخلق من الكلمات التامات في أرحام الأمهات الطاهرات أشكالاً كاملات، وعقولاً عالمات، ووجوهًا سامعات باصرات، ثم تجلّى لهم فشهدوا، وتعرف إليهم فعرفوا، وكما قال: **«كنت كنــزًا لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقًا فتعرفت إليهم، فبي عرفوني[2]»**، وبما كان الموجود في الصدور ليس من

(١) رواه التــرمذي (٣١٠٩)، وأحمد في المسند (١١/٤)، وابن ماجه (٦٤/١)، ومحمد بن أبي شيبة في العرش (٧) بتحقيقنا، من حديث أبي رزين مرفوعًا.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١٧٣/٢)، والآمدي في الإحكام (٣١/١).

وقال الشيخ الكتاني: وقد كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم في خفاء كنــزيته وغيب هويته وبطونه الذاتي غير متعرف بقيد من القيود إلى من يحصل أو يأتي، فاقتضت حكمته الباهرة ومشيئته القاهرة أن يعــرف المعــرفة اللائقــة بذاته، وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته كما ورد في الحديث القدسي - قال في «الفــتوحات»: الصحيح كشفاً، الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال ما هذا معــناه - «كنت كنــزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني»، انتهى.

وذكره في كتاب «الحجب المعنوية» أن الذات الهوية له بلفظ ورد في الكتب الإلهية قال الله تعالى كنت كنــزاً مخفياً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني.

وفي كــتاب «عقلــة المستوفز» أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال: يا رب لم خلقت الخلق؟ فقــال لــه عز وجل: كنت كنــزاً مخفياً لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني.

وذكــره سيدي علي وفا في كتاب «مفاتيح الخزائن العلية» وابن غانم المقدسي في كتابه «حل الرموز» وجماعة بلفظ كنت كنــزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني.

وذكــره أبو زيد الفاسي في «تحفة الأكابر» أوائل الكتاب نقلاً عن الشيخ محيي الدين البوني ﷺ بلفظ:
=

غير النور، ولا سوى المأثور من كتابٍ مكنونٍ في رقٍّ منشورٍ، أنا من الله والمؤمنون مني، أعارته طرفًا رآها به، فكان البصير لها طرفها.

واعلم أن هذا موضع من له القدم في هاوية التهم، لمن ظن وتوهم وسمع، فلم يفهم الذات المقدسة، تعلم ولا تعلم، وكيف وقد قال ﷺ: «**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته، فإنكم لا تقدروه قدره**[1]»[2]، فنحن إلى الآلاء نصل، وبحقائق مسمياتها نتصل، لا

=

كنت كنــزاً لا أعرف، فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني.

قالــوا: ومعنى قوله: خلقت خلقاً. قدرت أعياناً تقديرية، فتعرفت إليهم بجلالي وجمالي، ودللتهم علي، فــبي مني إليهم عرفوني، وكان هذا التعريف بلسـان ترجمان القدم، وهو الحقيقة المحمدية التي هي أصل الكل.

وقال الجيلي في «كمالاته» هذا حديث صحيح من طريق الكشف، ضعيف من طريق الإسناد.

وقد أجمع المحققون يعني من أهل الله تعالى على صحته، وذكره غير واحد منهم في مصنفاته، انتهى.

فقوله: «فبي» من حيث حساب الجُمّل اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد كذلك.

فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ «عرفوني» أو المراد: فبظهوري عرفوني، وهو ﷺ أول مظهر.

وأورد بعضهم: أن الخفاء من الأمور النسبية لابد فيه من مخفي، ومخفى عليه، لا يجوز أن يكون المخفى عليه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى ظاهر بنفسه لنفسه عالم بذاته أزلاً وأبدًا.

ولا يجوز أن يكون هو الخلق؛ لأنهم لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الحق مخفيًّا عليهم.

(١) رواه البيهقي في الشعب (١/١٣٦)، واللالكائي في الاعتقاد (٣/٥٢٥)، والرافعي في التدوين (٣/ ١٩٧)، وأبو الشيخ في العظمة (١/٢١٠).

(٢) **قال سيدي عليٌّ في «الوصايا»**: أينما توجه الفكر لا يأتي إلا بمغايرات الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، فهو لا يأتي في الحقيقة إلا بضلالٍ عن الحقيقة، التي هي الخير المحض، فهو لا يأتي بخيرٍ محضٍ قطٌّ، فما انكشف فيه الحق بتحقيقه ولو بوجهٍ ما؛ فهو وجدٌ علميٌّ، أعني وجوديٌّ لا فكريٌّ، وآيته ألا يحتمل النقيض في محله باليقين؛ فافهم.

وقال الشعراني قُدِّس سرُّه في «اليواقيت» في سبب المنع من التفكُّر في ذات الله: أن سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الله، ومن هنا أَنِفَ أهل الله أن يجعلوا التفكر من دأبهم؛ لأنه حالٌ لا يعطي الحفظ، فلا يدري أيصيب أم يخطئ.

وقال الشيخ المحيوي في الباب الخامس وأربعين ومائة: إنما منعوا التفكر لأنه لا يتعدى أحد أمرين: إما الجولان في المخلوقات، وإما الجولان في الإله، وأعلى درجات جولانه في المخلوقات أن يتخذها دليلاً، ومعلومٌ أن الدليل يضاد المدلول، فلا يجتمع دليلٌ ومدلولٌ في حدٍّ عند الناظر أبدًا، وأما جولانه في الإله

=

إلى ما لا يتحصل، ولا هو كل فيتبعض، ولا جملة فيتفصل، محيط لا بغير، لا يُدرك ولا ينـــزل ولا ضير، وبما قال ﷺ حين سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: **«رأيت نورًا أنى أراه»**[١]، فالموضع عزيز، والغلق حريزٌ، فرحم الله عبدًا عرف قدره، وكفى الناس شره، خذ ما رأيت ودع شيئًا سمعت به في طلعة البدر، ما يغنيك عن زحل.

الشعيرة الثانية عشر

اعلم أن بروز العبد من غم الجهل إلى فضاء العلم كبدٌ، وهلال شهر الصوم يلوح في أفق السماء لذي النظر المحقق، وذلك أول ما يلوح للقلب شعور حضرة الحق، وتنفس أرواح مقعد الصدق، فإذا غلب عليه الشوق بعد وجدان حلاوة الذوق[٢] أمر بالإمساك

=

ليتخذه دليلاً على المخلوقات ففيه من سوء الأدب ما لا يخفى؛ لأنه طلب الحق لغيره، أي ليدله على الكائنات، فما طلبه تعالى لعينه، وذلك غاية الجهل.

(١) **قال سيدي عبد القادر الأمير في «المواقف» في الكلام على هذا الحديث:** والتحقيق عندنا أنه رآه يقظةً ليلة الإسراء، وما زاغ بصره وما طغى، وجوابه للسائل إنما لكونه عرف منه أنه لا يعرف إلا رؤية الذات البحت مجردًا عن المظاهر، ولا يعرف هذا السائل أمر التجلي، فكان هذا الجواب الساذج أولى به، وإمَّا أن يكون السائل لا يعرف إلا الرؤية المعتادة عند العامة التي تمنع أنوار الأشعة من تحقيق ما رأى فورًى له ﷺ بأن الحق تعالى اسمه النور، وأمر النور في منع تحقيق الرؤية مشهورٌ، ما قال: (ما رأيته)؛ لأن هذا السائل لا يعرف أن من رأى الحق إنما يراه ببصر الحق لا ببصره المقيد، فإنه قال: (فإذا أحببته كنت سمعَه وبصره) الحديث اهـــ.

ثم قال: فمحمدٌ ﷺ رأى ربه يقينًا في مظهرٍ، وهو التعيُّن الأول، وهو الخاصُّ بمحمدٍ ﷺ، لا يشاركه فيه غيره من رسولٍ أو مَلَكٍ، والرؤية في غير تعيُّن محالٌ، وهذه الرؤية التي حصلت لمحمدٍ ﷺ هي التي سألها موسى، فمنعها على حسب سواله لا مطلقًا اهـــ.

ثم قال: والمحققون من العارفين لا يقولون إنهم يرون الحق تعالى حال شهودهم، بل يقولون إنهم ما رأوه قطعًا، وإنما يرون صورهم ومراتبهم واستعداداتهم في الوجود الحق، فلا يشبه الشاهد منَّا إلا نفسه؛ لأن المشاهدة على قدر ما يعلمه منه، وإن كان العلم خلاف الشهود والرؤية فكل مشهودٍ معلومٌ ما شهد منه، وما كل معلومٍ مشهودٌ، فما يلزم من شهود الشيء العلم بحده وحقيقته، وإلا فما علمه؟! ولذا كان علمنا بالله شعورًا فقط، والشعور علمٌ إجماليٌّ يعطي أن ثَمَّ مشعورًا به، ولكن ما يعلم ما هو انتهى (ص٢٠٥،٢٠٤).

(٢) **قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به:** الذوق هو إدراكٌ في القلب، يميز به بين أشخاص أصناف

=

والصوم عن كل وصف يوجب التعنيف واللوم، وأوقظ من غمرة النائم بتنبيهه، وعلم حقيقة: «**الصوم لي وأنا أجزي به**[1]».

فجاهد نفسه بترك الحظوظ حتى يبدو له في آخر شهره حقيقة ليلة قدره؛ ولأنها موضع كشف الغطا، ورفع حكم الخطا، وتنـزل الملائكة بالملكة الروحانية، والروح النورانية الربّانية، فتشرق الأرض بنور ربها، ويرفع كربها بغفر ذنبها، ويخصب جدبها بعشبها، ويطيب شربها، ويأمن سكان سربها، وتقوم العيون المستيقظة ناظرة في مرآة الدار الآخرة، في وجوه الحجب الناعمة الناضرة، والحضرات الغائبة الحاضرة، جمال من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، فهنالك يزول الوصف المغاير، ويهتدي الدليل الحائر، وبما هي خيرٌ من ألف شهر، التي هي ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر، ترفع أقلام الكاتبين، وتُطوى دواوين الحاسبين، ويكون ثواب الصائمين: افعل ما شئت مغفورٌ لك، فيصبح في يوم عيده في جنة خلوده، وقد أمن بوعده من وعيده، وبوصاله من صدوده، قد حل له ما كان حرامًا، وحرم عليه ما كان واجبًا، أعني فطرًا وصيامًا:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً﴾ [الأنبياء:٦٩]، فمن فهم غنم، ومن جهل سر هذا الكلام كُلم، ومن ذخائر كنوزها حُرِم.

فنسأل الله التوفيق في طرق التصديق إلى حضرة التحقيق.

=

المعاني، هذا إذا صح من علة داء الشرك الخفي، وحقيقته: وجدان حلاوةٍ من التمنّي في رياض تروض الرضا، وغايته: الاستغناء في تصور معاني الحقائق عن نصب الأدلة والبراهين السمعية والعقلية اهـ.

وقال البغدادي في شرح الصلاة: هو نور عرفاني يقذفه الحق بتجلّيه في قلوب أوليائه يفرّقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتابٍ وغيره.

وقد عرّفه الشيخ الأكبر بأنه: أول مبادئ التجلّي المؤدي إلى الشرب؛ لأنه إذا كان نفسين فهو الشرب، والوجدان ما يحس به بالباطن كالجوع مثلاً.

واصطلاحًا: ما يجدهُ العارف في قلبه من التجليّات الإلهية، فكما أنَّ مَنْ أحسَّ بالجوع باطنًا لا يتردد فيه، ولا يكون لأحدٍ معه دخل في هذا الإحساس الباطني الخاص، كذلك مَنْ وجد الحق تعالى يكون بهذه الكيفية.

(١) رواه البخاري (٢٧٢٣/٦)، ومسلم (٨٠٧/٢).

الشعيرة الثالثة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، حقيقة المعارج في الداخل والخارج الأصل حبة البذر، ومطلع الفجر، ومبزغ البدر، وذلك من ظلمة ليلة القدر، والستر في موضع السر[(١)]، حيث أشرق نور الحق، وتأصلت حقائق الأمر والخلق، وكان الإنسان هو إحاطة جمعها الروحاني والملكي الإيماني، في مستودعات بطونها، وخزائن مكنونها، معان وأرواح، لا أجسام وأشباح، ثم تنفست عن هذا الغيب الليلي، والتفصيل الجملي الكلي، لمحة بارق ونور فجر شارق، وكان منها فلك الأعيان، تكوين الأكوان، وتفصيل الأزمان، وتحديد المكان بالإمكان، وكانت صور المعارج في الفرع، المتولد الخارج، وعلى صورة المتنـــزل من الروح في الملك البارز بالأمر في ليلة القدر إلى مطلع الفجر، يكون ترقّي الملك والروح في صورة شبحية عينية، وأمثلة نورانية خيالية، إما مجردة فيُقال من طريق الأسماء: مقرَّبون وصافون ومسبحون، وإما مركبة بحكم التعلُّق بالأفلاك المجسمة، والصور المركبة المقيدة، فيقال من طريق الاصطلاح في الوضع: جان مؤمن في روضة يحبرون، وحواصل طيور خضر يرتعون، لهم فيها ما يشتهون من معدنٍ ونباتٍ وحيوانٍ، بالتبيين والعيان، أو إلى ما يتحقق المتحققون من صورة الرحمن، حتى إلى تقييد الجان، لا ينفذون إلا بسلطان، وإن كان تقييدًا على خلافٍ، وتـــنكير إنكار في موضع تعريف واعتراف، فيجري على قلم اللسان في لوح الخذلان والحرمان، ودركات تلبيس إلى قعرات الشيطان، فأعوذ بالله وبوجهه الرحمن من موجبات الغضب والخذلان.

الشعيرة الرابعة عشر

العدم بما كتب قلم البكم في لوح الصمم، لا سمع ولا تكلم، ولا علم ولا أعلم، كان الهُو الأحد بلا عددٍ، يعلمه علم المفرد، ويشهده شهادة الواحد للأحد، ويحصله تحصيل المجرد بالمجرد، لا يفرغ فينفد، ولا يحدث فيتجدد، كثير أحدي صمد، لم يلد ولم يُولد، فأراد أن يُعرف، وعلى مثاله الأعلى يستشرف، فأبرز لا في الخارج صورة أعيان المدارج والمعارج، فهي أقوية حروف الهجاء في سورة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى:٢]، وركّب منها وأنتج، وقوّم ما شاء وعوج، وعلى كل شاكلةٍ أبرزها وأخرج، فجعل منها

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: السر هو ما يخفى في البيان، وحقيقته: معنًى يُعْجِز عن تصور ما هو الفكر البشري، وغايته: وجدانٌ يقوم بالقلب لا يمكن التعبير عنه بوجهٍ من الوجوه.

مجردًا مبهج في باطن العقل مدرج، سُمِّيت بالآباء والأقلام عليهم أفضل الصَّلاة والسلام، هم الملائكة الكرام في حضرة الملك العلاَّم، ورفع منها ولطف، وكرم منها وشرف، فقيل الصفات والأسماء، وحضرة الإكرام والبهاء، هي الذات المعبودة، وبكل روحاني ملكي قدوسي مقصودة، إليها تنتهي معارج الملك والروح، وعندها تنجلي مشكاة الوضوح، وركَّب منها وقيَّد، وعلل ومزج مزاج الخل بالعسل، وشخَّص أعيانًا مجسمةً، وبرقائق المخيل لها خلَّل، فكثَّر وعدَّد وفرَّق وبدَّد، وأقصى وأبعد، وسماها نفوسًا تطمئن وتتمرد، ولذلك وعدها وأوعد، فمن فتق منها بالخبر التحق بالأب الأكبر، والنول الأزهر، أو بباطن أمه في اللوح المسطر، أولاً لذلك ففي ضيق المقعر، وحصر فحجَّر، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والله أكبر، يلبس الصور تقديرًا بحكم القدر، فلا عنه مفر ولا منه وزر، فطوبى لمن به استغفر، وبحلة توحيده تستَّر، وفي مشكاة تجليه ظهر سمع وأبصر، وكان به في سر الخبر أخبر.

هو كنـــزٌ لمن عليه عثر، فاستغنى به من حيث افتقر وإن عمي البصر، فاقتربت الساعة وانشق القمر، فالله والحذر الحذر، الولد للفراش وللعاهر الحجر.

الشعيرة الخامسة عشر

صرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ولما كان هذا القلم العلام لسان الرحمن، المحيط بجميع الصور والأشكال من السبع الطرائق والأوعال، مما يرسم ويُقال، هو أصل الألسنة الناطقة، وأبو الرسل المخبرة الصَّادقة، جرت في ألواح قابلة، عن وجوداتها فاصلة، هي أمهات الأكوان في المعاني والأعيان، كلها صحائف أثرية، وواردات خبرية، دالة على سرٍّ مضمرٍ، لا يخبر عنه ولا أخبر، ولكن تلويح أشعر لمن سمع وأبصر، ومن تجلَّى وعز كان بالمستوى الأقدس على السر الأنفس، في إحاطته الجامعة، وحضرات قدسه الواسعة، يعلم السر وأخفى، ويسمع ويرى ما ظهر وما بطن في السر والعلن، حقق وعلم، «**أوتيت جوامع الكلم**[1]»، كانت في أرواحه الإنسانية أقلامًا عربية، وفي الحيوانية والمعدنية عجمية وسريانية، لا بلسان حال بل هو بقول ناطق لمحقق حادق ممن فهم قصده، ﴿**وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده**﴾[الإسراء: ٤٤]، وقال رضي الله تعالى عنه وعنا به:

(١) رواه أحمد (٢/٢٥٠).

لَوْ يَعْلَمُون بِأَنَّ الحقَّ فِي خلدِي جَاءُوا إِلَيَّ وَلَوْ سَعْيًا عَلَى الروسِ
لَكِـنَّهُم حُجِبُوا بالطينِ عَنْهُ فَلاَ يَـرونَ مِنْهُ سِوَى لَبس وتَلبيس

الشعيرة السادسة عشر

فهو أنية الهوية[1]، وماهية الأنية، تربيع العين الأبدية، والغيبوبية الأزلية، فما وجب وأمكن غير ما علم وتعين، وما لمحال محل بحال [...] ونفي وعدم كذلك إلى وجود وعلم، فاه القلم فأنتج وحفظ اللوح، فأزوج وتركب المفرد بالمفرد، فأدخل وأخرج، وحمل الموضوع فبيَّن وأدرج، انكب الخط فتعوج، واستقام فما على غيره عرَّج، فيا باء الألف لم تختلف، ويا ألف الباء حجبت الأحباء، وأنت يا ميم الألف متى بذاتك تعترف، ويا ألف الميم تَعْوَجُّ وأنت مستقيم، برزخت اللام فهو إلى المدح والمدام، والتنعم والآلام، هذا وفاء الهمزة قد حجب بالعز كنـزه، فيا قوة القلم حل عقال الكلم، ويا مداد الحروف[1] قوم قوام الألوف، حسبك قد ظهر ما استتر من حيث ظهر، وتكلم الأبكم وأعرب وأعجم، فعلم وما أعلم، هيهات هيهات ما ذاهب بآت، وما هو آت آت أفات ما فات ما فات، فيا هاء أين الآه، وآهّ لاه، ولاهٌ آه، فاهٌ وفاه، وتختَّم بالخاتم، وتتوَّج العالَم بالعالِم، والتحق الناثر بالناظم، فلا ولا إلا ألا آلاء والحمد والله الله وهذه الغاية وعلى الله الرعاية.

---

(١) الهوية: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، ولحوق الـواو مـن الحروف الدورية هو، دليل دور الهوية في تجليها أزلاً، وأبداً، من نفسها على نفسها، فإن الغيب المطلق من حيث هو غيب لا ينتهي إلى حد ينقلب فيه شهادة قطعاً.

(١) معنى الحروف هاهنا تميز العلم في حال الاستقلال بصرف التقييد لأنه لابد له من التميز والظهور والفيض فلما منع عن الفيض أفاض على ذاته نوراً خافياً ميز الأشياء المرادة للفيض في علمه، وهذا النور هو أشدُّ لطفاً من هذا النور المميز في الظاهر لشدة نوره يدرك كأنه خاف، لأنه لا جسم له يظهر إلى وجود الشاهد، وإنما هو لطف يدركه على سبيل الإحساس، ولهذا ميز العلم، والحروف هي المميزة بين المعلومات ولهذا يدرك كثيره على قدر اختلاف الحروف وتكرارها، وقد رأينا صورة الحروف وأوردناها في كتاب الختم وعبرّنا عنها بالطائف، لأنها نشأت في ذلك المقام عن اللطف وصنعت منه وميزت مختلفة بنورانية زائدة على اللطف، وهذا التمييز لا يكون إلا في العلم اللائق بالأولية؛ لأن الاطلاع على الأولية يغني ما سواها ويبقى بمجرد العلم فعند إرادة التميز للمعلومات يظهر نورانية لطيفة لائقة بهذا العلم الخافي، فميز اللطائف التي هي الحروف لأن تميزها عند تميز المعلومات، ومحال أن يحصل هذا المقام إلا وقد استقل الشاهد، بجهة الأولية وهي صورة السجن فعاد في هذا السجن تقلب أطوار العلم وهي الحروف المذكورة.

الشعيرة السابعة عشر

حسن أسن، أم أب لاه، أيه فاه وآه عم أخ ليس لا ما تم، نفى حقيقة علم إثبات وجود وهم أيه، وكل ذلك علم، بل خلق، بل قدم صدق، بل ساق انشق، بل الصبح أشرق، بل الحب والنوى انفلق، هل لا تعدم واعكس تجد تعلم، تدري (حم) ما أولدت مع العين والسين، وزيادة القاف والنون، واستخرج ما في الطاء والسين بالياء والسين، واحجب بالصاد عين المرصاد، وخذ من الطاء والهاء الكاف والهاء، ودع الياء والعين لموضع الميمين والسينين من الصاد والراء، فهو الأولي والآخري، وألف لام ميم ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢].

الشعيرة الثامنة عشر

انزل توجد، وارقى تفقد، واعلم تعدم، واسكت تسلم، وقل تغنم، يا لا شيء كيف الشيء، ويا شيء كيف لا شيء.

الشعيرة التاسعة عشر

كم وكم وجود وعدم، قد سلم من ألقى السلم، يا أبكم لا تتكلم، قد ألجم الغرق من نطق، وقيد الخلق من خلق، فمن خرق التحق، ومن ركب ضامر العدم سبق، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ*مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:١، ٢]، وانفتق وارتتق، وعلم وتحقق، وجهل وتزندق، وسلم وصدق، وكذب وفسق، ونفي كل ذلك أحق، والخروج عنه بالطبع أشق، والرجوع إليه بالقوة أرق وأدق، فلا حول ولا قوة ولا استثناء إلا بالله.

العكـــس أحسبك العُلاَ فِي الأسفل ... يَـــا مَنْ توهم عكس مَا فِي الأفضلِ

خلفـــت خلفك سر ما سار النهي ... يـــرجو الأخـــير بزعمِهِ فِي الأولِ

فانـــــزل إِذَا شِئْتَ الترقِّي فِي العُلاَ ... أدبـــر لتقـــبل بالـــضنين المقـــبلِ

لاَ تَخْـــشَ ســـلطانًا وأنـــتَ أميره ... أنْـــتَ المحـــيطُ بكلِّ وَصْفِ أكملِ

فلأنـــتَ مكـــنونُ الكـــتابِ وأمه ... أنْـــتَ المفـــصّلُ فِي الوجودِ المجملِ

إنْ كـــنتَ منحرف الخطوط بنسبةٍ ... فلأنـــت خـــطٌّ فِي القوامِ الأعدلِ

حَاشَـــا يَـــروعكَ مِـــنْكَ مَا أَبْدَيْته ... مـــتوَهَمُ المفـــضولِ عـــينُ الأفضلِ

اعكــسْ تَجِــد كُــل الّذي أملته فَــدعْ لــتطلب للــسرابِ الأخيلِ

الشعيرة العشرون

صيانة الأمانة في موضع تخيل الخيانة، وبما حكم العرض على السموات والجبال والأرض، كان التخلف والإباء لعظمة سر الإنباء، والنبأ؛ لأن الفلك والملك مفردات الأكوان وحقائق الأعيان، وألواح محو وإثبات وآباء وأمهات، فانشق الآناء من عظمة الأنا، وتقدم الإنسان في مثل صورة الرحمن، وكان النــزول على القوام الأعدل إلى المنعكس الأسفل، ستر العظيم الأبجل، وقيل أظلم وأجهل، وبما توسع وضاق المنطبع وأبصر وأسمع، «**لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**[1]».

وإشارة المتكلم للأقرب أوجب، فلا تخونوا الأمانة، ولا تقولوا ثلاثة، وامحوا الوصف الزائد إنما هو إلهٌ واحد، وبما كان الموضوع لمحمول الأمانة الإنسان كان المستوي على عرشه الرحمن.

وَإِنِّــي لأَلْقَاهَــا وَأَعْلَــم أَنَّهَــا تُعَاتِــبنِي إِنْ قلت أَوْ كُنت سَاكتًا
ومَــا ذَاكَ إِلاَّ وَالعِــتَاب دَلاَلها عَلَــيَّ وتَرضَــانِي نَطُوقًا وصَامِتًا

فإن فهمت معاني أسمائك رفعت إلى حقائق سمائك، وإن وجدت قلبك شهدت ربك، وإن فنيت عن خلقك بقيت بحقك، وإن سمعت منك فقد نوديت من قرب القرب، وإن غبت عنك حضرت في غيب الغيب، فما أبعدك وأنت بك، وما أقربك وأنت به، وما أجلك ولا أنت، وما أجملك يا أنا، وما أكملك عند فناء الكئ، وبقاء ما تحقق بالفنا، فيا هو من هو إلا هو، ويا أنا من أنا لولا أنت، ويا أنت من أنت إلا أنا، من جانب طور الأطوار نُودي من جانب جناب معدن الأسرار، بما لوح به الغيب وأشار، ومن دنا من

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/٢٥٥)، والمناوي في فيض القدير (٢/٤٩٦).

ولا أوســع مــن وسع قلبه ﷺ فإنه البحر المحيط الذي كل القلوب قطرة من قطراته، وأما وسعه للحق فلأنــه الرحمة التي قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] وهذه مسألة صرح بها طائفــة من فحول العلماء فهو الواسع لكل شيء، وأما وسعه للعلم الإلهي فلقوله: فعلمت علم الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم انتهى بلفظه أيضاً.

قاب قوسه شهد في حضرات أنسه، جمال من لا تدركه الأبصار، لولا حجابك سمعت منك خطابك، لولا جبلتك نُوديت من جانب جنابك، لولا كثافة عينك لاح لك سنا إنسان غيبك، لو أنحت عن عينك نقطة الغين لارتفع فيما بينك وبينك البين، وأصبحت لا من أين، وأمسيت لا في أين، من محق بقية البقية، وفني عن فناء الجزئية، وغاب عن الكلية بالكلية، انقطع عنه خبر المعية، وناداه لسان السريانية بحروف العربية من غيب الجمعية، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]، امح لوح روحانيتك من حروف انحراف جسمانيتك، يكتب لك كاتب التحقيق بقلم التوفيق في لوح التصديق، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، ويبقى متى جهلت سواك عرفت سواك.

الشعيرة الواحدة والعشرون

اللهم يا شاهد الحق ومشهوده، وعالم الحقيقة ومعلومها، ومريد كل مرادٍ ومراده، إحاطتك نفت من حكم الغير ما أحكمته غيرتك، وعلمك أتقن ما رسمه معلوم فعلك، سبحات وجهك مشهودة، ولكن سترها حجاب المسموع، وذاتك محققة ولكن غيبها شاهد المخفوض والمرفوع، الموجود بالوجود وإن تنوع، وواحد وإن تعدد، بأحكام تجلياته وتوسع بطانة العدم، أدهشت أبصار الفكر، وأعجزت أقوية النفوذ عن البلوغ إلى ما هو الهو، ومشاهد الوجود، أعجزت جامع العقل عن توحد ما بتجلياته تكثر سلب الوجود عدم، وما فيه مطلوب محقق، وإثباته حجاب من حيث خلق وخلق.

فيا حيرة من لا يجدك في العدم، وتعدمه في الوجود، ويا وحشة من لا تؤنسه بالكشف عند الشهود، ويا حوبته من لا تقرب منه وهو عين المعبود؛ لأن القرب في القرب[1]

---

(١) قال الشيخ القاشاني في القرب: هو القيام بالطاعة، والقرب: هو دنو العبد من الله تعالى بكل ما يعطيه من السعادة، لا قرب الحق العبد، فإنه من حيث دلالة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، عليه قرب عام سواء كان سعيداً، أو شقياً، فكل عبد، في كل وقت، تحت حكومة الأسماء الإلهية قرب، من حيث تجلي اسم إلهي وبعد من حيثية اسم آخر، فالقريب من المضل فلا بعيد من الهادي، والعكس، فكل اسم يعطي قرباً، فالسعادة ترجع إلى هذا القرب المصطلح عليه، وقد يكون للحق قرب خاص من العبد زائد على قربه العام.

كما قال تعالى لموسى وأخيه عليهما السلام: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: ٤٦]، فإن هذه المعية، معية العناية بالحفظ والكلاءة، لا المعية العامة، فقرب العبد من الحق بكل ما يعطي من =

طابع، لا يفك ختمه، وشهود النور بالنور ظنٌّ لا ينكشف وهمه، من فتقت رتقه حققت بنور الحقيقة حقه، يا بغية الطالبين في كل وجهةٍ، يا نـــزهة الناظرين في كل لحظةٍ، يا منية المريدين في كل مقصدٍ، إليك حقيقة كل شوقٍ، وإن توهم موصوفه فصل.

اعلم وفّقك الله أيها المسترشد، أن كل شيءٍ كان أو يكون مستودعًا في كتاب مكنون، والكتاب ما يُكتب فيه بالتعيين، صادر عن غيبٍ بالتكوين، ولما كان الكتاب المحيط، الجامع بما برز من غيب الأزل بحقيقة صير وجعل، لا بحكم خلق وصور وفعل كتاب الأسماء بالتعليم الأسنى، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، كان بمعنى الكتب من حيث: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

إما هي إضافة تشريف، أو هي إضافة تعريف، لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، وهذه الرحمة الواسعة من حيث: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شيء﴾ [الأعراف:

=

السعادة يتبع له قرباً خاصاً من الحضرات بالحقية، كما قال ﷺ عن ربه تعالى: «من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يسعى أتيته هرولة».

والقرب على قسمين: علمي، و عملي.

فالعلمي: أعلاه العالم بتوحيد الألوهية، وهو على نوعبن نظري، وشهودي. والعلمي: على نحوين:

قرب بأداء الواجبات: وهو القرب الفرضي كما قال ﷺ عن ربه تعالى: «ما تقرب المقربون بأحب إليّ من أداء ما فرضته عليهم».

وقرب نفلي: كما قال ﷺ عن ربه تعالى: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت له سمعاً وبصراً». ومداد العمل المقرب:

إما من الباطن إلى الظاهر، فأعمه وأتمه الإيمان.

وإما من الظاهر إلى الباطن، فأعمه وأتمه الإسلام.

وإما من القلب الجامع بين الظاهر والباطن، فأعلمه وأتمه الإحسان.

فمقتضى القرب النفلي: تجلي الحق للعبد متلبساً القابلية المحدودة.

ومقتضى القرب الفرضي: تجلي الحق له، وظهور العبد بحسب الحق، غير محدود، ولا متناه.

فالتمييز بين قوسي الحقانية والعبدانية في القرب المفرط إن كان خفياً يعبر بـــ «قاب قوسين».

وإن كان أخفى يعبر عنه بـــ «أو أدنى».

ومن هنا قال قدس سره: وقد يطلق على حقيقة: «قاب قوسين»، فالتجلي بحكم هذا القرب، إن كان في مادة وصورة، تتبعها القرب في النسبة المكانية، في مجلس الشهود، وإن كان في مجلس الشهود، وإن كان في غير مادة، كان قرب المنـــزلة والمكانة، كقرب الوزير من الملك .. فافهم.

١٥٦] وبما كان هذا الكتاب الأعظم يتلقى من القلم[1] الأزلي الأعلم، من أول مراتب الإيجاد، كان قدس تقديس ونفي تحكم تدليس وتلبيس، وبيان غيب ونفي ريب، وتوطين وتأنيس، فيصدر منه ما ورد عليه، وهو الأم الرحيم، وقد ألبسه من الخلق العظيم، ما يوجب لنظر الرب الرضا والصفح، عما إليه حكم المراتب الثانية من هذه الرتبة أفضى، ومما إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفع، بما عليه من أحكام التخيل والتوهم أشمل، طهر قبل الدخول إلى حضرة الأزل في هذا البحر المحيط الطهور، الرافع للحدث بحكم الواجب الأول، فما أتم وأكمل وأحسن وأجمل، وما أقوم وأعدل هذا المثل الأعلى، والسر الأخفى، والنور الأجلى، فطوبى لمن لاحت لبصيرته بوارقه، أو وردت على أسرار سرائره حقائقه، من وجده وجد قلبه، ومن عرفه عرف ربه، ومن جهله فلا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤].

الشعيرة الثانية والعشرون

شجرةٌ لها أغصانٌ عشرة الأول: وجود، دهر، هواء، شخص، هيولى، جسم، طبيعة، قوى، علم، حياة، عقل، روح، ملك، فلك، وجوب، إمكان، غيب، شهادة، نقطة دائرة أصلها الجلالة، وثمرها الرحمن.

الشعيرة الثالثة والعشرون

شيخك من أسمعك إذا سكت، وغيَّبك إذا نطق، وأفقدك إذا وجد، وأوجدك حيث سكت.

وشيخك من علمك بقاله، وحققك بحاله، وأثبتك بزواله، ومحقك بكماله، وأقامك موضع عيانه، فكنت هو أو به، عبارة عنه أو منه، يخاطبك من إيَّاك، ويناجيك بكناك، كذلك وكذلك، لا إفك ولا انفكاك، لذلك فاسمع تسمع، وفرق كل جمع تجمع، عينك وغينك، يقينك وريبك، اسمك ومسمَّاك، إلهك وهواك، خيالك ووهمك، حقيقتك وحقك، شيخك من محاك، وثبت ونطقك حين سكتٍ، هو الموجود فيك، وأنت الفاني به، بل معه، بل فيه.

(١) القلم: علم التفصيل، فإن الحروف التي هي مظاهر تفصيله في مداد الدواة ولا يقبل التفصيل ما دامت فيها، فإذا انتقل المداد منها إلى القلم تفصلت الحروف به اللوح، وتنفصل العلم إلى لا غاية.

الشعيرة الرابعة والعشرون

احذر شر شره المريد، تسلم من فتنة فترته، من حذر شر شرهم سلم من فتنة فترتهم، من عزه إقبالهم ضره إدبارهم، من نظر في قلوبهم ستر على عيوبهم، من نظر في أحوالهم استغنى عن أقوالهم، من قرأ عليهم من ألواحهم وصلهم إلى حضرات أرواحهم، من طلبهم للعرض صحبوه بالغرض، من أحدهم بالكشف والاطلاع أخرجهم عن ودٍّ وسواعٍ.

واعلم وفّقك الله لرشده، وأمدنا وإيَّاك بلطائف رفده، أن الوجود الإنساني على ثلاثة أقسام: متصل، ومنفصل، ومتوسط، فالمتصل على ثلاثة مراتب: عالم القلب، وهو محل المعرفة[1] حيث لا يشهد غير الحق، ولا يعلم سواه، وعالم الروح وهو موضع العيان، والمناجاة، حيث ارتفاع الستر، ومقابلة الذِّكر بالذِّكر، وحضرة الشاهد والمشهود، ومنه بدأ الأمر وإليه يعود، وعالم السر وهو موضع إسقاط الخبر والخبر، والتحاق الأمر بالأمر، وهو الآن على ما عليه كان، هذا الذي يُسمَّى عالم الأمر، وهي جملة متصلة لا مفترقة ولا منفصلة، وهذه حضرة الرحمن، وموضع تجليه بالسمع والبصر واللسان، فهم أعيان معانيه، وسر تدليه وتدانيه، فهذا العالم واحدٌ بالذات، آحاد بمظاهر الصفات، وأحكام التجليات، وله الإشارة بقوله ﷺ: «**لقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء**[2]».

وبما كان عالم الكون منفصل بالصورة، منقطع بالحدوث، كان موضع الضيق ومقر الخير بالتشريف، «**لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**[3]».

وهذا العالم على ثلاث مراتب:

المعدن وهو موضع الجمود والركود، وانقطاع المظاهر الروحانية، والاستعدادات الملكية، وإن بطنت فيه واستترت، واستخفت فيه وما ظهرت، وعالم النبات، وهو أقرب

---

(١) **قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به**: المعرفة هي أعلى مراتب العلم الثلاثة؛ لاستغناء موصوفها في حصول ما تعلَّقت به عن إعمال النظر الصحيح، وهذا هو حق اليقين، وحقيقتها: وجودٌ ينتفي معه وَهْمٌ مرجوحٌ وظنٌّ راجحٌ والشكُّ المتساوي، وغايتها: تعلق العلم بمعلومٍ ذاتيٍّ لموصوف مغايرة من عينٍ واحدةٍ الذي لا يستقل غيره بنفسه دونه اهـ.

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٤/٤٤٣).

(٣) سبق تخريجه.

إلى الروحاني، وأميل إلى الجسماني، وفيه تظهر البوارق الملكية، ولمعات الروحانية، وتجليات الرقائق الميكائيلية وغير الميكائيلية، ثم الحيوان، وهو أقرب إلى الإنسان، وأعدل في الميزان، وأجمع في التركيب، وأعجب في الترغيب والترهيب، فيه انفهق ملكوت الجان، وتعين الزوجان، وهم ظواهر البرزخ الأخروي، وآخر النشء الثقلي، يُقال: الجسم والحس والنفس، والعالم الثالث عالم الملكوت، وموضع الرهبوت والرحموت، كان له حكم بين العالمين، وبرزخية بين البحرين، لا يبغيان ولا يتصادمان، له وجهة بها يستدل على إثبات الغيوب، وتحقيق ما هو عن العيون محجوب، ووجهة بها يرتب قوانين الأوضاع، ويقوم أمزجة الطباع، قد رسمت فيه أشكال الصور، وعلم مراد المخبر بحكم الخبر، فيه تنصب المعارج، وعليه تقوم أساليب المدارج، وهو على ثلاثة مراتب:

الأول: الإلهام وهو وحي ملائكي، مجرد عن التشبيه الفلكي، فلا زيغ ولا كذب، ولا شكوك ولا ريب، تنــزلات جبريلية، منــزهات علية، علمية وصورية.

الثاني: عالم العقل المعيشي، وهو ذو الفكرة والغيبة والحضرة، وتصور العواقب في الحاضر والغائب، وفيه دوائر ونقط، وإصابات وسقط، وشبهات وغلط.

والثالث: الخيال، وهو موضع كشف وتشبيه، وحكاية وتمويه، تحسبه النفوس المحجوبة غاية، وتظنه العقول المكادة نهاية، وبما كان العالم الأول وهو عالم الأمر، حضرة الأقطاب والأفراد، وعرس الأئمة الخلفاء الآحاد، أهل الاتصافات بأنوار الصفات والاستواءات، على العروش الصديقيات، والقلوب الإيمانيات، يضع الله لهم منابر من نورٍ، فيجلسهم عليها، وكان الموضوع على صورة المحمول، خلق الله آدم على صورته، فهي منابر سميعة بصيرة روحانية متكلمة خبيرة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وبما قال ﷺ للمرأة حين قالت: فإن لم أجدك؟ قال: «تجدين أبا بكر[1]».

والغائب في الحاضر تقر العين للناظر، ومن كان يعبد محمدًا بالظاهر، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله بالضمائر فإن الله حيٌّ لا يموت في السرائر.

(١) رواه البخاري (٦/٢٦٧٩)، والترمذي (٥/٦١٥)، وأحمد (٤/٨٢).

فيا دليل الحائر، ويا قوة عين الناظر، ويا خسارة الجاحد الكافر، حيث انقطع في محض الظاهر بالظاهر، فالحمد لله على ما أولى، وأعوذ بالله من فتنة البلاء والابتلاء، وصلّى الله على سيِّدنا محمد سر الأولياء في الآخرة والأولى.

فصل

وبما قال ﷺ: «منبري على حوضي[1]»، كان الحوض عبارة عن القلب العالم الناطق، والوعاء الذكي الطاهر، فيه تُصب أبحر العلوم[2] الأربعة:

الأول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

والثاني: الأول والآخر، والظاهر والباطن.

والثالث: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل.

والرابع: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى.

وبما كانت كيزانه عدد نجوم السماء، كانت الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الثقات، وأهل إدارات الكاسات، من أنوار الصفات والأسماء، والأفعال والذات، وكان المنبر حجاب القال، والمخبر عن سر تصاريف الحال بلا زوال ولا انتقال، من أخلص لله أربعين يومًا أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فلا أعلم من الحوض، ولا أخبر ولا أصدق في الخبر من المنبر، والله أعظم وأكبر من أن يُدرك بالفكر، وينعت بالورود والصدر.

الشعيرة الخامسة والعشرون

المسافات العالمية مندرجة في الأنا والأنت والهو، فمن حل الضمير تنـزّه عن الكيف والنظير، الفهم نتيجة الذوق، والعزم نتيجة الشوق، وكل لذّةٍ في العشق المستغرق في الذات، متى نطق فسق.

---

(١) رواه أحمد (٢/٣٩٧)، وابن حبان في صحيحه (٩/٦٦).

(٢) قال سيدنا شيخ سيدنا المصنف: العلوم ثلاثة: علم الكتب، وعلم الكلام، وعلم الاسم. فعلمان يمحى العبد فيهما وهما علم الكلام وعلم الاسم وعلم يثبت فيه وهو علم الكتب وهو قسمان: أصلي وفرعي، ومنه وعنه انتشر وجود الآدمي وطوراه الفاني والباقي.

الشعيرة السادسة والعشرون

اعلم وفّقك الله أن الدنيا والآخرة بالجسم والجسماني، والروح والروحاني، فأرواح في أشباح، وأنفس في أجسام، وكل جسمٍ وجسماني في زمانٍ ومكانٍ وحالٍ، وكل روحٍ وروحاني في حين ومقام وفضاء، وما عدا ذلك في دهرٍ ووجودٍ وإطلاقٍ.

فالأول: كائنٌ بالتركيب، مفقودٌ بالتحليل، منتقلٌ بالأحوال، متغيرٌ بالانتقال، كثيفٌ بالطبع، محجوبٌ بالوضع، فاقدٌ لما وجد، مفتقرٌ طول الأمد.

الثاني: موجودٌ بالتجلّي، واجدٌ بالتحلي، مستمرٌ بالتأييد، قادرٌ على التشكيل بالتجريد، متكثر بالفعل، غير منحصرٍ بالعين، ولا مقيد بالشكل.

الثالث: وحداني بالذات، محيطٌ بالصفات، ليس معه غيره، ولا فيه سواه، ليس كمثله شيء، ولا خروج لأشياء، إشائته عن إحاطة شيء شيئيته، فالأزل والأبد واللاهوت والناسوت وما فيهم من إحاطات ومحاطات، وملك وملكوت وجبروت، ظاهرون في وجوده بصفاته، باطنون في عدمه بذاته.

الشعيرة السابعة والعشرون

لوامع الكشف، وموانع الغيرة، توجب للعقل أحكام الحيرة[1]، توهم الفكر يكثر

(١) قال الشيخ الشعراني: الحيرة في الله من كمال المعرفة به، وهي ساريةٌ في العالم النُّوريّ والنَّاريّ والترابيّ، لأن العالَم ما ظهر إلا على ما هو عليه من العلم الإلهيّ، وما هو في العلم الإلهيّ لا يتبدّل، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] الآية.

فما فُطِر العالَم إلا على الحيرة، وذلك لأن المرتبة الإلهية تنفي بذاها التقييد عنها، والقوابل تنفي الإطلاق عنها، ولا تشهد إلا صورها من التقييد.

فهذا هو سبب شدة الحيرة في الوجود، ولا أحد أشدَّ حيرةٍ في الله من العلماء به، ولهذا ورد أنه ﷺ كان يقول: «زِدْنِي اللَّهُمَّ فِيْكَ تَحَيُّرًا»، ومع ذلك فأعلى ما يصل إليه العلماء بالله تعالى من طريق نظرهم مبتدأ البهائم؛ لأنها كغيرها مفطورةٌ على الحيرة في الله ﷻ، والإنسان يريد أن يخرج بما أعطاه الله تعالى من العقل والرؤية وإمعان النظر عن الحيرة التي فُطِر عليها، فلا يصحُّ له ذلك.

وعلى هذا الذي قررناه الإشارة بقوله تعالى في حقِّ قومٍ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

فإن التشبيه بالأنعام إنما هو في الحيرة لا في المحار فيه، فليس ذلك نقصًا في الأنعام، والحيرة عَمًى بلا =

شكٌّ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٧٢]، أعني جاهلاً بالذات. لا كما هو في الدنيا.

ولذلك كان العارف المحقق عمرو بن عثمان المكي يقول في صفة العارفين: وكما هم اليوم يكونون غدًا، فَعُلِمَ أن من طلب معرفة الذات من طريق الفكر والنظر كان مآله إلى الحيرة، كما أن من طلب الواحد في عينه لم يحصل إلا على الحيرة، فإنه لا يقدر على الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب، وكيف يقدر على ذلك، وهو يحكم على نفسه بأنه طالبٌ، وعلى نفسه بأنه مطلوبٌ، ومقام الواحد يتعالى أن يحلّ في شيء، أو يحلّ فيه شيءٌ؛ لأن الحقائق لا تتغير عن ذاتها؛ إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه، وتغيير الحق في نفسه وتغيير الحقائق محالٌ.

واعلم أن حيرة أهل الكشف والشهود أعظم من حيرة أصحاب النظر في الأدلة؛ لاختلاف الصورة عليهم عند الشهود.

فإن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان، فلهم أن يحاروا ويعجزوا، وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهودٌ إلا فيه، فهو مشهودهم، فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النُظّار في معارضات الدلالات، وفي الحقيقة ما في الوجود إلا الله.

ولا يعرف الله إلا الله، فمن وصل إلى الحيرة من المقربين فقد وصل، والسلام.

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: العلماء بالله على أربعة أصناف:

صنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق النظر الفكري، وهم القائلون بالسلوب.

وصنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق التجلي، وهم القائلون بالثبوت والحدود التابعة للصورة.

وصنف: يحدث لهم علمٌ بالله بين الشهود والنظر، فلا يبقون مع الصورة في التجلي، ولا يصلون إلى معرفة هذه الذات الظاهرة بهذه الصورة في أعين الناظرين.

وصنف: ليس واحدٌ من هؤلاء الثلاثة، ولا يخرج عن جميعهم، وهو الذي يعلم أن الله تعالى قابلٌ لكل معتقد في العالم، من حيث أنه عين الوجود، وهذا القسم ينقسم إلى صنفين:

صنفٌ يقول: عين الحق هو المتجلي في صور الممكنات.

وصنفٌ يقول: أحكام الممكنات، وهم الصور الظاهرة في عين الوجود الحق، وكلٌّ قال ما هو الأمر عليه، ومن هنا فشت الحيرة في المتحيِّرين، وهي عين الهدى في كل حائرٍ، فمن وقف مع الحيرة حار، ومن وقف مع كون الحيرة هدًى وصل، ومن وصل لا يرجع، لأن من المحال الرجوع بعد كشف الحجاب إلى الحجاب؛ إذ المعلوم لا يجهله العالم بعد تعلق العلم به.

ومرادنا بالوصول الوصول إلى السعادة الدائمة.

وهو معنى قوله: «**فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه وبصرَه**» الحديث.

وأنشدوا في ذلك:

وكل حب عُلِمَ له بدءٌ ويحققه علمي	سوى حبٍّ ربٍّ ما له ثانِي
وغايةُ الحبِّ في الإنسانِ وصلتُهُ	روحٌ بروحٍ وجثمانٌ بجثمانِ

=

وغايـــةُ الوصـــلِ بالــــرحمنِ زندقـــةٌ فــــإنَّ إحـــسانَه جـــزاءُ إحـــسانِ
إنْ لَـمْ أصـورْه لم تعلـمْ بمـا كُلِّفـتْ نفـــسي وتـــصويره ردٌّ لبرهانِـــي

وأنشدوا أيضًا في نحو ذلك:

الله الله لا عقـــل يُـــصوِّرُهُ والـــوهم يُعـيدُهُ في صـورة البـشرِ
والـــشرع يُطلقُـــهُ وقـــتًا ويحـــصرُهُ والكـــون يُثبِـتُهُ فِـي سـائرِ الـصورِ
إنْ قـالَ كُـنْ فلمـن والعـينُ واحدةٌ بـل عـينُ كـنْ لم تكن إن كنتَ ذَا بصرِ

وأنشدوا أيضًا في حيرة العقول:

فلـــو رأيـــتَ الـــذي رأيـــنا مـــا قلـــتَ إلا أنـــا هـــو أنـــتَا
قـــد أثـــبتَ الـــشيء قـــولَ ربِّـــي لـــو لم يَكُـــن ذاك مـــا وجَـــدنَا
فالعـــدمُ المحـــضُ لـــيس فـــيه ثـــبوتُ عـــينٍ فقُـــلْ صـــدقتَا
لـــو لم تكـــنْ ثَـــمَّ يـــا حبيبِـــي إذ قـــال كُـــن لم تُكُـــن سَـــمِعتَا
فـــأيُّ شـــيءٍ قـــبلتَ مـــنه الكـــونَ أو كـــون أنـــتَ أنـــتَا

وأنشدوا أيضًا:

عجبِـــي مـــن قائـــلٍ كُـــن لعـــدمٍ والـــذي قِـــيلَ لـــه لم يَـــكُ ثَـــمّ
ثم إن كـــان فَلِـــمَ قِـــيلَ لـــهُ لِـــيَكُن والكـــون مـــا لا ينقـــسمْ
فلقـــد أبطـــلَ كُـــن قـــدرةَ مـــن دلَّ بالعقـــلِ علـــيها وحكـــمْ
كـــيفَ للعقـــلِ دلـــيلٌ والـــذي قـــد بَـــنَاهُ العقـــلُ بالكـــشفِ انهـــدَمْ
فـــنجاةُ الـــنفس في الـــشرعِ فـــلا تُـــكُ إنـــسان رأى ثم حـــزَمْ

فَعُلِمَ أن من أعظم غلطات أهل النظر طلبهم الخروج عن الحيرة بالخلوة والرياضة، وذلك لا يكون لهم أبدًا، لأن التجرد عن المواد يُعقل ولا يُشهد، ولا يُسلم لهم عقلٌ من حكمٍ ولا خيالٍ؛ لأن كل ما سوى الله حقيقته الإمكان، والشيء لا يزول عن حكم نفسه، ولا يتعقل إلا ما كان على صورته، تعالى الله عن ذلك.

وأنشدوا في الحيرة أيضًا:

لـــستُ أنـــا ولـــستُ هـــو فمَـــن أنـــا ومَـــن هُـــوَ هُـــوَ فـــيا هـــو هل أنتَ أنَا
ويـــا أنـــا هـــل أنـــتَ هـــو لا وأنـــا مـــا هـــو أنـــا ولا هـــو هـــو ما هو هو

=

واحد السر، وتخيلات النفس تحجب تجليات القدس، غلبة الأوهام على الإلهام، حكم حجاب الخلق بالخلق عن الحق، ورفع العكس في العكس حكم طهارة القلب بسرٍّ توحيد الرب، ونفي ما سواه في حالتي البعد والقرب.

واعلم أن نهاية الإقدام في كل مقامٍ، إما لعدم الشعور بما وراء ذلك المرام، وإما للإحجام من سطوات الإعظام، وإما لفتنة الطبع وعدم الاهتمام.

فالأول: حال الأبرار، وعمرة دار القرار، ولهم إنكار على من يفوه بالأسرار؛ لعدم الاستشعار.

والثاني: حال المقرب الشاهد في مرآة حضرة الرب، وله إنكار على إطلاق التحقيق، مخافة من حال الزنديق بعدم التوفيق.

والثالث: حال المقرور بدار الغرور، ينكر على أرباب المجاهدة والمشاهدة[1]، ويأخذ

=

لـــو كـــانَ هو ما نَظَرَت أبصَارنا به لـــه   مـــا في الوجـــود غيرنـــا أصلاً أنا وهُوَ هُوَ

وكان شيخنا ﷺ يقول:

من الرجال من زالت عنه الحَيرة في الله ﷻ. فقلت له: كيف ذاك؟ فقال: إذا تجلى الله تعالى للقلب في غير عالم المواد زالت الحيرة، وعلم من الله على قدر ذلك التجلي من غير تعينٍ؛ إذ لا يقدر أحدٌ على تعيينٍ ما قد تجلّى له إلا كونه تجلى في غير مادةٍ لا غير، ثم إذا رجع من هذا التجلي إلى عالم المواد صحبه تخيل تجلي الحق تعالى.

فما من حضرةٍ يدخلها إلا ويعرف الله تعالى في تجليها؛ لأنه قد ضبط من معرفته أولاً ما ضبط، فيَعلَم أن التجلي قد تحوَّل في أمرٍ آخر، فلا يجهله بعد ذلك أبدًا، ولا ينحجب عنه، فإن الحق تعالى ما تجلى لأحدٍ هذا التجلي، فانحجب عنه بعد ذلك أبدًا.

فإذا نزل العبد إلى عالم خياله وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدةً بعد أن عرفها قبل ذلك علمًا وإيمانًا رأى الحق تعالى في صورة الخيال مقيَّدًا فلم ينكره، لكن لا يسعه إلا السكوت، لأنه حينئذٍ يرى أن لا معلوم إلا الله، وإذا كان لا معلوم إلا الله فلا يدري أحدٌ ما يقول! ولا كيف ينسب الأمور!وأنشدوا في تجلي عالم المواد:

مَـــــنْ قـــــالَ يعلـــــمُ أنَّ الله خالقُـــــهُ   ولم يَحُـــر كـــان بـــرهانًا بـــأن جهـــلا

العجـــــزُ عـــــنْ دركِ الإدراكِ معـــــرفةٌ   كـــذا هـــو الحكـــم فـــيه عـــند مَن عَقِلاَ

وانظر: الميزان الذرية (ص٧٣) بتحقيقنا.

(١) **قال سيدي محمد وفا** ﷺ وعنّا به: المشاهدة هي إزالة الموانع عن الحقيقة المستعدة لقبول الحق، وحقيقتها: استغناء النظر الصحيح بالبصيرة النافذة في تحصيل المطلوبات عن نصب الأدلة والبراهين،
=

بالمناقضة والمضاددة والمعاندة، والمنكر يحدث في المنكر عليه وسوسة ووسواس، وينتج حكم الظن والحدس والقياس، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ*مَلِكِ النَّاسِ*إِلَهِ النَّاسِ*مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ*الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١: ٦]، وبما تنوعت أحوال الناس إلى ظنٍّ وحجمٍ والتباسٍ، أمر الله السر الأحمدي والروح المحمدي، والقلب المطهر الرَّضي، أن يستعيذ بهذه الأسماء الثلاثة: الرب، والملك، والإله، ولهذا قال: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذرهم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، وكتمان الأسرار عن الأغيار من صفات الأحرار، ومن غلب عليه حاله حلا له ما يناله، ومن تمكن تفنن.

الشعيرة الثامنة والعشرون

إذا نصر الحق الفهم على الوهم، وجاء المنح بالفتح، أبصرت البصيرة[(١)] الإلهامية المحمدية الأحمدية، في الملة الإلهية الوحدانية الأحدية، الملل والنحل، أفواجًا أفواجًا، يتبادرون من كل فجٍّ ومنهاجٍ، وقد اهتدى منهم الحائر، وتحقق منهم الناظر، حين ظهر فجر السرائر للمدلج السائر، كان في دين الله غاية المطالب لكل طالبٍ، وهنا تموت النفس بفقد الحس، وتحيى الروح بحياة الأنس[(٢)]، وبحب الحمد والتسبيح لله رب العالمين على ما =

وغايتها: رؤية الصديق عين خبر الصادق في صورة كونه اهـ.

(١) قالَ سيدي محمد وفا ﷺ وعنًا به: البصيرة هي فقه القلب في حَلِّ إشكال مسائل الخلاف فيما لا يتعلق العلم به تعلُّق القطع، وحقيقتها: نورٌ يُقذف في القلب، يستدلُّ به العقل الخابط عشواءَ على سبيل الإصابة، وقد أظله ليل الحيرة، وغايتها: النظر إلى الحق من الوجه الذي ينظر هو إليه منه اهـ.

(٢) قال الشعراني ﷺ في «القواعد الكشفية» في الكلام على الأنس بالله: إن ذلك لا يصحُّ لأحدٍ من الأولياء؛ لما تقدم من الجهل بكنه الذات.

وقد قال الولي الكامل سيدي علي بن وفا رحمه الله: (لا يصحُّ الأنس بالله تعالى لأحدٍ من المحققين، وما أنس إلا بما منه من التقريبات لا بذاته تعالى).

قلت: وقد أجمع أهل الطريق على ما قاله سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى، وقالوا: الأنس لا يصحُّ إلا بالمشاكلة والمناسبة، وليس بين الخلق وربهم مشاكلةٌ ولا مناسبةٌ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا اهـ.

ثم قال: إيَّاك أن تقول أنك أنست بالله تعالى عينًا؛ فإن ذلك لا يصحُّ، وقد سمعت مرة هاتفًا يقول: (إذا كان كل شيءٍ خطر ببال عبدي فأنا بخلافه، فكيف يصح له مناجاتي على الكشف والشهود والأنس بي) اهـ (ص٥٨).

وقد قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنًا به في تعريف الأنس: الأنس هو ظهور علامات تشعر النفس بنيل =

منح من هذا الفتح المبين، وأوصل قلوب الصديقين بحضرة المقرَّبين، ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً*إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ [الواقعة:٢٥، ٢٦]، فله الحمد أبدًا على ما أرشد وهدى، وهنا تلوح في غياهب المذاهب أقمار الحقائق، وشموس المواهب، وتنظر عيون الحقائق من كل حاجب، ولذلك قال جلَّ وعلا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ *وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [النصر: ١: ٣]، فكان التسبيح بالحمد تنـــزيهًا للقصد، وثناء على المجد، بما منح من سر الفتح، وفتح بدك السد، وكان الاستغفار حقيقة التوقِّي والاستتار، بسرِّ الأسرار من نظر الأغيار، وكانت التوبة بالرجوع منه إليه، رجوع من جنة ضيق الخلق إلى جنة فضاء حضرة الحق، ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً*جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾ [النبأ:٣٥، ٣٦].

وأشرف الصَّلاة والسلام على سرِّ السلام، ونهاية الختام، ما انفصل ودام، فتح وختام.

الشعيرة التاسعة والعشرون

مظاهر الذات بالأفعال والأسماء والصفات، حجب لتجليها، ومظاهر لتدنيها وتدليها، وهم على ضربين: حجب وجوب، وحجب إمكان، فمظهرها في الوجوب بالفعلية، وفي الإمكان بالمفعولية، فرب ومربوب، وغالب ومغلوب، وطالب ومطلوب، فمن فهم المقاصد في المعاهد ظفر بسر الواحد، وأوضح المشاهد للشاهد، ومن توهَّم العوائد حرم الفوائد، مناجاة دعاء:

إلهي.. أنت سر ذاتي، وروح حياتي، ونور مشكاتي، فاستهلك في ذاتك ذاتي، واستغرق في صفاتك صفاتي، وافنِ في وحدانيتك كلياتي وجزئياتي.

=

المراد، وحقيقته: مد يد الأطماع إلى اقتطاف ثمر المواصلة، وغايته: تصرف العبد في ملك الرب؛ اعتمادًا على التحقيق بصحة المحبة التي توجب رفع علل المغايرة اهـــ.

الشعيرة الثلاثون

(لا إله إلا الله): كلمة نفي وإثبات، تنفي كل شيءٍ من قيد الوهم، وتثبته بإطلاق الحقيقة، وما يثبت بالحقيقة لا يتحول بالمجاز.

الشعيرة الواحدة والثلاثون

(الله): اسمٌ جامعٌ لأقوية فعالة بالذات، (الرحمن): اسمٌ جامعٌ لأفعال مفيضة للصور بالتجلّي[١].

الشعيرة الثانية والثلاثون

كل موجودٍ في عين الوجود، وإحاطة الإيجاد ليس له ذات ولا صفات غير ذلك، هذا حقه، وحقيقته العدم، ومن توهم الهم، والمعلم أعلم، والتسليم أسلم.

الشعيرة الثالثة والثلاثون

من صدق في شيءٍ أثر به، ومن خرج عن شيءٍ أثر فيه.

الشعيرة الرابعة والثلاثون

ما كان عنك سوى ما كان فيك، الذي بطن فيك بالوجوب ظهر منك بالإيجاب، والذي كان فيك بالوجود[٢] كان عنك بالإيجاد.

---

(١) فإن قيل: إن الاسم (الرحمن) جامعٌ أيضًا قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِادْعُوا الرَّحْمَنَ أَياًّ مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

فأثبت له الجمعية مع الاسم (الله).

قلت: نعم هو جامع أيضًا إلا أن جمعيته من جهةٍ واحدةٍ.

فإن قلت: وكيف جعلت الاسم (الله) اسمًا للمرتبة.

والحال أنه اسم بل علم لذات الواجب؟.

قلت: قد صرَّح الشيخ الأكبر في أسئلة الحكيم الترمذي بأن اسم الذّات هو الاسم الواحد، والاسم (الله) هو اسمٌ لهذه المرتبة المذكورة. نعم يُطلق عليها اسم الذات من حيث باطنه، فلا منافاة.

(٢) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: الوجود هو حقيقةٌ ظاهرةٌ، لا يتطرق إليها احتمالٌ ولا تشكيكٌ، يشترك فيها كل شيءٍ اشتراكًا خاصًّا، يستحيل تصور ما صدق عليه نقيضها، وحقيقته: كشف غطاء العدم عن المعدوم الذي لا يجوز وقوعه، وغايته: مُكْنَةٌ يقدر بها على حصول المنفي

الشعيرة الخامسة والثلاثون

الوجود ثلاثة أقسام: ملك، وملكوت، وجبروت.

فالأول بالفعل مستعد للوصف، الثاني بالوصف مستعد للذات، والثالث بالذات مستعد للذات، جسم وجسماني، وروح وروحاني، وجبروتي رحماني، فالإنسان من حيث آدميته متصفٌ بالجان اتصاف الفعل، ومن حيث هذا الوصف يستعد لقبول الجان الخارج استعدادًا ذاتيًا، لا للإنسانية، وكذلك للملك بالملكية، من حيث روحانيته الناطقة.

وأما من حيث ما هو فمستعدٌ لمعرفة الذات بالذات، بحقيقة قوله: «**فبي عرفوني**[1]»، ولذلك قال: «**الإخلاصُ سرٌ من سرّي أودعته قلب من أحب من عبادي، فلا يطلع عليه ملكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده**[2]».

ومن هنا يفهم سر الروح[3] المنفوخة في آدم، ولمن كان سجود الملكوت، ويعلم

=

المستحيل في عقل القاصر عن تحصيل الحقيقة المعجوز عنها اهـ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١٨٧/٣)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠٩/٤).

(٣) والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة:٩].

اعلم أن هذه الإضافة إضافة تشريف وإظهار بأنه خلقٌ عجيبٌ ومخلوق شريف، وإن له شأنًا لأنه جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه فصار بسبب ذلك حيًّا حساسًا بعد أن كان جمادًا.

والروح اختلف العلماء هل يجوز الخوض فيها أم لا، فذهب قوم إلى أن الإمساك عنها أولى، وذهب آخرون إلى الكلام فيها، والمتكلمون فيها اختلفوا هل هي عرض أو جرم لطيف يحل بالأجرام، كحلول الماء في العود الأخضر، والحكماء يقولون هي اللطيفة المدبرة للجسد حيوانًا كان أو غيره، وهذه اللطيفة مختلفون فيها، فمنهم من قال: إنما الريح فهي عندهم في الحيوان روح، وفي الهوى ريح، فالأولى تحرك الحيوانات، والأخرى تحرك الجمادات، ومنهم من قال: إنما ماء الجسد المشتبك فيه اشتباك ماء العود الأخضر به، وهذا الماء عند الفلاسفة هو الدم، وعند غيرهم ما صحَّ منه التركيب البدني؛ لأنه إذا ذهب تركيب البدن، وهذه الأقوال وإن كانت حقًا فمن وراء حجاب عن حقيقتها،

=

وحقيقتها هي التي أجاب عنها تعالى بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾[الإسراء: ٨٥]: أي اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] الذي هو روح البدن الإنساني، ومبدأ حياته سألوه عن حقيقته، فأجيبوا بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥]: أي من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأسرار الخفية، التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر، فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن والإضافة؛ للاختصاص العلمي لا الإيجادي؛ لاشتراك الكل فيه، والمعنى أن الروح ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لا يتجاوز إدراكهم عن الحس والمحسوس بالتشبيه ببعض ما شعروا به، والتوصيف بل من عالم الأمر الإبداع الذي هو عالم الذوات المجرَّدة عن الهيولي والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والأين، فلا يمكنهم إدراكه أيها المحجوبون بالكون؛ لقصور إدراككم وعلمكم، ولذلك قيل: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» إذ لا يمكن معرفتها حق المعرفة، وأقاويل العلماء والحكماء والصوفية كثيرة في ماهية الروح، وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله ﷻ وهو قول أهل السنة.

قال عبد الله بن بريده: إن الله لم يطلع على الروح ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً بدليل قوله:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] الذي استأثر به؛ لأنها من قول: (كن) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ [النحل:٤٠].

واعلم أن الروح في الحقيقة روحان: روح القدس، وروح الأكوان، فروح القدس هو روح الأرواح، وهو المنزه عن الدخول تحت حيطة (كن)، فلا يجوز أن يُقال فيه إنه مخلوقٌ؛ لأنه وجه خاص من وجوه الحق، قام الوجود بذلك الوجه، فهو روحٌ لا كالأرواح؛ لأنه روح الله تعالى، وهو المنفوخ فيه من آدم.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص:٧٢]، فروح آدم مخلوق وروح الله ليس بمخلوقٍ، فهو روح القدس: أي أنه هو الروح المقدَّس عن النقائص الكينونية، وذلك الروح هو المعبَّر عنه بالوجه الإلهي في المخلوقات.

وهو المعبَّر عنه في الآية بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، يعني هذا الروح المقدس الذي أقام الله به الوجود الكوني بوحدانيته، تولوا بأجسامكم في المحسوسات، أو بأفكاركم بالمعقولات.

فإن الروح المقدس متعين بكمالٍ فيه؛ لأنه عبارة عن الوجه الإلهي القائم بالوجود، فذلك الوجه في كل شيءٍ هو روح الله، وروح الشيء نفسه، فالوجود قائم بنفس الله، ونفسه ذاته، فتعالى الله عن المثل

حقيقة الأكل من الشجرة، وعلى من وقع الهبوط.

واعلم أن الإنسانية مجموع الأسماء الربَّانية التي علمها آدم في ملكوت الروحانية، وهي حقائق ودقائق، ولها أقوية رقائق، وكان المهيمن على دوائرها، والمحيط على بواطنها وظواهرها، الاسمان العظيمان: (الله)، (الرحمن)، وما لهما من أسماء ومسميات وأفعال وصفات، ولذلك قال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]، فهي إذًا أسماء المسميات، ولما سجد جماهير الملائكة للأسماء الربَّانية الإلهية الرحمانية بحضرة الأسماء الإنسانية الآدمية تخلل بهذه الأسماء حب الرئاسة بحقيقة: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، فرسمت لكل منهم في طرسه، وادعاها كل منهم لنفسه، ولكن استيلاء عظمة الأسماء الحسنى منعت ما فيها من القوى عن تجريد الدعوى، فلما كان الأكل من هذه الشجرة، والنـــزول إلى هذه الدار الكدرة، والقعرة القعرة، وأعرضت الأسماء العظام

=

والشبيه، أو أن يدركه بعقله نبيه.

وروح الأكـــوان هو أن كل شيءٍ من المحسوسات لـــه روح مخلوق قام به صورته، والروح لتلك الـــصورة كالمعنى للفظ لا يخلو منه كون ما، إلا إذا لم يدخل في كينونة (كن)، وتلك الروح كائنة من روح القدس، لا يصح كونها من غيره، ولا يصح كونها منه كما قيل:

رق الـــزجاجة ورقـــت الخمـــر فتـــشاها وتـــشاكل الأمـــر
فكأنمـــا خمـــر ولا قـــدح وكأنمـــا قـــدح ولا خمـــر

فـــافهم ثم تـــتعلم، وهو من أغرب ما يعلم أن الروح في دخولها في الجسد وحلولها فيه لا تفارق مكانهـــا، ولكنها لما نظرت إلى الجسد حلَّت فيه؛ لأن من عادة الأرواح أن تحل فيما نظرت فيه من غير مفارقةٍ لمركبها، وهذا مما لا يُفهم إلا بالكشف الربَّاني، ولكني أمثله لك ليقرب من ذهنك يسيرًا، فهذا الحلول كحلول وجهك في المرآة من غير مفارقةٍ منك لموضعك وهو مجرد مثل.

وأمـــا التفرقة فهي حاصلة من كل وجهٍ غير ذلك الحلول، وشهود تلك الروح القائمة بها الأكوان قدسًـــا وكـــونًا هو البحر، الذي إذا شاهده الولي شاهد منه الأنبياء والأولياء والملائكة، وغير ذلك من كـــل روحٍ قائمـــةٍ في جسدها شهودًا لا تكون فيه تفرقة بين كبيرها وصغيرها، وكثيرها وقليلها، ولا ينجيه من الغرق فيه إلا سفينة الشريعة؛ لأنها ترد له كل شيءٍ إلا بما هو له ظاهرًا وباطنًا، فيحكم للكل بما حكم به ربه من وجود ظاهر وعدم باطن.

والأرباب الكرام، وخلت النفس عن الحكام، نهض كل اسمٍ وقام، وادَّعى النقض والإبرام، فتفرق الجمع، وقلت الطاعة والسمع، وضعفت القوى، واختلفت الأهواء، كلٌ يقول بلسان الدعوى، أنا ربكم الأعلى، وصار بعضهم لبعض أعداء، فمن ها هنا يريد العبد أن يتجرَّد عن أسمائه الربَّانية، وأوصافه النفسانية، ويخرج عنها بالكلية، وبما تلقى آدم من ربه الخمس كلمات، والذوات التامات: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين، جاءت المنَّة، وتتابعت الرحمة، وانفهقت أنوار الحكمة، فمن اقتفى آثارهم تحقق بأسرارهم.

الشعيرة السادسة والثلاثون

إذا نسي العبد نفسه اشتغل بربه، وإذا اشتغل بنفسه عرف ربه.

الشعيرة السابعة والثلاثون

المريد الصَّادق لا يطلب الله بالقصد، ولا ينساه بالترك؛ لأنه إذا صدقت المحبَّة لا تبقي من المحب حبة.

الشعيرة الثامنة والثلاثون

رحيلك عنك بداية، ورجوعك إليك نهاية، والتحقيق بالله سلب الطرفين.

الشعيرة التاسعة والثلاثون

الجاهل عبد مقصوده، والعارف عين مطلوبه.

الشعيرة الأربعون

أدب حضرة الشهود الإلهي: لا أنا، ولا أنت، ولا هي.

أدب الحضور الرباني: إثبات واحد بلا ثاني.

أدب الحضور الروحاني: تقديس الأواني بتـــنـــزيه المعاني، الأول بالوحدة، والثاني بالاتحاد، والثالث بالحلول، فمن حل عقود هذا التركيب فهم هذا السر العجيب.

الشعيرة الواحدة والأربعون

شهود الغيب في العين، غاية الصديق استهلام العين في الغيب، حضرة التحقيق بقية

البقية، إثبات الفناء[1] ونفي الكلية.

الشعيرة الثانية والأربعون

من أعدم الخلق بالحقيقة شهدهم عين الحق، ومن نصب الخلق دليلاً أرشده إلى توهم المدلول، وقال: الحق لا يدل على غيره، والخلق لا يدل على مثله، فمن توهَّم مدلوله بالغيرة تلف في محض الحيرة.

الشعيرة الثالثة والأربعون

الله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب.

اعلم أن طرق الوصول إلى الله على طريقين: طريق جذب واجتباء، وطريق جد واهتداء.

فالأول: محبَّة ذاتية، وجذبة إلهيَّة، ومنَّة لدنية، وهي طريق المقرب السابق، المستهلك في عين الحقائق؛ لأنه قرب من حيث الوجوب لا من حيث الإمكان، وسبق من حيث المكون لا من حيث الأكوان، فهو إذًا لا هو، وقد شهد الله أنه لا إله إلا هو.

والثاني: لا كالأول؛ لأن الحضرة حضرتان: حضرة قرب: وهي من الله إلى الله، وحضور اقتراب: وهو من العبد إلى مولاه، فهو يرجو بعمله الظفر بمؤمله، باذل المجهود في تحصيل المقصود، وهو أمرٌ لا يحصل لغيره، ولا يظفر به سواه.

ومن هنا يعلم أن المقرب هو حياة روحانية البار، وقوام عمله وحقيقة أمله، وبما كانت العين التي يشرب بها المقرَّبون، منها يكون مزاج كأس البار، وحياة الأرواح والأسرار[2].

---

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنًا به: الفناء هو اضمحلال كل متعرضٍ متوهمٍ لا ينتهي إلى غايةٍ محقَّقة، وحقيقته: صدق العدم الذاتي على كل موجودٍ بالعرض في المجاز، وغايته: صادقٌ من العلم يمحق كل كاذبٍ من الوهم وهو الهلاك الحقيقي اهـ.

(٢) قال سيدي داود بن باخلا (ض): الأسرار نوعان أسرار ينزل العلم عليها. وأسرار ترقى هي إليه.

وأعلاهما أولاهما فالأسرار التي ينزل العلم عليها علمها أجل وأغلى وأصدق وأجلى وأوثق وأقوى، لأن العلم إذا ورد هو عليها صارت هي غيبًا فيه فيخفى رسومها ويتضح علومها، ويدق شواهدها =

الشعيرة الرابعة والأربعون

المغفرة والكفر مأخوذان من الستر والتوقّي، وبينهما فرقٌ؛ لأن الكفر تغطية الحق بالخلق، والمغفرة تغطية الخلق بالحق، والاستغفار على ثلاث مراتب:

الأول: استهلاك وهو استغفار الذوات، وهو ألا يبقى للعبد أثرٌ، ولا لكونه خيرٌ.

الثاني: استغراق وهو استغفار الصفات، وهو أن للمستغفر شعور أنه مغفورٌ له.

والثالث: استتار وهو استغفار أفعال، وهو كونه في الأشياء بربه لا بنفسه.

والكفر ثلاث مراتب:

الأول: جحود الموجد كفر بالذات.

الثاني: جحود فعل الموجد، كالقائل: (العبد يخلق أفعاله) كفرٌ بالصفات.

الثالث: بنسبة الأفعال للعباد، وتحقيق الاعتماد على الجد والاجتهاد، والاستغفار بالذات والصفات والأفعال، من حيث ما هو الحق والكفر، من حيث ما هو الخلق.

الشعيرة الخامسة والأربعون

الكلي الذي ليس بجزأ لغيره، ولا غير لجزئه، الجملي الذي يفيد قسمة جملة ما في مقسومه الجزئي، الذي ظهر بوصف غالب أبطن ما فيه من كلية الجمعي، هو إيجاد آحاد الواحد في صورة مؤتلفة.

الشعيرة السادسة والأربعون

الراسخ هو الذي يشهد كل شيءٍ في كل شيء بكل شيءٍ، ومن حجب بشيء عن شيءٍ ليس له في المعرفة من شيءٍ، ولا يشهد كل شيء في كل شيء إلا من ليس بشيءٍ،

=

ويتضح مشاهدها وتعزل تصرف عوالم الآثار وتصير الدولة الحاكمة لعوالم الأنوار.
﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤]، والأسرار التي هي للمعلوم يشرب شربها طعم كأسها وتنزل خلع مواهبها قربًا من جنس لباسها، ويضرب هنا الجلي والخفي من الأمثال ويداخل شهود بصائرها ضرب الإخفاء والأستار.

وكيف يكون بشيءٍ من لا يحيط به شيء، أو كيف لا يكون شيء من قام به كل شيءٍ، فيا شيئة كل شيءٍ، كيف حجبك لشئياك عن شيائيك بكل شيءٍ، أنت كل شيءٍ ولا شيء؛ إذ كل شيءٍ شيء إذا شاك شئياك كشف لك عن شيئيتك، وإذا تحققت بشيئيتك أفنتك عن شيئك.

كَيْفَ غِبْنَا وحضرنَا	إِذْ عدمنَا مَا وجدنَا
ففقدنَا ووجدنَا	إِذْ فقدنَا مَا وجدنَا
وجهلنَا ما علمنَا	إِذْ علمنَا ما جهلنَا
وسبقنَا وسبقنَا	إِذْ بطنَّا وظهرنَا
ودعينا فعصينا	إِذْ سمعنا وأطعنا
وصحونا فسكرنا	إِذْ شربنا وعطشنا
كيف هذاك وهذا	حدثونا عن قدمنا

الشعيرة السابعة والأربعون

حقيقة الوجوب بطون الحياة في العلم، وحقيقة الإمكان بطون العلم[1] في الحياة، الأول بالرحمن، والثاني بالإنسان، وما عدا ذلك فعلومٌ مجردةٌ، وهي رقائق العلم، وتُسمَّى عالم الأمر والجبروت، وأرواح مجردة وهي رقائق الحياة، وتُسمَّى عالم الملكوت، ووجود مجرد ويُسمَّى الحجاب، ولهم في الظهور والبطون بالتركيب والتحليل مراتب تختلف وتتباين، فبطون الملكوت في غيب الوجود كون، وبطون الوجود في الملكوت ملك، وبطون العلم في الروح نفس وعقل، وبطون الروح في العلم قلب ومعرفة، ولكل مرتبةٍ من هؤلاء مراتب يطلع عليها الفتح، ويحققها الكشف.

---

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: العلم هو ما حصل عقب النظر الصحيح ضرورةً، وقام بالدلالة الواضحة والبراهين القاطعة، إن كان مكتسبًا؛ وإلا فوجدانٌ يقوم بالنفس، مستغنيًا في تعلُّقه عن نصب الأدلة وقيام الحجَّة كالضروريات، وحقيقته: صفةٌ تستلزم الإحاطة بمتعلقها، ولا يفتقر في ذلك لحكم الوجود، وغايته: كشفٌ في إحاطةٍ يستحيل معه تصور الغيب بالنسبة إليه، ولا يتعلق بغير موصوفه؛ إذ لم يكن زائدًا عليه اهـ.

الشعيرة الثامنة والأربعون

تجلّي الرحمانية الأزلية بالقدرة والكلام في البطانة السرية الأبدية الرحيمية السمعية البصرية، يفيد اسم الله الحق الذي قام به الأمر والخلق، وهو الباطن فيهما بالهوية حتى إلى مجتمع الإنسان، ومظهر الرحيم الرحمن، يكون مظهر الاسم كما كان، فسبحانه سبحان، هو الملك الديان، وله العظمة والشأن، ذو الأسماء الحسنى والصفات العُلا، وهو اسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

الشعيرة التاسعة والأربعون

اسم الله الرحمن الرحيم، من حيث إحاطة السميع العليم، أزل بالكلام، وأبد بالتكليم والجلالة، مضاف إليها الحمد من حيث الإحاطة، بالقبل والبعد، والرب المضاف إلى العالمين من حيث الظهور والتبيـين، الأول تأليه في الحمد بالوجوب، والثاني تربيب في العالم بالإمكان في مفعولية الرحيم، وفاعلية الرحمن، فيكون الاسم المضاف إليه الحمد، والاسم المضاف إلى العالمين هو الحي القيوم، بما هو الاختراع والإبداع والإحكام في الوضع والأوضاع، والطبع والأطباع، ويكون الرحيم الرحمن، بالجمع والكشف والطي واللف، موضع تعيين الثمرة التي تضمنت أصل بداية الشجرة، ولذلك بـ (مالك يوم الدين) [الفاتحة: ٤] جاءت الآية مفسرة.

واعلم أن حضرة هذا الاتّساع في قلوب أحكام هذه الأوضاع شيء لا تدونه الأقلام في الألواح، ولا تعبره الألسنة في الأسماع، ولكن هي أسرارٌ تجتمع في بواطن الإجماع، وأنوارٌ تلوح في مطالع الاطلاع، وبما كان جبريل الجبروت عين جمع غيوب اللاهوت، ولوح آيات الأمثلية العقلية، وشكل أشكال المعاني المثلية، وكان ميكائيل الملكوت عين جمع الأشكال الروحانية، والملكية النفسانية والخيالية، تظهر بمفردات فعلية في أقوية مفعوليات إسرافيلية صورية، وهي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا*وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[النازعات:١-٢]، بالتحليل، ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا*فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات:٣-٤]، بالتركيب، ﴿فالمدبرات أمرا﴾ [النازعات: ٥] بالحفظ في الوضع بالترتيب، فما منها نفس منفوسة، إلا وقد تركبت مع قوى محسوسة مسموعة ومبصرة ومشمومة، أو مذاقة أو ملموسة، والسر العجب العجاب في كشف أحكام حقائق الاستيعاب، فكم جمعت بعدما فرقت، وفرقت بعدما جمعت، فأبطنت وأظهرت، وأظهرت ما أبطنت، حتى اجتمعت وائتلفت، وأقرَّت ما استودعت،

وحفظت كما أمرت، ثم بطنت في ظلمة[1] المعدن والنبات والحيوان، ثم انتقلت إلى أفلاك آفاق مجموع عوالم الإنسان، فاكتسبت منه ما اكتسبت، وتخلقت منه بما تخلقت، واتصفت منه بما اتصفت، وتحققت منه بما تحققت، ثم نزلت في حجاب الماء الدافق، وقد تخلصت من العوائق، وتحققت بجامع الحقائق، وانتقلت من القائم إلى الراقد؛ لتحقق النــزول بالإنتاج والتوالد، ويظهر أحكام حكمه الفوائد في المولود والوالد، فيعجز القادر ويقدر العاجز، وتنطوي للمسافر الحائر أهوال المفاوز، فما أحكم الواضع، وما أوضع السامع، فإذا انتقل من ظلمة نطفته، وقد تحكمت فيه أقوية عوالم الصورة، وهي أربعة في أربعين، لكل واحدٍ من الأربعة عشرة، ثم يترقّى إلى علقته، يكون فيه سر خلقته، ويظهر فيه استعداد ملكوت الخيال من كل حال ومآل، ويتحصل فيه أقوية أربعة في أربعين، لكل واحدٍ عشرة، ثم يترقّى إلى مضغته، فيستعد بحقائق الجبروت، وتبطن فيه أسرار اللاهوت، وتقوم فيه قوة الحي الذي لا يموت، وتكون الأربعة والعشرة من حيث الاسمية، لا مخيلة ولا مصورة، وهذه العشرات المثلية الشخص المربعة التنويع، المجردة بالأمر والخلق، المركبة بالتصوير والتكوين، هي مشارق التجلّي[2] والإنباء والإرسال بالذات والصفات والأفعال، وهي الأفلاك العشرة المفتوقة بالأمر، المرتوقة بالخلق، وهذا الغيب الجبروتي، والباطن الرهبوتي، هو حقيقة الليلة

---

(١) الظلمة: قد تطلق على العلم بالذات الإلهية، فإن أي علم لا يكشف معها غيرها، إذ العلم يعطي ظلمة لا يدرك بها شيء كالبصر حين يغشاه نور الشمس عند تعلقه بوسط قرصها الذي هو ينبوعه، فإنه حالتئذٍ لا يدرك شيئاً من المبصرات.

(٢) قال الشيخ القاشاني: التجلي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، إنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلي، فإن لكل اسم إلهي حسب حيطته ووجوهه تجليات نفس عدد أمهات القلوب التي تظهر التجليات من بطائنها سبعة:

غيب الحق وحقائقه.

وغيب الحق المنفصل من الغيب المطلق بالتميز الأخفى في حضرة «أو أدنى».

وغيب السر المنفصل من الغيب الإلهي بالتمييز الخفي من حضرة «قاب قوسين».

وغيب الروح: وهو صورة السر الوجودي المنفصل بالتمييز الأخفى، والخفي ثوبه السابع الأمري.

وغيب النفس: وهي أسر مناظره.

وغيب اللطائف البدنية، وهي مطارح أنظاره لكشف ما يحق له جمعاً، وتفصيلاً .. فافهم.

والتجلي: اختيار الخلوة، والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق.

السرية، والظلمة الذاتية، فلا أبين من مظهره، ولا أخفى من سريرته، وفي هذه الليلة: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:٤]، ثم إذا جاء الرب والملك صفًا أمر الملك بالنفخة، وهو الجامع لحقائق هذه النسخة، ثم يكتب الكلمات الأربع، فما أعظم هذا الأمر المبدع وما أبدع، وهذا الملك هو ميكائيل الملكوت، من حيث الإنتاج وانفهاق الفجر بعد الإيلاج، والصبح الواضح من ذلك الليل الداج، فتدور أفلاك الإحساس، وتتولد الجنة والناس، وتخرج الأرض من حكم القياس، والطرق إلى الله بعدد الأنفاس، فإذا كملت هذه الدولة الملكية، وترتبت واستوت هذه النتيجة الملكوتية، وكملت نفخ الملك العلام روح الإلهام، فأخبرت وأنبأت، فتسجد الملائكة كما أُمرت، وتشهد له من حيث ما شهدت، ويكون هذا المنفوخ جبرائيل ذو القوة المتين عند رب العالمين، فإذا فتحت أغلاقه، ووضح انفهاقه، وانفتح إشراقه، ووافقت أوفاقه، تجلّى النظام القديم، بسر: (بسم الله الرحمن الرحيم) في مرآة الأحمدية بحقائق الأحدية، فيكون، ثم:

«ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]».

ومن هنا يأتي الكتاب القديم بسر التسليم، بما استودعه من ملكوت وجبروت ورهبوت ورحموت، من الحي الذي لا يموت، إلى الحي الذي لا يموت، فسبحان من لا يُدرك سره، ولا يُقدر قدره، ولا ينفد خلقه وأمره، ولا يُنكر نوره، ولا يُدرك كنهه، له الأسماء الحسنى والصفات العُلا، والقدرة والولاء في الآخرة والأولى، والسلام الأسنى، وسر الصّلاة الأعظم الأبهى على أكرم أرواح العلى، وجامع أسرار حضرة البهاء، وقاطب أرواح الملأ الأعلى، الحاكم المحكم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

الشعيرة الخمسون

اعلم أن كل ما تصوره العقل مضافًا إلى القوة بالفعل فهو اسمٌ، وكل ما تصوره العقل مضافًا للفعل بالقوة فهو تسمية، وما تصوره العقل مسلوب الطرفين بوجهٍ ما، أو عجز عن تصوره فهو مُسمًّى.

واعلم أن إضافة الجلالة إلى ما هو تسمية في تصور العقل لا يكون إلا بواسطة اسم، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦]، وما أشبه ذلك، وهذا هو الحجاب

(١) رواه البخاري (١١٥٨/٣)، ومسلم (٢١٧٤/٤).

الذي ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من ورائه، فيكون هذا الاسم البرزخي كنون الوقاية فافهم.

ويُفهم من ذلك أن الله يَرى ولا يُرى، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وإنما المرئي هو هذا الاسم البرزخي، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وهذا من باب قوله ﷺ: «ينـــزل ربنا إلى سماء الدنيا..[1]».

وأما إضافة التسمية إلى الجلالة كقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]. وما أشبه ذلك لا يفتقر إلى اسم يكون برزخًا بين المضاف والمضاف إليه، فإنه هنا هو حجاب نفسه؛ لأنه إما يضاف لحقيقته وهو الاسم كقوله ﷺ: «تخلقوا بأخلاق الله»، أو يُضاف لمجازه كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم: ٩٣].

الأول: بالتقديس[2]، وهي الخلع الربَّانية، والأنوار الرحمانية، التي يكون بها الولي في دار الكرامة، كقوله ﷺ فيما أخبر به عن ربه، وقد أرسل كتابه إلى أوليائه في دار كرامته، من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت.

وتفهم من هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

والثاني: بالتلبيس كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

و ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

---

(١) رواه مسلم (١/٥٢١)، والترمذي (٢/٣٠٦)، وأحمد (٢/٤١٩)، والدارمي في السنن (١/٤١٢).

(٢) الـــتقديس لفـــظ متمكن ناشئ عن الهوية التي هي منـــزهة عن كل شيء يشارك في المثلية، وهذه الهوية مثل لها فتتقدس وينشأ هذا الاسم عنها بغير واسطة، فالتقديس والتسبيح والتنـــزيه ينشأ عنها مع عدم الوسائط لكنها تبتدئ بنشئ التقديس أولاً لأن الهوية تشتمل على كل شيء وكل شيء حي إذ لا خـــروج لـــشيء عنها فهي حية، وتمد الحياة بالماء والحياة والماء موجب للتقديس والتطهير، فوجب أن يكون التقديس في صفة أولية النشئ إذ النشئ عن تمكين القدرة.

واعلم أن الإضافات الذاتية، وأعني بالذاتية التي لا يفرق فيها بين المضاف والمضاف إليه، على قسمين: نفي تنـــزيه، ونفي تجريد.

الأول: سلب التسمية عن الاسم الحقيقي الذي هو علم للمسمى، كقولك:

سبحان الله، وهذا من فناء الخلق في الحق، والاستدلال على الصانع بالصنع.

والثاني: وهو سلب التجريد، وهو تجريد الأحد عن العدد، كقولك: لا إله إلا الله، وهذا ليس بنفي عين ولا تجريد صفة، وإنما هو نفي توهم الغير ولا غير، وهذان المقامان بداية البار ونهايته.

وأما القسم الثاني فهو إضافة إثبات، وهو على قسمين: إضافة إمكان، وإضافة وجوب.

الأول: الثناء المطلق وهو الحمد، روح الطاعة والسمع، وهو في كل شيءٍ يثني على الله بعين وجوده المضاف إليه، وما من الله إلا وإليه.

والثاني: وهو إضافة الإيجاب كقولك: قدرة الله وإرادته وعلمه، وما أشبه ذلك وهي إضافة تحصيل الذات المطلقة في القوة المدركة بوجود الإطلاق، لا أنها مقيَّدة لها فإذا نعت إطلاق بالذات بالحقيقة ثبت المضاف إليها كمالاً بالإطلاق، ثبت ما تُوهم بالقيد مطلقًا بالحقيقة، وما نعت بالنقص كاملاً بالكشف، ﴿قل الله ثم ذرهم﴾[الأنعام: ٩١]، وهذان المقامان للمقرب بداية ونهاية، فافهم.

الشعيرة الواحدة والخمسون

اعلم أن معرفة الحق بالخلق على قسمين: معرفة نظر واستدلال، ومعرفة شهود وعيان، الأول: اعتقاد وتنـــزيه.

والثاني: على قسمين: شهود واستغراق، وشهود واستهلاك، الأول: ذوق وإلهام، والثاني على قسمين: استهلاك حال ببقاء، واستهلاك حال بفناء، الأول: فناء الخلق في الحق، والثاني على قسمين: بقاء الخلق بالحق، وبقاء الحق بالحق، الأول: بالصفة والفعل، والثاني على قسمين: قيام الصفة بالذات، وبطون الصفة فيها، الأول: حق وحقيقة، والثاني على قسمين: إثبات الوجود بالوجود، ونفي الوجود بالعدم.

وهذه كلها مقامات البار.

وأما مقامات المقرب فمعرفة الخلق بالحق، وهي على قسمين بالذات والوجود والصفاء[1] والتجلّي الأول بالهو والجلالة، والثاني على قسمين: بالأحد والواحد، وبالأزل والأبد، الأول: بالرحمن الرحيم، والثاني: على قسمين بالعلم والمعلوم، والكلمة والحياة الأول بالإحاطة والتعلق والثاني على قسمين: بالشاهد والمشهود بالحضرة، وعين الخبر الأول بالاسم والمسمى، والثاني على قسمين بفرق الجمع وبجمع الفرق، الأول بالإيجاد والجعل، والثاني على قسمين: الأحد الذي هو نتيجة الأول، والظاهر الذي هو عين جمع الباطن، الأول بالختام، والثاني بالإحكام فافهم.

الشعيرة الثانية والخمسون

اعلم أن الهو الذي هو ضمير الجلالة على الحقيقة مطلقٌ فيها بالذات، مقيَّدٌ بالوصف الأول بالعدم، والثاني بالوجود، ولهذا الضمير في غيب الشهادة إحاطة يُقال لها الإحاطة المشتركة من الوجه الذي بطن في كل مظهرٍ أشار إليه بحكم المرتبة سواء كانت المرتبة حقية أو خلقية، وهذه الإحاطة التي يتصور بها العلم أنه علمٌ، والوجود أنه وجودٌ، وكذلك كل شيءٍ يُتصور بها شيئيته، لا من الحقيقة المقيَّدة بتمييز ما، وهنا: «**كنت كنـــزًا لا أُعرف فأحببت..** [2]».

وأما وقوع الإشارة على الضمير في المراتب، فمن حيث تجلّي الجلالة، سواء كانت الإشارة على الكشف أو على الحجاب، وقولنا مشتركة لموضع جمعها بين النقيضين الذي يأباه التصور الوجودي في موجوديته، ولا يجوزه السلوب العدمي في عدميته، ولهذه الإحاطة قيام في الجمع بينهما، واستلزام في تباين كل واحدٍ منهما، وهذه الإحاطة التي يكون بها المحقق عند رجوعه إلى الجلالة، ويكون بها العارف عند شهوده في مرآة التجلّي، فافهم.

وهذا رفع القناع من موضع الامتناع.

---

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: الصفاء هو تصفي الناطقة من شوائب الحيوانية بانحسام مادة الطبيعة، وحقيقته: طهارة القلب من نجاسة الشرك بنور التحقيق بتوحيد الأفعال مطلقًا، وغايته: محو ظلام القبح عند بدوِّ أنوار شمس الحسن المشهود بأعين الوحدة المطلقة اهـــ.

(٢) تقدم تخريجه.

الشعيرة الثالثة والخمسون

اعلم أن العرش المحيط هو الذي تحته مثال كل شيء، وله وجهتان: وجهة أزلية واجبية رحمانية عالمية، ووجهة أبدية ممكنية رحيمية سميعية، الأول: العقل الإلهي، والثاني: العقل الطبيعي[1]، الأول بالعلم، والثاني بالإدراك، والقوة العاقلة هي العرش الكريم، نقطة الوسط بين الإحاطتين، وذات الشخص والعين، والظل والمثال، والكيف والأين، وله وجه وقفا، وأمام ووراء، فإن قابل الإحاطة الأبدية استغرقته الأقوية الإمكانية، فشهد كونه فيها بالفرق، وانعكس ظله بصفات الأمر والخلق، وصار الإيجاب عنده بالخبر، ووجه الأزل عنه استتر، بحقيقة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر:٣٣]، ويُقال هنا العرش المجيد، وحجاب التوحيد، ومرآة التكثير والتعديد، وإن واجه الإحاطة الأزلية انكشف عنه حجاب الثنوية، وشهد في مرآة كشفه الأحدية، بأسمائه الربَّانية وصفاته العليَّة، ولذلك قال الصَّادق المصدوق ﷺ: «لقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن[2]» فافهم.

الشعيرة الرابعة والخمسون

الإحاطات المعقولات ثلاثة في الكم: الوجود، والحياة، والعلم، والكل واحد غيب وشاهد، فغيب الوجود سلبه عن الوجود، وهو العدم، وغيب الحياة سلبها عن الذات وهو الموت، فيما قضى العقل عند فك النظام والفوت، وغيب العلم طي المعلوم في سره المكتوم، وهو جهل المعلوم في طرس العقل المرسوم، وهذه غيوبٌ لا يطَّلع عليها إلا كل عبدٌ مرتضى، مخصوص من ذات الهو بالرضا.

واعلم أنه لما تجلَّى العالم بالعلمية أثبت العالم في المعلومية، بالحقائق المعنوية، أشياء مثلية، وبروزها من غيب علمها لشاهد معلومها، كبروز الخواطر[1] من غيب طمسها إلى

(١) العقل فرعُ الطبيعة؛ فإطلاقه: رجوعه إلى الأصل؛ وحُكْم الطبيعة لا يظهر على الإطلاق؛ لاتفاق أهل البصائر من أهل النظر والكشف على أنه ما ظهر لهم من حكم الطبيعة إلا ما تعيَّن في بعض الصور الطبيعية مما أدركوا؛ ومما خفي لهم أعظم مما ظهر لهم، فمبدأ ظهور حكم الطبيعة من مرتبة العقل؛ فهو مبدأ تعيّنها وتقيُّدها بحسب أحكامه؛ فهو رجوعٌ أيضًا إلى الأصل؛ وهذا التحليل كلي يقع به التركيب الكلي الجامع الأصلي الدائم الحكم، وهذا رمزٌ خفيٌّ.

(٢) تقدم تخريجه.

(١) الخواطر: فهي جمع خاطر، وهو خطاب يرد على الضمائر، ثم إنه قد يكون بإلقاء ملك وقد يكون =

ظاهر غيب حسها، فيكون المعلوم في العالم وجود حق قائم، وتعلق ذاتي لازم، وكذلك الحي في غيب حياته إلى مظاهر صفاته، أبرز جميع متعلقاته من مسموعاته ومبصوراته، ومقدوراته وإراداته، حقائق في غيوب حضراته، ومشاهد مدركاته، وإدراكاته وجودات حق، ورقائق كلمات، صدق الأول بالباطن، والثاني بالظاهر، وهذا كله واجبٌ في نفسه ولغيره ولا غير، ولكن هو استدراجٌ لفظيٌّ للغير، وعلى سير الأضعف يكون السير.

وأما تجلي الإيجاد من غيب الوجود إلى شاهد كل مشهود جاء بالحدوث والإمكان، والجسم والمكان والزمان زمان تعطيه أحكام صفات الخلق في مرآة تجلّي توهم حقائق الفرق، فتفرق الجمع وحجب البصر والسمع، وحُجبت الحقائق في الأواني باختلاف القوالب في المباني، وقال الذي هو معنا أينما كنا، وهو أقرب في إحاطته إلينا، منا للملأ الملكي الأكرم، كيف تركتم عبادي وهو أعلم فافهم، وسلم تسلم، فلسان الحق ترجم، وأبلغ فما أعلم، وأبكم كل من تكلّم، وصلّى الله على سيِّدنا محمد، العلم المعلم، والكريم المكرَّم، وعلى آله وسلم.

الشعيرة الخامسة والخمسون

اعلم أن كل موجودٍ يستحق اسم الله تعالى على قسمين: استحقاق مجهول، واستحقاق معلوم، الأول بوجه الوجود فقط، وهو استحقاق حالي، والثاني وهو المعلوم على قسمين: علم الإدراك المجرَّد، وعلم العقل المحقَّق، الأول كالحال[1]، غير أنه مميز

=

بإلقاء الشيطان، وقد يكون بأحاديث النفس وقد يكون من الله فالأول: الإلهام، والثاني: الوسواس، والثالث: الهواجس، والرابع: خطاب الحق، فعلامة الإلهام موافقة العلم وعلامة الوسواس ندبه إلى المعاصي وعلامة الهواجس ندبها إلى اتباع الشهوات وحظوظ النفس ويجمع المشايخ على من كان قوته من الحرام لم يفرق بين إلهام ووسوسة، ويجمع على أن الخواطر المذمومة محلها القلب، وأن النفس لا تصدق أبداً. (جامع الأصول ص ٢٠٤)، بتحقيقنا.

(١) قال القاشاني: هو ما يرد على القلب الأخذ في السير إلى الله من غير تعمد ولا اجتلاب، وهو نعت إلهي كوني حيث أنه تعالى مع كونه واحد العين: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩].

وأصغر الأيام الزمن الفرد، وهذا أصل كونه نفياً كونياً فانٍ في الشئون، وعين تحول القلب بالأحوال، فإن أحوال القلب شؤونه، ومن شرطه أن يزول في كل زمن فرد. يعقبه المثل إلى أن يصفو وينتهي إلى غايته، فهو إلى عدم بفنائه زمانين:

=

بالقصد مقاصده، والثاني على قسمين: محقق بالاستدلال، ومحقق بالكشف.

واعلم أن العلم والوهم بالفرق والجمع في التجريد والطبع.

الأول: حقيقته في حقِّه، والثاني: حقه في خلقه، فبالأول: اسم وهي نفس المُسمَّى، وهذا هو استحقاق للحقيقة، والثاني: تسمية وهي غير الاسم، وهذا استحقاق الحق للخلق، ولا ينعكس فيكون الاسم للجلالة مستحق الحق، ومستحق الأول بالوجوب، والثاني بالإمكان، ومن هنا تقع التفرقة بين التسبيح الأخص والتسبيح الأعم، كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهذا الأعم والأخص، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ثم أخص الأخص وهو موضع الكشف من التحقيق الأسنى، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فافهم.

الشعيرة السادسة والخمسون

اعلم أن كل شيءٍ يستحق اسم الله تعالى من وجهٍ واحدٍ فهو تسمية، وكل شيءٍ يستحق اسم الله تعالى من أربعة وجوه فهو اسمٌ، وهي: الأولية، والآخرية، والظاهرية، والباطنية، فمن استحق اسم الله من كل وجهٍ فهو هنا الاسم الذي يُقال فيه نفس المُسمَّى

=

إمـــا بـــتعاقب الأمـــثال، أو بحكم تعاقب الضد، ولذلك قال قدس سره: «وقد لا يعقبه المثل» كحال الفرح، فإنه يستمر زمانين أو أكثر، وينقطع فيعقبه الترح، ومن هنا نشأ الخلاف بين القوم.

- فمن أعقبه المثل: أي رأى استمرار تعاقب الأمثال قال بدوامه.

- ومن لم يعقبه المثل، بل حول انقطاعه لورود ضده عليه، قال بعدم دوامه.

والحق أن حال الكون يتجدد مع الأنفاس، ولا يبقى زمانين، ولذلك قال تعالى فيمن يجهل ذلك: ﴿بَـلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[ق: ١٥]. وقد قيل: الحال تغير الأوصاف على العبد، كأنه يزيد ظهـــوره في السر، والتحلي بالأخلاق الإلهية وأسرارها، وذلك هو ظهور الآثار الخارقة من همته الفاعلة في الكـــون بالقـــوة الإلهية المستندة إلى الأسماء التي يتحقق العبد بها، وتولى بعد تحققه التصرف بحسبها حتى ظهر في العالم بالهمة الفاعلة والتحكم، والقهر، والسلطان، وإن أراد تغير بكل ما يمكن أن يتصف بـــه كل حال من الأوصاف. فالمعنى يرجع إلى الوجه الأول، فإن الأوصاف: أحوال يتقلب العبد فيها، إما بحكم تجدد الأمثال أو الأضداد.

الأول بالعبادة، وهو عبد المُسمَّى من الوجه الذي استحقه منه؛ لقوله ﷺ:

«مَنْ أحب شيئًا عبده، وعبادته له من الوجه الذي أحبه منه».

ولأن المعبود في الأشياء كلها هو الله، سواء كان بالكشف أو بالحجاب، بحسب ما تقتضيه أحكام وجوه المراتب، والثاني بالمعبودية وهي تخلقه بالمُسمَّى من الوجه الذي أشهده المُسمَّى إيَّاه فيها، الأول: من التسمية إلى الاسم، والثاني: من المُسمَّى إلى الاسم، والثالث: عبوده، وهو استهلاك الاسم في ذات المُسمَّى، لا من وجه مخصوص، بل هو إياه في كل وجهٍ استحقه فيها تسمية أو اسم، وحقيقة العبادة حصول ذات المعبود في قوة محو العبد، وهيَ تخلق بالوصف، وتحقق بالذات أولاً، كذلك فاستهلاك بالفعل، وهذا أدنى المراتب، والله على أمره غالب.

الشعيرة السابعة والخمسون

اعلم أن الحي القيوم القائم بباطن الماء، الإمكان الذي كان عليه العرش، وجه الوجوب مستوي الرحيم الرحمن، بالناطقة والعاقلة، الأول والثاني من حيث الإنسان جامع القرآن، وروح الفرقان، وهذا الجوهر الذي أوجد الله منه الأشياء بالقول والإنشاء مستعد بالانطباع في الأوضاع، فكل شيءٍ موجود منه بقوة الحي القيوم، مما هو منظوم ومرسوم ساتر لعينه الأصلية مخرجه عن فطرته الأولية ظاهر بالعرش في المثلية، ولأنه غير منطبعٍ فيه بالشكلية، كظهور الأشياء في الجواهر المرائية، وهذه كلها حجابات كونية، وأمثلة خلقية، كانت عن حركةٍ هوائيةٍ شوقيةٍ، كائنة من الموضوعية المائية، متجلية في المحمولية العرشية، فإذا انقطع الهواءُ وسكنَت حركة الماء، وانحسمت مادة التصوير، وعُفي طرس التدوين والتسطير، وصحا الذاهل من سكرته، وسكن الحائر من حيرته، ويرجع الماء إلى أصل فطرته، فهنالك يتجلّى الرحمن في حضرة وجوبه، وقد انجابت حجب جيوبه التي هي مثالات الأعيان الكائنة من الماء بالإمكان، فيصير العرش للماء كما كان الماء للعرش، ولأنه تظهر فيه حقائق الأزل بحق المثل، فيرسخ القدم ويتأصل، وينسلخ الوهم ويتنصل، فكما كان الماء في العرش بالإمكان والخلق، يصير العرش في الماء بالوجوب والحق، وهذا يصير كما قال: «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**[1]»، والذي يتحقق

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٢٨٤).

قلت: وأما معناه عند أكابر القوم فقد ورد فيه: قال سيدي علي وفا قُدِّس سرُّه: معنى:

في الماء بصفة الرحيم الرحمن هو الحي القيوم؛ لأنه لا يستحقه غيره، ولا يتحقق به سواه.

وامتزاج الماء بالعرش هو من باب اتحاد الشكل بالشكل، واتضاح النور في النور[1]،

=

«كنت سمعه...» إلى آخره.. أن ذلك الكون الشهودي مرتَّبٌ على ذلك الشرط، الذي هو حصول المحبة، فمن حيث الترتيب الشهودي جاء الحدوث المشار إليه بقوله (كنت سمعه)، لا من حيث التقرير الوجودي.

وقال الشيخ قُدِّس سرُّه في الباب الثامن والستين: المراد بـ «كنت سمعه وبصره» إلى آخره: انكشاف الأمر لمن تقرب إليه تعالى بالنوافل، لا أنه لم يكن الحق سمعه قبل التقرُّب، ثم كان الآن تعالى الله ﷻ عن ذلك، وعن العوارض الطارئة. قال: وهذه من أعز المسائل الإلهية اهـ.

(١) قال سيدنا شيخ سيدنا المصنف: أرباب الأنوار نوعان قوم اصطلمتهم سطوات الأنوار فغرقوا في تيار تلك البحار فهم غرقى في اللجة عبابها سكارى من كأسات شرابها لا يدركهم طرف سالك راغب ولا يلحقهم جواد مريد طالب كل منهم قد حجب عن العيان وكان هنا بيان لا يسمع منهم المشتاق خبراً ولا يدرك لهم التابع أثراً وثانيها وهي ناتج عن بركاته وثمرة عن بذر بعض حياته وهو معنىً في الآدمي لا تخرج نباته إلا عن مياه سحابه ولا يفهم معنى حقيقته إلا من سطور كتابه ولا يستخرج إلا منه ولا يظهر إلا عنه . وثالثها الإدراك به معاني غيبته وأمور ملكوتيته انحصر علم الحقائق إلا من هذا الباب عنها وعجز إدراك عموم بني آدم وكل بل منع وحجب عن التوسل والوصول إليها والإطلاع بجملة عقولهم وأفكارهم ومتسع نظرهم عليها لا يجدون إلى معرفتها سبيلاً ولا يستطيعون بقوى عقولهم أن يلتمسوا عليها دليلاً فهذه الأمور الثلاثة عقل عموم الخلائق عن إدراكها معقول وسلطان القوى البشرية عن التسلط على معرفتها معزول لا يدرك إلا بضوء أنوارها ولا ينقل إلا عن طريق اخبارِهَا ولهذا يرى كثيراً من الخلائق مع كبر عقولهم واتساع نظرهم لحقائقها منكرين وعن جمال بهائها محجوبين وليس لها طريق إلا أن يمن الله تعالى على عبده ويهديه بطريق التوفيق إلى التسليم والإذعان والتصديق والإيمان أو يجذب قلبه بعظيم عنايته بسلوك طريق التحقيق إلى الكشف والعيان وسلوك مسالك أهل العرفان فلا تطلبن معرفة شيء من ذلك إلا من طريق توفيقه وهدايته وتعريفه وعنايته وأعقل من طلب شيء من ذلك ولاية العقول والأفكار واعتمد فيما ينبغي من ذلك على فضل الواحد القهار الملك العزيز الغفار فإن جميع ذلك في خزائن غيبه مستور حتى يمن به ويهدي إليه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقال ﷺ: العالم الرباني في قلبه نور وهدى وعلم حقيقي يموج كأمواج البحر مستقر في أصل سره ولا يخرج إلى بيداء عقله ومحل فكره إلا بمخرج ربه الحكيم الخبير وسلك على سبيل الازدواج في بواطن الأنوار كما كان في ظواهر الآثار ألا ترى إلى حال الذكر والأنثى فلذة الذكر وولده مستقران عنده لا

=

كقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

=

يحتاج في تحصيل أصل ماهيتهما إلى أنثى وهو إنما يلتذ باجتماع الأنثى بلذة نفسه والأنثى سبب لظهورها وكذلك ولده تام الماهية عنده لكنه يحتاج إلى ظهوره وتربيته في مقر غير ظهره فلذته لا تخرج إلى بيداء حسه وولده لا يخرج إلى الوجود المنفصل إلا بقابل وسر ازدواج ذلك تقدير العزيز العليم فيرى شهوته تتردد عنده ويناظر بحسنها وولده يطلب الانفصال إلى الوجود الخارجي بواسطتها وهو لا يلتذ بشهوته ولا بظهور ولده حتى يجد قابلاً ولا يستطيع إبراز ذلك حتى يتهيأ قابله لذلك كذلك العالم الرباني العلم والحكمة والنور كل ذلك في قلبه مستور لا يلتذ بوجوده ولا ينعم بشهوده حتى يجد لذلك قابلاً فهو غني عن غيره بما وجد في سر قلبه لكنه محتاج إلى ظهوره ومفتقراً إلى من يظهر عليه إشراق نوره فيدبر ويسقي ويشرب ويغني ويطرب ويطرب فلهذا اختار العالم الرباني الجلوس لعلوم الناس والحضور لسائر الأجناس فتراه يفر من الخلوات ويشتاق إلى المحاضرات ليلتذ بظهور أنواره ويمتع بواسطة السامعين إلى مجاذبة أسراره فإن صادف محلاً قابلاً وسامعاً عاقلاً وحمالاً لشهوته ومكيلاً للذته وسبباً لوضع ذريته تكملت له المفرحات واجتمعت عنده الخيرات ودك ثديه لرؤية طالبه وكثر لبن ضرعه لجودة حالبه فلا يكاد الحكيم الربّاني إذا خلا يجد من النور ما يجد في الملأ بل يرجع إلى أوصاف نفسه ويعاد إلى عوام حسه فيراه يستدعي الحكمة من قلبه ليعلمها ويشهدها ويفهمها وهي عليه تتعذر كما أن الذكر إذا أراد أن يلتذ بالجماع ويكون له ولد من غير أنثى لا يتصور، فلذلك انجرّا بالاضطرار إلى مجالسة المخلوقين والرجوع إلى الآثار لأن للحضرة عبيداً وللنيابة والخلافة آخرين فهم يشتاقون إلى لذات المحاضرات ويدفعون إلى سياسة المخلوقات جعل نعيمهم في بسط الأنوار بين ظواهر الآثار هم يطالبون العلو إلى جنة حضرته وسابق قدره ينزلهم إلى أرض خلافته بين خليقته هم يطلبون الحديث منه وهو يقيمهم في الحديث عنه ولهم في ذلك بعض سلوة حديثه:

وحديث عنه يطربني ... هذا إذا غاب أو هذا إذا حضرا

كلاهما حسن عندي أشربه ... لكن أحلاهما ما قارب النظرا

هم يطلبون القيام بين يديه وهو يقيمهم بين خلقه للدلالة عليه هم يطلبون رفع الأستار وهو يؤانسهم ويشغلهم عن ذلك ببث رسائل الأنوار هم يشتاقون إلى شهوده وهو يأمرهم بملاطفة عبيده هم يهيمون شوقا إلى جميل جماله وهو يطلبهم بأن يعرفوا عموم عبيده بنعمه وأفضاله. هم يذوبون شوقاً إلى اللقاء وهو يقول ما أنهم فيه بُغْيَتِي فلكم عندي الرضا.

الشعيرة الثامنة والخمسون

الذي ينـــزل من قوة العلم إلى فعل القدرة يرقى من قوة الفعل إلى تصور العلم.

الشعيرة التاسعة والخمسون

التخلق على قدر المجاهدة، والتجريد على قدر التخلق، والمعرفة على قدر التجريد، والتعلق على قدر المعرفة، والفتق على قدر التعلق، ومن أخلص تخلص، ومن انعكس انتكس.

الشعيرة الستون

الرحمن غفّار، والشيطان كفار، وسر الأسرار من وراء الأستار، في الظلم والأنوار، محتجب عن الأبصار، بحجاب النور والنار.

الشعيرة الواحدة والستون

حكمة الإستوى في إحاطتي الفعل والقوى؛ لحفظ الكل بالمدد، وحصر الجزء بالعدد.

الشعيرة الثانية والستون

تجلّي الجلالة بالذات رحمانية، وتجلّي الرحمانية بالقوى إنسانية، وتجلّي الإنسانية بالفعل ملكية، وتجلّي الملكية بالانفعال كونية، وتجلّي الكونية بالمفعولية عينية، تركيبية موجودة بالتركيب مفقودة بالتحليل.

الشعيرة الثالثة والستون

الحقيقة القلبية بالذات والصفات، والرقيقة الصلبية بالقوة والفعل الأول بالوجوب والثاني بالإمكان.

الشعيرة الرابعة والستون

الأنبياء مشارق الحق، والأولياء مغارب أسرار الحقيقة، فهؤلاء عيون الرحمانية، وهؤلاء غيوب الإلهية.

الشعيرة الخامسة والستون

الوحي الملكي: تفصيل في جملي، والوحي الشيطاني: جزئي متنقل، والوحي الجاني:

أخبار تحتمل، والوحي الإلهي: محيط مشتمل، الأول راجح، والثاني مرجوح، والثالث متساوي، والرابع قطعي لا يحتمل النقيض.

الشعيرة السادسة والستون

أستار الجمال[1] مخلوعة بالأب، عارية بالأم، والسريرة الإلهية متنــزلة بالتجلّي، متوهمة بالفهم، فإذا كان التجلي الروحاني والظهور الرحماني، إما أن يطابق المعاني بسر السبع المثاني، أو ترد العواري وتظهر عورات الأواني باختلاف المباني، فالكيس من أعد من لباس التقوى في معاملاته ما يستر به فضائح سوءاته، والعاجز من أتبع نفسه للهوى، وغدا يتمنى.

الشعيرة السابعة والستون

من صار علمه معلومه، وفعله مفعوله، استغنى بخُبره عن خَبره، وبعينه عن أثره، ومن توهم الخبر توقف وانحصر على ما وجد من الأثر، ومن أطلق النظر خرج عن ضيق الفكر، ومن قيد انحصر في مباني الصور، فمن سلك في سقر، وحلل عقود التسعة عشر، عند تلويح البشر، تحقق عند زوال السراب، وانقشاع هذا السحاب، بحقيقة: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١].

فيا أرباب الألباب، ويا ألباب الأرباب، كيف عميتم في الصواب عن طرق الصواب، وعلمتم سر الخطاب، وجهلتم رد الجواب، فلو فرقتم الجمع، وجمعتم الفرق، وحققتم الباطل بالحق، وجئتم في مواضع الإعجاز بنوادر الخرق، وجمعتم النقيض بسر التفويض، وأقمتم الخالق في مقام الخلق، واستخرجتم الوجود من باطن فناء الحق، ونصبتم الصراط المستقيم على جحيم الشيطان الرجيم، لشهدتم عند رفع الحجاب النقطة، كيف كيّف

---

(١) تقــول الست عجم: إن الجمال بعد الأرواح تنــزل مناسب بحيث ذكر أرواحاً متعددة والتعدد لائق بالجمال لأن الله تعالى لما أوجد الخلق متكثراً متمايزاً أظهر بالجميل لئلاً يقع النفور من البعض عن البعض، وكذلك في عالم الأرواح، فلما أدرك هذا الشاهد رضوان الله عليه أرواحاً متعددة لحظ الجمال الناشئ بينهم لعدم النفور وهذه القابلية في هذا المحل قد كانت شديدة الصقال، والناظر فيها نافذ النظر حتى شهده صورة الموصوف والأوصاف، لأن الجمال صفة خافية وهمية فلا يدركها إلا من اتصف في حال شهوده بهذه الأوصاف.

الكاتب خطه، وقيَّد الواضع شرطه، فانظروا رحمكم الله بأبصارٍ قد عميت، واسمعوا بآذان قد صمت، سر هذا النبأ العظيم من يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، واعلموا أنه من مات عند السماع شهد عند رفع القناع الحي القيوم، في حجابي: الإبداع، والاختراع، وعرج في معارج الاطلاع إلى منتهى وُد وسُواع، حيث ينعقد الإجماع على حل عقد الأوضاع، في لوح الطباع، فمن فقد ما في عين الوجود وجد هذا المعنى المفقود، ومن خلف خلفه خلافه ظفر بسر الخلافة.

فيا علماء الرسوم، أين السر المكتوم في مقول الكتاب المكنون، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، وأنتم أيها العاملون الزاهدون، كيف شهدتم والله خلقكم وما تعملون، ويا أيها المريدون، أي شيء أنتم طالبون، والمطلوب لا تحصله الظنون، ولا تدركه العيون، وأنتم أيها العارفون، كيف توهمتم حصول السر المصون، وهو شيء لا كان ولا يكون وأنتم أيها المحققون كيف عميتم العيون عن السر المصون، وهو الذي لا يعلمه غيره، ولا يُعلم سواه، لقد حار الكل وتاه، وجهل العلم معناه حقيقة إيَّاه، ولقد أعجزت حيطة الوهم خارق الفهم، وأوقف جواد التصور أعمال صحة النظر عن نفود سدة الصور، ولقد أعجز البشر سر القدر، وجود بقاء البشر عند فناء وجود البشر، ما أعجب ما أغرب حديثًا أطرب إذا رغب، وأعرب إذ أعرب، وحقق إذ أُفسق، وصدق إذ زندق، فادخلوا إلى خلاوي غيوبكم، وانظروا في طروس قلوبكم، واقرؤوا على أرواحكم في ألواح أشباحكم علومًا لا تُعلم، وحقائقًا لا تُفهم، وأسرارًا لا تُفشى ولا تكتم، وذوات لا توجد ولا تعدم.

فيا أبكم لا تتكلم، ويا معرب معجم لا تتكتم، وسلِّم الأمر تسلم، ولا تتقدم تندم، وصلِّ اللهم وسلم على النبي المعلم، والسر المصون الحاكم المحكم، والإمام المقدم، وعلى آله وصحبه وسلم.

الشعيرة الثامنة والستون

الذي بطن في الأزل هو الذي ظهر في الأبد والعكس، فما ظهر في الأبد غير عبدٍ، وبطن فيه عكسه، وما ظهر في الأزل غير ربٍّ، والذي بطن شكل الأول، فمن ظهر من حيث بطن بطن من حيث ظهر.

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به ... شــهيدًا وإلاَّ فالغــرام لَــه أهــل

يا عين الوجود وإنسانها، متى يستيقظ وسنانها، توهمك غيَّرك، ورآك بك، وأوراك لك، فيا من ترائى له، وتوارى به، أضغاث أحلام في منام أنت به، فمتى تنتبه تكره الموت، ويكره مساءتك، ولا بدَّ لك منه.

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاَّ فالغـــرام لَـــه أهـــل

عجبت منك تطلبك منك، وتحير عليك فيك، وما ذاك إلا من بقائك معك، فلو فنيت عنك بقيت بك

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاَّ فالغـــرام لَـــه أهـــل

ظهرت لتبدي جمالك، وبطنت لتستر كمالك، وحجبت ما ظهر منك بما بطن، ومنعُك الموصول إليك غيرة جلالك، فأطربت بالخبر، وأبكيت على الأثر، وضربت المثل بالبشر؛ إذ تناهى فيه القدر، فبقاؤه عبد بالجلال[1] منعه من عكس ذلك بالجمال، فلو فني عنهما معًا كان عين الكمال[1].

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاَّ فالغـــرام لَـــه أهـــل

شاهدك منك، والمشهود وعابدك فيك، والمعبود وجاحدك أنت والمجحود، فلو غبت

(١) إن الجلال حضرة لائقة بالمشاهدة لأنه اسم ظهر الله به مخصوصاً بالتنوية وهو تمكين اسم الجميل فتظهر عليه صفة في حال الناظر والمنظور ليحصل له هيبة وخشوع مع محبة فالجميل للمحبة، فلما رفع المحب إلى مقام أعلى من موطن المحبة الذي هو الظاهر. فازداد الاسم صلة بغير زوال عينه، ولما كانت هذه الصفة لائقة بالمشاهدة وهي الجلال خرج الشاهد في شهوده من مقام إلى مقام لأنه لا يتغير عليه صفة إلا بخروجه من محله في شهود واحد، فالجلال مختصة بالله دون الجميل وغيره لكونها تنشأ عن التعظيم وكل تعظيم ناشئ عن عظمة الله تعالى، وإذا حصل للشاهد شهوداً في خلع واحد يكون هذا الشهود أشد تمكيناً من الشهود الواحد، والتمكين عبارة عن الاستعلاء لكن الاستعلاء على ضربين: استعلاء وصف واستعلاء معنى، فالعارف الكامل له استعلاء الوصف ويتعالى عن استعلاء المعنى إذ استعلاء المعنى هو على بني الجنس بشرط الاستقلال لجهة دون جهة، والعارف لا جنس له ولا حصر فيحل عن هذا المقام المعنوي، ولما كان هذا العارف متصفاً بالاستعلاء اتصافاً فأخرج من مقام الشهود إلى مقام الجلال.

(١) الكمال: التنـــزيه عن الصفات وآثارها. أي: عن كل ما يقيد ذات الحق، وحقيقته فيخرجها عن إطلاقها، صفة، وتجردها عن الاعتبارات مطلق إبقاؤها على الإطلاق الذاتي، والذي حكمه مع سائر القيود على السواء، وذلك هو الكمال الحقيقي، فافهم.

عنك شيئًا وجدتك كل شيءٍ، ولو فنيت عن كل شيءٍ بقيت ولا شيء.

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاّ فالغـــرام لَـــه أهـــل

كم يرهبك وهمك عن عدمك، ويوقفك عجزك عن طلبك، وتستبعدك المسافة بينك وبينك، حكمًا لا علمًا، وأنت في زمانٍ ما دمت معك، وفي دهران مت عنك، وأنا أقرب إليك من حبل الوريد.

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاّ فالغـــرام لَـــه أهـــل

كم تتردد بين الأنا والأنت، وتعمى عن الهو، وتهوي في هاوية التلف، ولا تجد عنك خلف، فلو أفنيت نفسك في نقطة الوسط، وتركت الغلط، وانسلبت عن طرفي الإفراط والفرط، علمت أن في موتك حياتك، وتحققت أن في وفاتك سبب التحاقك بذاتك.

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاّ فالغـــرام لَـــه أهـــل

فراقك منك سبب اجتماعك بك، فإلى متى تمنعك إرادتك عن مرادك، ويحجبك طلب صلاحك عن فسادك، ولو أفسدك القدر لأبلغك الظفر.

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاّ فالغـــرام لَـــه أهـــل

كنـــز بصيرتك لا يُفتح إلا بدم صورتك، فإن فدى منك الذبيح رجعت عن القصد الصحيح، وأبدلك من الكشف والتصريح بالإشارة والتلويح، ولذلك تركت الكبير، وعبدت المنير، وقلت مخبرًا: أعلم أني سقيم، وشكك في الإعادة طلب الإفادة، رفعت قواعد جدارك و لم تحرق بنارك، فلو لم تعد سلام فنيت عنك والسلام.

فــإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمتْ به شـــهيدًا وإلاّ فالغـــرام لـــــه أهل

الشعيرة التاسعة والستون

من نظر بنور الحق اطلع على أسرار الخلق، ومن نظر بسر الحقيقة استهلك وجود الخليقة، العالم لله والعارف بالله، والمحقق ليس له أين مع الله، الإخبار بالله عن الله صدقٌ، والفهم بالله من الله صديقية.

الإرادة: من ترك الإرادة.

المريد: من لا يريد.

السالك: من لا يتعين مطلوبه، ولا يجهل مقصوده.

الفاني: من سُلب عنه كله.

المحبة: استهلاك المحب في ذات المحبوب(١).

(١) قال الصدر القونوي قدس الله سره: اعلم أن المحبوب إنما أحب المحب لكونه سببًا لاستجلاء كماله فيه، ومحلاً لنفوذ سلطنة جماله وبسط أحكامه، فالمحبوب مرآة المحب يستجلي فيها محاسنَ نفسه المستجنة في وحدته قبل تعين المجلي؛ لأن القُرب المفرط والتوحُّد كانا يحجبانه عن ذلك، فإذا استجلى نفسه في أمرٍ آخرٍ بحصول ضربٍ من البُعدِ والامتياز قريبٌ من الاعتدال، ورأى محاسن نفسه في المجلي؛ أحبَّها حبًّا لا يتأتّى له ذلك بدون المجلي، والامتياز المشار إليهما لما ذكرنا من حجابية القرب والوحدة.

وأيضًا؛ فنسخة الحقيقة الإنسانية تشتمل على ما تستحق أن يحب كل الحب؛ وعلى ما ليس كذلك؛ بل يقتضي النفرة بالنسبة لما يُضاده من الحقائق ويقابله، فإذا تعيَّن مجلي يتميز به وفيه من الإنسان ما يستوجب المحبة صفةً كان أو فعلاً أو حالات أو أمرًا مشتملاً على جميع ما ذكرت أو بعضه؛ وارتفع حجاب القرب المفرط وغيره من البين؛ ظهر سلطان الحب طالبًا رفعَ أحكام الكثرة والمغايرة بتغليب حكم ما به الاتحاد على حكم ما به الامتياز، فأحب نفسه فيما يغايره من وجهٍ وباعتبارٍ مقتضٍ للتميز المذكور بالصفة الذاتية التي فيه الطالبة كمال الجلاء والاستجلاء، فإن هذه الصفة هي المستدعية إيجاد العالم.

والمقصود من الإيجاد ليس غير ما ذكرنا، وكل ما ذُكر في ذلك من موجبات الإيجاد فرعٌ وتبعٌ لكمال الجلاء والاستجلاء، فافهم.

فحُكم هذه الصفة؛ أعني كمال الجلاء والاستجلاء مشتركٌ، وسار في كل محبٍّ؛ فيوجب له أن يحب ما ذكرنا، وإن اختلفت الوجُوهُ والاعتباراتُ، وكذلك حكم حجابية القرب المفرط، والإدماج الذي يتضمنه؛ هو أمرٌ مشتركٌ بين المحب والمحبوب من كون كل واحدٍ منهما من وجه محبًّا، ومحبوبًا من آخر كما ذكرنا؛ غير أن بينهما فيما ذكرنا فروقًا متعددة، منها: إن «المحبوب»: مرآةُ ذات المحب من حيث ما يقتضي أن يحب؛ فهو يستجلي فيها نفسه، ويستجلي أيضًا بعض محاسنها بالتبعية.

و«المحب»: مرآةُ كمالِ جمالِ المحبوب، ومحل نفوذ أحكام سلطنته كما مرّ.

وبهذا الحكم سار في كل محبٍّ ومحبوبٍ دون استثناء؛ وإن شان الحق سبحانه مع خلقه بهذه المثابة، فنحن من حيث حقائقنا التي هي عبارة عن صور معلوميتنا الثابتة في علم الحق أزلاً، مراءٍ لوجوده المطلق الذاتي، وحضرته مرآة لأحوالنا المتكثرة وتعدداتنا، فنحن لا ندرك إلا بعضنا بعضًا؛ لكن في الحق؛ فنحب منا به ما نستجليه فيه، وليس غير الصفات والأحوال؛ وهو يحب فينا نفسه من حيث أن =

علومنا هذه تُفهم ولا تُدرك، وتُعقل ولا تنقل، وتُنقش في الأرواح ولا تُكتب في الألواح.

الشعيرة السبعون

الإحاطات أربعة: استيلائية، وإطلاقية، واستهلاكية، واستغراقية، بالذات والصفات والأفعال والأسماء، ومقامات القطبية الوتدية، ولها إحاطة الأسماء ثم القطبية، ولها إحاطة الأفعال ثم الغوثية، ولها إحاطة الصفات ثم الفردية، ولها إحاطة الذات، ولها سوابق من النبوية الأربعة من أولي العزم، ولواحق التبعية الخلفاء الأربعة ومظاهر الملكيات الأربعة والمحمدية الجامعة هي وسط الدائرتين، لا غربية ولا شرقية، هي حقيقة ﴿**ألا إنه بكل شيءٍ محيط**﴾[فصلت: ٥٤].

=

رؤيته لنفسه في مرآة مغايرة له من وجهٍ مخالفٍ لرؤيته نفسه في نفسه لنفسه؛ بل لا رؤيةَ هناك ولا تعدُّد؛ لأن المرآة المغايرة من حيث أنها محلّ التجلي المتقيّد بها تبدي فيما ينطبع فيها حكمًا لم يكن متعينًا حال رؤية الشيء نفسه لنفسه.

وهذا سرٌّ، مَن اطّلع عليه عرف سر الذوات، والصفات والأحوال، والمرايا والمحال، وإن العالم بحقائقه وصوره مرآةٌ للحق من وجهٍ، والحقُّ من وجهٍ آخرٍ مرآةٌ للعالم، وقد نبّهتُ على الوجهين، فتذكّر.

ثم اعلم أن أكثر الأولياء، وكثيرًا من الكُمّل أدركوا الوجه الواحد من الوجهين المذكورين، ورأوه الغاية، ووقفوا عنده و لم يتعدُّوه.

وطائفة منهم وقفوا عند الوجه الآخر؛ وكلا الأمرين أبديُّ الحكم واقع في كل زمانٍ دون توقيت ومناوبة.

وذكر لي شيخنا وإمامنا ﷺ بأخبار من الحق له، ونصٌّ صريحٌ أنه لا أعلى من هذا الذوق، ولا أكمل منه في نفس الأمر؛ فمن منحه فقد أدرك من الحق مالا يمكن أن يدرك وينال أحد أتم منه، فاعملْ الهمّة، وابذلْ المجهود، فعلى مثل ليلى يقتل المرء نفسه.

وقد حصل لنا ذلك بحمد الله ومنه عنايةً وموهبةً، فاجتهد يا أخي في أن يحبك الحق لا غير، فإنه إذا أحب الحق شيئًا ناله وأناله، وأما غيره فقد يحب ولا ينال، وإن نال أمرًا مما يحب فلا يقدر أن يُنل غيره ما لديه؛ لأنه قد لا ينقل ولا ينقال؛ بخلاف الحق سبحانه فإنه على كل شيءٍ قدير، فافهم، والله أعلم.

الشعيرة الواحدة والسبعون

الإدراك يقع على كل محسوسٍ محيز، والرؤية تقع على كل مشهودٍ غير منحصرٍ، لا انفكاك له منه، والمعقول كل مغيب انحصر في قيدٍ، لا انفكاك له منه، والمعلوم كل غيب حصل في القوى بالذات، فالأول بالعرش والرحمانية، والثاني بالغيب والجلالة والهو، إحاطة لا يطلقها العدم، ولا يحصرها الوجود.

الشعيرة الثانية والسبعون

وبما كان آدم في جمعه الحديث المتقادم كُلاً بالنفس والإدراك، جزءًا بالصورة والشخص، كذلك إحاطة بالروح والعقل في القوة والعلم، وكان جزؤه في الإحاطة الإدراكية النفسانية تفيد بجزئيته عين ما في الكلية، اتصل علم الأسماء بجزئيته من كليته، وأفاد كمال وحدانيته في مراتب ثنويته، فاستعدت الأجزاء بكمال الكل، واتحاد المثل لتعلق فيض الروح الحق، وتجلي النور العقل، الحاصلان بالقوة والعلم، فلما انكشف غطاء الستر عن حضرة جمع هذا السر، وتمثل الملأ الأمر سجد الملكوت الخلق، والكون بالقوة والفعل، وأتى المعاند الضد بالبحث والرد، فلما تناول آدم بالشخص الأول أشكال الآفاق الذي كان بالسجود معلل، من حيث شم وذاق ولمس وسمع وأبصر، بإحكام الخلاق والرزاق، وامتزج المعاند مع حكم الساجد، ولبس الجزء الواحد، أشكال هذه الفرائد من حيث الماء بين القائم والراقد، فعسرت الطاعة وتعذر أوفاق الأوضاع في علوم الصناعة، وشاب المعبود كبرًا على العابد، ثم شاركه الجزء المعاند، فخلصت القدرة الربّانية أشخاصًا روحانية، وأجسامًا قدوسية، فنهت وأمرت، ورغبت وحذرت، وعلمت وعلمت، فحسن الاستعداد بحكم ما ذهب من قوة العناء، كذلك إلى ختام الدورة الآدمية بالنفخة الروحانية المثلية، باستعداد الأجزاء العيسوية، فلما تعدل القوام، واعتدلت أحكام النظام، أفاض الروح العلام بسر الأحدية الإحاطات الأحمدية، والحقائق الأزلية على المستقيمات من هذه الأجزاء الأبدية، واستوت الرحمانية بالقدرة العرفانية على عرش الكلي المحيط بالأجزاء الكلية، فاتصل إلى مفردات الجزء الأعظم، والمحيط الكريم المجيد العظيم الأعظم ﷺ، فقامت روح العرفان بكل مفرد، واتصل كل واحد بسر الأحد، وظهر سر: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، في نور: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فلما تحلل التركيب اتصل لكل أفق بحكم كل مفرد أوفى نصيب، من حيث اتصال سر هذه الرحمة العجيب، فظهر الحق في كل شيءٍ وله، فانتفى الريب عن

كل موجودٍ بما تم له، وتحققت حقائق الشفاعة في كشف حقائق اتصال يوم الساعة.

الشعيرة الثالثة والسبعون

قلمك علمك، وإدراكك ولوحك، معلومك وعيانك، ومدادك وهمك وخيالك، فالمعاني والأسماء ما تضمن قلمك، والأفعال والصور ما تضمن لوحك، عرشك موضوعك، ورحمانك محمولك، فالحق والصفات ما تضمن المحمول والخلق، والأمر ما تضمن الموضوع، غيبك عدمك، وشهادتك وجودك، فما أعجب معدومك في عدمك، وما أغرب موجودك في وجودك، غيبتك وحضورك ظلمتك، ونورك بطونك، وظهورك طيك ونشورك، نتائج المتولدات فرقت جمعك، وأكدت قطعك، توسع المسموع، شتت المجموع، والبلغة والبلاغ في الاختصار، آحاد العدد منحصرة في واحده، وواحده مستترٌ في آحاده، أعداد كل فلكٍ منحصرة في أفراده، ما يُرى غير ما ترى، إلا توسع في النتائج والمتولدات، وزيادة في التركيب والكميات دقيقة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤] كلما ظهر غيب ألبسه عين، فتحكم الغيرة حكمة الحيرة، فكلما عينه الأثر غيَّبه الخبر، فيقصر اللسان الحكمة عن بيان الحقيقة.

الشعيرة الرابعة والسبعون

قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: سبقت رحمتي غضبي**[1]».

وفي رواية: «**غلبت...**»، فمن غلب علمه وهمه محق حقه خلقه، وملك ربه إربه، ومن عكس انتكس، ومن صدق تحقق، ومن شكك تزندق.

الشعيرة الخامسة والسبعون

عمدة الحس وعروته الوثقى تنـــزيه الربوبية وتحقيق العبودية، من حيث يشهد قيام الخلق بالحق، وجمع الكل في القدم الصدق، الأول بالشهود، والثاني بالشاهد، وعماد العقل في اتصاله بحقائق الأصل، توحيد الأحدية في إحاطياتها الأزلية، ومشاهد تجلياته الرحمانية في حيطاته الأبدية، لا بالقبلية ولا بالبعدية، الأول بالهوية، والثاني بالإلهية، فالهو في الجلالة قيام بعين العين والجلالة في الهو إطلاق بغيب الغيب.

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٧٠٠).

الشعيرة السادسة والسبعون

العلم والمعلوم، والخلق والمخلوق، والتكوين والكون، الأول بالله، والثاني بالرحمن، والثالث بالحق، فمن سلب باء السبب شهد العجب.

الشعيرة السابعة والسبعون

الخلق على ثلاث مراتب: مرتبة بالعلم والمعلوم مضافة لاسم الجلالة، ومرتبة بالفعل والمفعول مضافة إلى الرحمن، ومرتبة بالتكوين والكون مضافة إلى الحق، فشهود المضاف إليه في المضاف حلول، وشهود قيام المضاف بالمضاف إليه اتحاد، واستهلاك المضاف في المضاف إليه توحيد، الأول بالفعل، والثاني بالصفات، والثالث بالذات.

الشعيرة الثامنة والسبعون

الإضافة على ثلاثة أقسام: إضافة مظهر لمظهر، وإضافة مضمر لمظهر، وإضافة مظهر لمضمر، الأول على قسمين: إضافة مجازية، كقولك: خالق الخلق، وإضافة حقيقية كقولك: خلقُ الخالق، وهذان بالطرد والعكس، ومن حيث يطرد ولا ينعكس، كقولك: خلق الله الأفلاك الأولان بالخلق والكون، والثاني بالعلم والمعلوم، والمظهر للمضمر، كقولك: خلقه وخالقه، الأول بالمجاز، والثاني بالحقيقة، وهما مبهمان، وقسم رابع لهذه الثلاث وهو إضافة مضمر لمضمر، وهو لا يعلمه إلا من تبصَّر وتحقَّق وما تفكر، كقولك: هو هو، وهو بدل الشيء من الشيء، وهو هو، وإذا اختلفت الأوضاع تاه الفهم وضاع، هو الله، هو الرحمن، هو الحق، هذا من حقائق البدلية باختلاف أحكام المراتب في الاسمية، كذلك إذا قلت: هو خالق الخلق أشهده بسر البدلية في المراتب الأبدية، ينكشف لك غطاء الثنوية عن حضرة الأحدية.

الشعيرة التاسعة والسبعون

الفتوة: اسم جامع لمكارم الأخلاق النفسانية والقلبية[1]، الأول بالمجاز، والثاني

---

(١) قال سيدي ابن باخلا شيخ سيدي محمد وفا: القلب ظل نور الروح والروح ظل نور السر والسر مظهر تجلي أشعة الحقيقة الأولي في أوائل علائم التكوين، والنفس عبارة عن توجه القلب إلى سياسة العالم الشهادي والتفاته إلى تدبير عالم شهادته، والعقل نوعان نوع وكل بالنفس ليسكن هيجان شرها في تناول مطالبها الدنيوية ويحصل بوجوده اعتدالها في تصرفات مآربها الشهوانية وهو العقل الطبيعي

بالحقيقة، ولأنه بشهود الحق في الخلق يستتر القبيح بالجميل، ويتغطى التجريح بالتعديل، وتطيب النفوس والأنفاس، ويتقدس المحسوس والحواس، وتتصفى الخلائق من كدرات الطبع، ويتحقق لله بالطاعة والسمع، وهذه من أسرار اللواحق، وإذا بدت شواهد الحقائق في مشاهد السوابق بتأصيل الخلق في الحق، حيث رسوخ القدم الصدق تجلت عجائب القلب، وانجلت أنوار الرب، وذهبت الحيرة بسر القدرة، وقال لسان العرفان: ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:١، ٢]، وهذان المشهدان الأول بالشهود، وهو أبد مقيَّد، والثاني بالوجود وهو أزل مثله، تقييد الأول بالحق، والثاني بالخلق، الأول بالحقيقة، والثاني بالمجاز من حيث التقييد، الثاني بالقدم من حيث إحاطتيَ الوجود والعدم، حقيقة في حقٍّ كالأول، وحق في حقيقة كالثاني، غير أنهما مطلقان: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذرهم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

الشعيرة الثمانون

﴿إنما قولنا لشيءٍ إذا أردناه أن نقول له كُن فيكون﴾[النحل: ٤٠]: أي أن القائل والمقول عليه الأول بالمكون، والثاني بالكون، موضوع ومحمول، النتيجة قول ومقول، اتحاد الأول بالتكوين، والثاني بالكائن، حقيقة ذلك الرحمن الرحيم في الحالتين الأوليين من القائل والقول، والحي القيوم في الجملتين الأخريين من القول عليه والمقول، فالرحمن الحي متكلم سميع، والرحيم القيوم كلام حق قديم بالعلم، والمعنى حادث بالفعل، والحروف كما قال عمر ﷺ: «ما بين دفتي هذا المصحف كلام الله»، فإذا تبين هذا فاعلم أن

=

الذي بوجوده تسمى الإنسان عاقلاً، واستكمال أوله عند بلوغ سن الاحتلام وهو مناط التكليف وهو قيد الإسلام في سلوك سبيل دنياه ويتبع المزاج الإنساني اعتدالاً وانحرافًا. ونوع آخر يتحسس به القلب عند حجابه وشغله بعالم شهادته وغلبة أوصاف النفس عليه فيتوصل به إلى تعرف الحقائق الغيبية وينشق بواسطته أرايح نسيم العوالم القدسية ويرسله يزيدا إليها لينقل إليه من أخبارها ويستصحب له منها شيئا من ثمارها وأزهارها لأنه عند حجاب القلب عن شهود غيبة قاصد يتوصل وناقل معدّل سواء لكنه عن إدراك الحقائق متقاعد وليس له إلا قياس غائب يشاهد فإذا تنبه القلب من رقدته وتخلص من قيود عالم شهادته هاجم وعاود ولاحظ صريحًا، وشاهد لكن على حسب علّو مقامه وحالة بمقتضى كمال تخلصه من أوحاله، وهذا العقل هو المحمود من النوعين والمزكى من الشاهدين وقوته على حسب حال الموصوف به من زهده في الغانيات وإقبال همته على العوالم الفانيات.

الأول القائل عالم كامل بالرحمانية، كالمقول عليه عالم كامل بالحي، والقول الباطن النتيجة عالم كامل بالرحيمية، والمقول الظاهر منها عالم كامل بالقيومية، ثم كذلك ولا نهاية لذلك، والحمد لله رب العالمين بمجموعه كذلك.

الشعيرة الواحدة والثمانون

الصورة الجميلة، والحس المعتدل، والخيال الصّادق، والنفس المطمئنة، والعقل الكامل، والقلب المدرك، والفؤاد الشاهد، والروح المستهلك، والسر المحقق، والمجموع من ذلك والنتيجة كذلك.

الشعيرة الثانية والثمانون

الراسخ في العلم هو العالم بالذات معلومات هي عين علمه لا بالزيادة، وتعلق العلم بمغاير لموصوفه ظن، والجهل هو تقليد الغير فيما يتعلق به علمه مغايرًا لموصوفه، والشك هو تحير الفكر في كيفية ما تيقن وجوده بالتقليد، وليس مع سلب الفكر جهل، إما فقد وإما علم بالقطع، والقول بأن النظر الصحيح يفيد العلم من قبيل الفكر، ولذلك اختلفت الآراء والنحل، وتكثرت الأديان والملل، وتبيَّن الحق وأشكل في المفسد والمؤول، فلله أسأل وعليه أتوكل في تصحيح المقاصد بسر الواحد، وعلى جامع المحامد ومحلل المعاقد، ومانح فرائد الفوائد لكل سميعٍ شاهد، أفضل صلاة صلوات حضرة البهاء، ومقر خلاصة النهي حيث يسلب الانتهاء، وتتصل إمدادات البقاء، وعلى آله وصحبه وسلم.

الشعيرة الثالثة والثمانون

الإحاطة هي تكثير الواحد بالتجلي[1] في هيئات متنوعة، كالماء ينعقد بردًا.

---

(١) قال محب السادة الوفائية سيدي عبد الوهاب الشعراني: يا أخي (إن للحق تبارك وتعالى تجليين: تجلٍ في رتبة الإطلاق حيث لا خلق، وتجلٍ في رتبة التقييد بعد خلق الخلق، ولكلٍّ من هذين التجليين جاءت الشرائع والأخبار الإلهية، فمن قال بتنــزل الحق تعالى في مرتبة التقييد على الدوام أزلا وأبدًا كالمجسمة والحلولية والقائلين بالاتحاد أخطأ، ومن قال بعدم التنــزل من مرتبة الإطلاق على الدوام أبدًا كالمنــزهة فقد أخطأ، فرَجِّع يا أخي كل كلامٍ يعطي التنــزيه إلى مرتبة الإطلاق، وكل كلامٍ يعطي ظاهره التشبيه إلى مرتبة التقييد يرتفع الخلاف عندك، والتعارض من جميع الآيات والأخبار) انتهى.

ولنشرح لك هذه الميزان بحسب ما يفتح الله تعالى به؛ لتعرف ما هو تجلي الإطلاق وما هو تجلي

=

التقييد، وألاحِظكَ في ذلك ملاحظة من يعلّم الصغير السباحة في البحر؛ فإنه متى غفل عن ملاحظته غرق أو شرق، والله عليمٌ حكيمٌ.

اعلم يا أخي أن تجلي الإطلاق هو: كل ما أشعَرَ بعدم وجود العالم المشار إليه بـــ«**كان الله ولا شيء معه**».

وتجلي التقييد هو: كل ما أشعَرَ بعدم وجود العالم المشار إليه بـــ «**كان الله ولا شيء معه**)).

وتجلي التقييد هو: كل ما أشعَرَ بوجود العبد مع الربِّ من سائر حضرات الأسماء الإلهية.

فتجلي الإطلاق هو: تجليه تعالى في ذاته لذاته على الدوام، وذلك لا يكون إلا في حضرة الاسم (الله)، والاسم (الأحد).

وتجلي التقييد هو: تجليه تعالى لعباده في بقية الأسماء التي تطلبهم: كالربِّ، والخالق، والرازق، والرحمن، والمعز، والمذل، والمنتقم، وغيرها من سائر ما علمناه، وما استأثر الله بعلمه؛ فإن الربَّ يطلب المربوب وجودًا وتقديرًا في العلم الإلهي، ولا يعقل إلا معه، وكذلك الخالق وما بعده.

وأما حضرة الذات التي هي تجليه تعالى في الاسم الله أو الاسم الأحد فلا تطلب شيئًا من العالم، ﴿**وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت:٦].

ولذلك كان لا يعقل لحضرتها أحكامٌ، ولا يصحُّ أن يؤخذ عنها بشرائع ولا أحكام؛ إذ ليس معها سواها.

وتأمَّل يا أخي لو يقع التجلي في رتبة التقييد وكان التجلي في رتبة الإطلاق كما كان قبل خلق الخلق المشار إليه بـــ «**كان الله ولا شيء معه**» من كان معه حتى يتلقى عنه شرائع، ومن كان هناك يعمل بها أو لا يعمل من أهل القبضتين.

وأنشدوا:

قد كانَ ربُّكَ موجودًا ولا معه شيءٌ سواهُ ولا ماضٍ ولا آتِ

فلما خلق الله تعالى الخلق وتجلى في رتبة التقييد التي هي كنايةٌ على المرآة المنطبع فيها صور الموجودات أجمع وسمَّى لنا نفسه بالأسماء الطالبة لأهل حضراتها.

فلا بدَّ لإثباتك المعرفة لمن يُتَلَقى عنه الأحكام: من ملكٍ، أو بشرٍ، وإلا فتلَقّي الأمر مَنْ لم يَعرِفْ بوجهٍ من الوجوه محالٌ، ولا بدَّ لك أيضًا من إثبات من تحكم فيه حضرات الأسماء الإلهية: كالمعز، والمنتقم، والغفور؛ فإن أثر هذه الأسماء في حق الحق محالٌ.

فقد بان لك أنه تعالى من حين أظهر الخلق ما تجلى لهم قطُّ في رتبة الإطلاق؛ لأن هذه الرتبة تنفي بذاتها وجود غيرها معها، وما تجلى بعد إظهارهم إلا في رتبة التقييد.

ومن لازِم شهود أهل العقول أنفسهم معه التحييز والتحديد والحصر؛ إذ المقيد لا يَشهدُ إلا مقيدًا، وأما

=

الشعيرة الرابعة والثمانون

حقيقة الإحاطة أن يكون المحيط بالذات محاط به بالشخص في العين، وفي المعنى أن يكون المحيط بالعلم محاط به بالمعلوم الأول بالوجود والاستغراق، والثاني بالشهود والاستهلاك.

الشعيرة الخامسة والثمانون

عالم الأمر وعالم الخلق وعالم الكون جبروت وملك وملكوت، إحسان، إيمان، إسلام،

=

الإطلاق فإنما يُعَلَم فقط بالإعلام الإلهي لا بالعقل.

ولذلك قررنا غير ما مرةٍ أن أعلى مشاهدة العبد أن يرى إطلاق الحق تعالى وتقييد الكون، فهذا إذًا حقيقة وحدته تقييدًا، فإن أصل التقييد وسببه إنما هو التمييز، حتى لا تختلط الحقائق، وقد صار الحق تعالى في قلب هذا الشاهد مقيدًا بالإطلاق؛ لأن الإطلاق بلا مقابلٍ لا يُعْقَل، ولو كان التجلي في كل صورةٍ في العالم.

وبلغنا عن الشيخ محيي الدين رحمه الله: أنه كان يقول بإدراك تجلي الإطلاق ذوقًا، وهذا لا يصحُّ إلا عند من يقول أن الحق تعالى يقبل حكم كل ممكنٍ من حيث أنه عين الوجود، بل ولو قيل بذلك لا يتخلَّص له إلا عند فنائه، لا في حال بقائه مع الحق، وحينئذٍ فما رأى إطلاق الحق إلا الحق، فافهم.

وإيَّاك والغلط؛ فإنه لا حلول ولا اتحاد ولا يلحق عبدٌ رتبة ربِّه أبدًا، ولو صار الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه فإن الحق تعالى قد أثبت عين العبد معه بالضمير في قوله في الحديث القدسي: «كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصر به»، إلى آخر النسق.

فإن قيل: إن كلام الحق تعالى قديمٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

وهذا يُشعِرُ بأنَّا معه في الأزل، كما يقول بذلك الفلاسفة.

قلنا: التحقيق أن العالم كله قديمٌ في العلم الإلهي حادثٌ في الظهور.

وقد قال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه».

وأجمع المحققون على أن المراد بـــ(كان) الوجود، لا أنها على صورة (كان) التي هي من الأفعال الماضية، فهو حرفٌ وجوديٌّ، لا فعل يطلب الزمان، كما يتوهمه بعضهم، حتى أنهم أدرجوا في الحديث: (وهو الآن على ما عليه كان)؛ لتخيلهم أن تصريفها كتصريف الأفعال، ككان ويكون وكائن ومكون، فمعنى الحديث: الله موجود ولا شيء معه في حضرة ذاته: أي ما ثَمَّ من وجوده واجبٌ لذاته، إلا هو وحده.

حق يقين، عين يقين، علم يقين، افتقار وفقر وفقيري، هذه الثلاث مقامات: بداية، نهاية، توسط.

الشعيرة السادسة والثمانون

بروز الجلالة من غيب الأزل بالتجلّي الأول؛ لتحقيق تميـيز الإرادة في الأصل المؤول، والتعيين الظاهر في الآخر من باطن المؤثر المعلن الباطن، بقوته في فعله؛ لإثبات خلقه بجعله فيتقيد مؤبد الأبد، ويتكثر واحد الأول بحكم العدد، فإذا انحل النظام، واستوت الكلمة بالتمام، ظهر السر المدخر، فأعلن ما كان قد استتر، فصار الأبد كالأزل، واتصل الأمر كما انفصل، وانطبع الختام وانقطع ألف الوصل في الكلام، كذبت الأحلام في نيل المرام، والحمد لله والسلام.

الشعيرة السابعة والثمانون

الدهر بطون الفعل بالمفعول في قوة الفاعل، واندراج الفاعل بالقوة في قدرة الجاعل، وتوحُّد الجاعل بالذات في أحدية المتكلم القابل، والزمان حكم البطون بالعكس في مظاهر العقل والنفس والحس، بتعين الحديث والنطق، وتجلّي الوجود الحق، تحديد وتقييد، فالدهر بالبقاء، والزمان بالانقضاء، إيهٍ آه، «**ولا تسبوا الدهر فإنَّ الدهر هو الله**[1]»، فالدهر مالك الزمان الإنسان بالرحمن، ومصرف الأعيان الإمكان بالمكان، وقد أوضح الإعلان سر الكتمان، وترجم اللسان بالتبيان عما في غيب دُجُنَّة الجنان.

الشعيرة الثامنة والثمانون

اعلم أن كلمات الذات إحاطات الآلات بالأسماء والأفعال والصفات، ست كلمات تامات، العلم والحياة أفقا الإلهيات، والوجود والجعل فلكا الروحانيات، والعرش والماء موضوع الأعيان والتعيينات، وكان الامتزاج[2] بالإدخال والإخراج من حقائق

(١) رواه مسلم (٤/١٧٦٣).

(٢) الامتـزاج هو: امتزاج نفسه بما وراء الحجب من العزة لأنه إذا استوفى ما يخلف منها بالاختراق ووصل إلى مقام العزة اتصف بهذا المقام لأنها تعود مضروبة على وجهه بقطعه لها شيئاً فشيئاً، فلو كان هذا الاختراق في دفعة بلا تعدد لما كان حصلت هذه الزيادة ولا الوقوف على ما تضمنته هذه الحجب ولا التمكين في تيقن الرفع، فلما رفعت شيئاً فشيئاً حصل للشاهد التمكين والاستشراف بعادة =

التـــنـــزيل والمعراج، فبطون العلم في الحياة بالحي القيوم، وبطون الحياة في العلم بالرحمن الرحيم، وتـــنـــزل العلم بما بطن فيه للفلك المحيط، الحمد عقلٌ كليٌّ، وكذلك الحياة بما بطن فيها روح كلي، ثم ينـــزل العقل الكلي والروح إلى موضوع الماء، الجسم عرشٌ بالأول، وماءٌ بالثاني، ثم تتصرف الأسماء والأفعال على حقيقة هذا المنوال.

واعلم أن هذه الحيطات بالقبل لها إحاطات بالبعد، في الجمع الرحمن والإنسان وآدم، الأعيان الأول بالوجوب، والثاني بالإمكان، والثالث بالأكوان، فافهم.

الشعيرة التاسعة والثمانون

كلما اشتملت عليه التسوية من آدم لا بالقدم، وكلما اشتملت عليه النفخة الروحانية بعد التسوية لا بالحدوث، الأول بالقوة والفعل، والثاني بالذات والصفات، الأول بالحكمة، والثاني بالقدرة، ومن فارق الأول سعد بالثاني، ومن فارقه الثاني شقي في الأول، آه لمن عز الهوى فهوانه فيه يهون، وسجنه أسجانه إلى آخره.

الشعيرة التسعون

وبما كانت حقيقة الأزلية وحدانية في أحدية، وهي بطون الصفات في الذات الأول بامتناع النفي، والثاني بامتناع الإثبات، وكان تجلّي الهو والجلالة لإبداء السريرة والآلة، وليظهر المثل الأعلى مثاله الذي لا ند له ولا كفؤ ولا نظير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو تجلّي جلال وجمال وكمال، لا عن تحول وتزحزحٍ، وتقلقل وانتقال، وبهذا الظهور الواضح المعلم والوجه الوجيه الأكرم ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥]، والإنسان هو الموجود الثاني عنه بالجعل، وهو منفصلٌ في العين بالفرعية الفعلية، متصلٌ في المعنى بالأصلية الفاعلية، هو موضوع محموله بالإحاطة والاتساع والوعي في القول والسماع[1] وتمييز الفرق في جمع جوامع الإجماع، فالوحدانية

=

الاختراق، وإذاً الاستشراف إلى مِزاج النفس بالمطلوب. وانظر: شرح المشاهد القدسية للشيخ الأكبر لبنت النفيس (بتحقيقنا).

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: السماع هو إصاخة القلب لناطق الغيب من وراء حجاب العزة، بسرط خمود الحسّ وانقطاع خير الفكرة، وحقيقته: تمييز الخبر المطابق لعينه من عكسه، وغايته: فهم معاني الكلمات الواجبة المتعلقة بحروف الإمكان الكائنة بمراد القول الإلهي في لوح الحدوث، المحيط =

في الأحدية لا يتوصل إليها بسببٍ، ولا يتوجه إليها قصد بطلبٍ، ولأن امتناع الإثبات حقيقة سلب تكيف الكيفيات، ونفي تصور صور الشيئيات، وحل عقال تعقل المعقولات، وفك نظام نظم انتظام المعلومات، فلا مطمع في سر سريرة سريانيته، ولا مسلك إلى حمى حرم توحد وحدانيته، وكلما يلوح ويظهر ويشير إليه السر ويستشعر، إنما هو بتجلّي المثل الأعلى بإحاطته في وسع سعة موضوعه الأشد الأقوى، ثم يتـــنـــزل الأمر هكذا نورٌ في ظلمةٍ، وظلمةٌ في نورٍ، بظهورٍ في بطونٍ، وبطون في ظهور، فكل نور وجودي، وحقيقته امتناع النفي، وكل ظلمة عدمية، وحقيقتها امتناع الإثبات، فالهوية المرسلة وجودية نورانية، وهي الإنسانية.

واعلم أنها لا تُدرك؛ لأنها هي الإدراك، وبها كل شيءٍ مدرك، وإدراكه بحسب أفقه وعالمه، وإنما هي في الإنسان بالعين، وفيما عداه بالغيب، ولأن الإنسان قرص نورها، وعين تعيين ظهورها، ثم الموجودات بعد ذلك بإفاضة إضاءة قرص عين النور، وإرسال أشعة إنارتها في الظهور، فلا مطمع للمدرك في إدراك ما به يُدرك، والهوية السارية امتناعية غيبيته السارية في المرسلة غيب في شهادةٍ، وهذه أبدية كبطون الصفات في الذات، وهذه أزلية، فالهوية المرسلة نور الأنوار، ومنارة حضرة الوقار، وإليها يسجد الساجدون، ويخشع الخاشعون، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢] ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢]، وكان عدم الاستطاعة عند كشف الساق، وهو تجريدٌ عن الآدمية، بما فاتها من اكتساب مثله ومثله، واستخلاف كائنة بدله، كما أنه لو أن عند إنسان شمعة في بيته وهي ملكٌ لغيره، لا يعلم متى يسترد لشيء دونه فلا غير، فإن حقيقة الغير الاستقلال، فالغير متعين من هذا الوجه، وإن ثبت فمن حيث تعين المراتب بالفاعلية والمفعول.

الشعيرة الواحدة والتسعون

الله غيب كل شيءٍ، وكل شيء عينه، فلا تطلب من شيءٍ غير ما تعيَّن منه، فإنك لن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، فإن الغيب المطلق لا يظهر أبدًا إلا بعين، إما بالتجلي وإما بالعقل والفعل، إما بالتمثل وإما بالتركيب، والحكم الواقع في تفاوت

=

بذات الكثرة التي لا تتناهى بالعدد، ولا تنقطع من تواصل المدد اهـ.

المراتب بالتحكم من مطلق الاختيار[1]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ

(١) قال الشيخ القونوي: اعلم أن الاختيار الثابت للحق المشهود في حضرة الكشف ليس هو على النحوِ المتصوَّر من الاختيار للخلق، فإن اختيار الخلق عبارة عن ترددٍ واقع بين فعلين أو أمرين؛ كل منهما ممكن الوقوع عند المختار؛ لكن يترجَّح عنده أحد الأمرين لمزيد فائدة يستجلبها في الأمر المختار أو مصلحة يتوخَّى حصولها به والحق سبحانه يستنكر في حقه مثل هذا؛ فإنه أحدي الذات، واحد الصفات، أمره واحد، وحكمه واحد، وعلمه بنفسه وبالأشياء علم واحد لا اختلاف فيه ولا تغيُّر، فلا يصح لديه ترديد، ولا إمكان حكمين مختلفين في صورةٍ واحدةٍ أو أمر ما كان ما كان؛ بل إمَّا وإما بحسب تعين ذلك المعلوم المراد في نفسه سبحانه أزلاً وأبدًا لا يمكِن غير ذلك، وليس هذا من قبيل الجبر كما يتوهَّمه أهل العقول الضعيفة، وكيف! وليس ثمة سواه، فمَن الجابر؟

فإن توهَّم متوهمٌ، فقال: العلم هو الجابر؛ إذ لا يمكن وقوع خلاف متعلَّقه.

قلنا: العلمُ كاشفٌ لا مؤثر؛ وتعلُّقه بالمعلوم هو بحسب المعلوم؛ فإن توهَّم متوهمٌ جبرًا فليتصوره من المعلوم على نفسه؛ لكون العلم به تابعًا لما هو عليه المعلوم في نفسه، وحكم العلم إنما يترتَّب عليه بحسبه لا بحسب العلم، وحينئذ يكون الجبر من المعلوم على نفسه أو على العالم به؛ لكون تعلُّقه به تابعًا لما هو عليه؛ إذ يستحيل أن يؤثر في ذات الحق؛ بل يستحيل في التحقيق عندنا أن يؤثر شيءٌ ما كان ما كان فيما يغايره ويضاده من الوجه المضاد.

ثم نقول: وأيضًا فلو قيل بجبر العلم لزم أن يكون الحق مؤثرًا في نفسه ومتأثرًا فاعلاً وقابلاً، فإن علم الحق في مشربِ التوحيد عند المحققين من أهل الكشف وأهل النظر أيضًا عين ذاته، فلو كان كما قيل؛ لزم أن يكون في الحق جهات مختلفة فيكون جابرًا ومجبورًا، فيختلف الجهات فيه؛ فلم يكن إذًا واحدًا من جميع الوجوه؛ وهو واحد من جميع الوجوه بلا شك، هذا خلف.

فالاختيار الإلهي مقامه بين الجبر والاختيارِ المفهومين للناس، وإنما المعلومات جميعها ما قدر دخولها في الوجود؛ وما لم يقدر مرتسمة في عرصة علمه سبحانه أزلاً وأبدًا متعينة صورة كل شيءٍ على حدِّه مترتبة ترتيبًا أزليًا لا أكمل منه في نفس الأمر، وإن خفي ذلك على الأكثرين.

ثم إنها تصدر من حضرته سبحانه على الوجه الأول والأحسن؛ فبالإيجاد يظهر الأول من كل أمرين مما يتوهم إمكان وجود كل منهما، فبالنسبة إلى التوهم الذي يصدق في حقه الاتصاف بالتردُّد، والترجيح هو ترجيح الأولى؛ وإما في نفس الأمر فبالترتيب الثابت للمعلومات أزلاً دون جعل وقع على الوجه الأتم.

ثم إن القدرة أبرزته بموجب الشهود العلمي الأزلي، فظهر هنا على ما كان عليه هناك، فمن أدرك ما في الترتيب الوجوديِّ من الحُسن وكمال الحكمة تحقَّق أن لا أكمل مما وقع؛ بل ما عدا الواقع فمستحيل الوجود، وإن حكم المحجوب بإمكانه.

=

﴿الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، ومتى خرق نور العلم اللدني بصر الحس المدرك، رأى غيب كل

=

ثم اعلم أن للاختيار الإلهي حكمين: مقتضى أحدهما ما ذكرناه وهو الوجه المختص بالحق من حيث هو هو، ومن حيث صرافة وحدته واستحالة توهم الجهات المختلفة في جنباه، وله: أي للاختيار؛ حكمٌ ووجهٌ آخر يختص بالعالم.

فالاختيار بالمعنى الأول من حيث ما يصح إضافته إلى الحق ليس فيه إمكان ولا تردُّد؛ بل الأولى من كل أمرين أو أمور يصدر من الحق دون رؤية ولا تردد ولا قصد ولا ترجيح مقرون بإمكان.

وهذا الاختيار الموصوف بما ذكرنا متى أُعتبِر سَرَيَان حكمه في الممكنات ظهر بوصفٍ يوهم التردد، والإمكان، وترجيح بعض الممكنات دون البعض، وكل ذلك ينافي الوحدة الصرفة الثابتة للحق من جميع الوجوه، فهو إذن من صفات العالم ومقتضاه، وموجبه أن للحق نسبتين:

نسبة الوحدة الصرفة؛ ولها الغنى التام ولسانها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ونسبة التعلُّق بالعالم وتعلُّق العالم به؛ من كونه إلهًا لا من حيث ذاته، ولما كان التعلق والإيجاد عبارة عن تجليه سبحانه في الماهيات الممكنة الغير المجعولة التي كانت مرائي لظهوره، وسببًا لانبساط أشعة نوره، ظهر الاختيار ذا حكمين كما قلنا؛ فلم يدرك المحجوبون من سر الاختيار غير ما قام بهم؛ وهو وصف إمكاني متكثر منقسم لما نبّهنا عليه من أن الكثرة وصفٌ تابعٌ للإمكان، وأن الوحدة الحقيقية الصِّرفة تختص بالحق وحده لا يشارك فيها.

فلما أدركوا الاختيار على هذا الوجه، وشعروا، وسمعوا أيضًا أن له نسبة الحق ولم يتحققوا بأي اعتبار يصح إضافته إلى الحق نسبوه إليه سبحانه على نحو ما تعقّلوه في أنفسهم بحسب تعينه فيهم، وليس كذلك، وإنما يمكن إضافة هذا النوع من الاختيار إلى الحق من وجهين آخرين: أحدهما من حيث «مرتبة أحدية» جمعه القاضي بأن له سبحانه كمالاً يستوعب كل وصف، ويقبل من كل حاكم عليه بكل لسان في كل مرتبة وحال كل حكم؛ لأنه المعنى المحيط بكل كلمة وحرف ومظروف وظرف وكل ظاهر محقق الظهور وباطن نسبي أو صرف.

والوجه الآخر الذي من جهته يمكن إضافة هذا النوع من الاختيار إليه؛ هو من جهة ما ذكرنا من أن الماهيات الممكنة الغير المجعولة نسبتها إلى نوره الوجودي نسبة «المرائي إلى ما ينطبع فيها».

ومن مقتضى حكم هذا الذوق والمقام أن المتجلي في أمر ما إنما يظهر في المجلى بحسب المجلي لا بحسبه، فعلى هذا إذا تجلى الحق في أمر ما، أو حضرة ما أو عالم ما لزمه أحكام تلك المرتبة أو الحضرة؛ العالم والمجلي كان ما كان؛ وأمكن أن ينسب إليه سبحانه من الأوصاف ما يصح إضافته إلى ذلك الأمر، والعالم أو المرتبة أو ما كان، ويصدق كل ذلك في حقه، لا مطلقًا من حيث ذاته؛ بل من حيث تجليه فيما تجلى فيه. وانظر: النفحات الإلهية (ص٨٥) بتحقيقنا.

شيءٍ في عينه، ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، والإنسان سرير الرحمن، وفي العرفان فناء الإنسان، وبقاء الرحمن، والرحمن عين غيب كل شيءٍ ومرتبته المشهودة التي سقط عنها حكم الغير، وتحكم السوى والفرق، فهي لا يستتر فيها غيب شيء، ولا يستتر عنها عين غيب، ولا غيب عين، فعنه يتجلّى غيب[1] كل شيءٍ بعينه، وإليه يعرج عين كل شيءٍ بغيبه، آدمياته كرسي عزته، الذي وسع سماواته وأرضه، وسرادقات عرش مجده وقلمه، الواضع صور معلومات علمه، بمداد قوته في لوح انفعال مفعولات فعله، وهو بذاته وصفاته وأفعاله أضاف الحكم مطلقًا لأسمائه، لا معه غيره، ولا فيه سواه.

الشعيرة الثانية والتسعون

العلم ومعلومه في نظام الواجب، المتصف بالقدم لنفسه، فلا يُقال على ما تعلق به العلم واجب لغيره، من حيث هو معلومٌ؛ لأنه لا تصح صفة القدم لغير الواجب المطلق، فعلى هذا كل معلومٍ في علم الله الله، والمعلوم الأعظم عين جمع المعلومات من حيث هي في بطانة العلم، بحيث لا ينتقل معلوم عن المرتبة التي هو بها معلوم متميز في العلم، كآدم في جمعه لأعيان الممكنات، وما من شيءٍ حادث ممكن في عالم الحكمة إلا وله حقيقة من معلومات العلم القديم، هي غيبه وجلالته، وفتق رتقه، وحق خلقه، ولما جمع الله العالم كله

(١) قال سيدي داود بن باخلا شيخ المصنف قدس الله سرهما: الغيب إذا تجلى له ثلاث مراتب مرتبة هي أصل مدده ومرتبة هي أصل مظهر وجوده ومرتبة هي شعاع أنواره فالأول: هي غيب الغيب لا تدرك ولا يحاط بها ولا يعبر عنها لسان ولا يرقى إلى علوّ سمائها قلب إلا لمن شاء الله من أهل العرفان.

والثانية: مظهر وجوده وهي مظهر العلم اللدني ومحل انبساط اللوح العلوي.

والمرتبة الثالثة: وهي شعاع أنواره وهي إبداء العوالم العلوية بتفاصيلها من فرع وأصل ويجمعها العالم الباقي، ثم هناك مرتبة أخرى وهي آثار ظلالها وبوادئ مظاهر خيالها وهي ما يشاهده ظواهر علوم الإحساس وما يدركه عموم الناس.

ويشير إلى الأول قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [النحل:٧٧].

ويشير إلى الثاني قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف:١٠٩] الآية.

ويشير إلى الثالث قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٤] الآية.

وإلى الرابع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ [يونس:٢٤].

الحادث في آدم، ونفخ فيه الروح وهو المعلوم الأعظم، ولذلك علم الأسماء كلها، وسجد له كل ملك وفلك، وتلا لسان النهي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٥، ٦].

هذا تخصيص لا اختيار فيه، فمن سلك من بني آدم على طريق المرسومات والموضوعات الملية، انكشف له حقيقة من الحقائق المعلومة، وهي الجلالة التي تجلت عليه من الساق، القائم نور النفخة الإلهية، والمنفوخ الأعظم إن سلم من العوارض تكون معرفته لله من ذلك الوجه المتميز بالجلالة المتجلية عليه، فإذا تجرد عن جسده وتحلل من عقال طبعه كان هو عين ذلك الغيب، وحق تلك الحقيقة، وصار حكمه حكم ما تجرَّد عليه، فإن أدرك المخصوص صاحب ميراث النفخة في الوقت[1]، وسلم من العوارض والموانع، نفخ فيه من روحه، وتجلى فيه بصورة جمعه، وسجد له كل ملكوت ملكه، واستغنى في كشفه بكشفه عن كشفه، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم: ٩٣].

ومن تفرَّقت به السبل عن سبيله فهو في حصر مبلغ علمه وتحكم صورة حكمه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الشعيرة الثالثة والتسعون

تنقسم الممكنات إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) الوقت: عبارة عن حالك، وهو ما يقتضيه استعدادك لغير مجهول، في زمن الحال الذي لا تعلق له بالماضي والمستقبل فلا يظهر فيك من شوون الحق الذي هو عليها، في الآن، إلا بما يطلبه استعداداً، فالحكم للاستعداد وشأن الحق محكوم عليه. هذا هو مذهب التحقيق، فظهور الحق في الأعيان بحسب ما يعطيه استعدادها، فلذلك ينبوع فيها فيض وجود الحق، وهو في نفسه على وحدته الذاتية، وإطلاقه وتجرده، وتقدسه غني عن العالمين، فالوقت هو الحاكم والسلطان، فإنه يحكم على العبد فيمضه على ما يقتضيه استعداداً، ويحكم على الحق بإفاضة ما سأله العبد منه بلسان استعداده في زمن الحال، إذ من شأن الجواد التزام توفيه استحقاق الاستعدادت كما، ينبغي، وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[القصص: ٦٨]. تأيد لهذا التحقيق إن كانت «ما» موصولة في موضوع النصب على أنه مفعول مختار، ومن كان يحسب ما خاطبه به الشرع في كل حال، فهو في الحقيقة صاحب وقته، فإنه قام بحقه، ومن كان هكذا فهو عند ربه من السعداء.

قسمٌ هو عالم الأمر.

وقسمٌ هو عالم الخلق.

وقسمٌ هو عالم الكون.

وينقسم كل عالمٍ إلى أربعة أقسام: عقول، ونفوس، وإدراكات، وأجسام، فلكل عقلٍ علم، ولكل نفسٍ خلق، ولكل إدراكٍ مخيلة، ولكل جسمٍ طبيعة، على قوته وروحانيته، أما العقول فلها صور تجليات مفارقة للكيفيات، مطابقة لعلومها وللنفوس، صور تمثلات مجردة عن الحصر، مطابقة لاختلافها وللإدراكات صور تشكلات مناسبة لأكياف مخيلاتها، وللأجسام صور تركيبات مطابقة لأوضاع طباعها، فعالم الأمر بما فيه من عقول وعلوم ونفوس وأخلاق، وإدراكات، ومخيلات، وأجسام نورانيات، ولطائف روحانيات، حضرات الجبروت، ومرائي تجليات اللاهوت، وعالم الخلق بما فيه من عقولٍ وعلومٍ ونفوسٍ وأخلاقٍ، وإدراكات، ومخيلات، وأجسام، وروحانيات، حضرات ملكوت الرحموتيات، ومرائي تجليات الرحمانيات، وعالم الكون بما فيه من عقول وعلوم ونفوس وأخلاق، وإدراكات، ومخيلات، وأجسام، وطباعات، حضرات ملك الملكيات، ومرائي تجليات الربّانيات، الأول في نظام المحمديات، والثاني في نظام الجبريليات، والثالث في نظام الآدميات، وعين الجمع في نظام: بسم الله الرحمن الرحيم، ومن ثم ينقطع الخبر، ويمتحي الأثر، وينطفئ سراج الفكر.

الشعيرة الرابعة والتسعون

الإدراك يقع على كل محسوسٍ محيَّز، والرؤية تقع على كل مشهودٍ غير منحصر[1]،

---

(١) اعلم يا أخي رحمك الله أن رؤية الحق سبحانه وتعالى لا يعرف حقيقتها إلا من عرف حقيقة رؤية رسول الله ﷺ، أو غيره من الأموات، وأنه مثالٌ ينتجه الله تعالى من تلك الذات المرئية في عالم الخيال، فيرتسم في النفس بصورة المرئي، فليس مراد الرائي الصادق برؤية رسول الله ﷺ في المنام رؤية حقيقة شخصه ﷺ الموقع في قبره الشريف بالمدينة؛ فإن ذاته الشريفة منـــزَّهةٌ عن كُلفة المجيء والرواح من البرزخ إلى مكان الرائي، وربما رآه ﷺ ألف واحدٍ في ليلةٍ واحدةٍ في ألف موضعٍ، وهو في كل موضعٍ على حالةٍ لا تشبه الأخرى، ومثل ذلك محالٌ في العقل، وإن كانت القدرة الإلهية أوسع من ذلك، وهذا هو معنى حديث:

«مَنْ رأني فِي المنامِ فَقَدْ رآنِي حقًا؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثّل بِي».

=

فليس معناه أنه رأى روح النبي ﷺ ومظهر ذاته، وإنما معناه أنه رأى مثال روحه المقدَّسة، التي هي محلُّ النبوة.

فإن روح رسول الله ﷺ الباقية بعد موته منــزهةٌ عن الصورة والشكل؛ فافهم.

بخــلاف المــثال؛ فإنــه لا يكون إلا مشتملاً على الشكل واللون والصورة، وهذا لا بدَّ منه في طريق التعريف، وإلا لم يكن يُعرف.

وكــذلك القــول في رؤيــة ذات الله ﷻ، فإنها منــزَّهة عن الشكل والصورة، ولكن لا يتعقل عبدٌ معرفتها إلا بواسطة تخيل مثالٍ محسوسٍ في الصورة الجميلة التي تصلح أن يُمثَّل بها ذلك الجمال الحقيقي المعــنوي، الــذي لا صورة فيه ولا لون ولا شكل، ثم يطلق على ذلك المثال أنه حقٌّ وصدقٌ؛ لكونه واسطةً في التعريف.

ويقــول الــنائم: (رأيــت ربِّي في المنام)، وليس مراده أنه رأى ذات ربه حقيقةً، وإنما رأى مثال ذاته المتخيلة في وهمه.

فإن قيل: إن رسول الله ﷺ له مِثلٌ، والله تعالى لا مِثل له.

قلنا: هذا كلام من هو جاهلٌ بالفرق بين المِثْل والمثال.

فإن المثل هو المساوي في جميع الصفات، والمثال لا يشترط فيه المساواة.

وتأمَّل العقل؛ فإنه معنًى لا يماثله غيره، وكثيرًا ما يمثل بالشمس وليس بينهما من المناسبة إلا شيءٌ واحدٌ.

وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل.

وقد ضرب الله ﷻ المثل لنوره، كما في آية النور، وأيُّ مماثلةٍ بين نوره ونور الزجاج والمشكاة والشجرة والزيت.

وكذلك ضرب الله تعالى المثل للحياة الدنيا بالماء النازل من السماء.

وضرب رسول الله ﷺ المثل للإسلام بالقبة.

وضرب المثل للعمل باللبن، وضرب المثل للقرآن بالحبل.

فأيُّ مناسبةٍ بين هذه الأمور وبين الأشياء المضروب لها الأمثال، ولكن لما كان الحبل مثلاً يُتمسَّك به للنجاة والقرآن يُتمسَّك به للنجاة صحَّ التمثيل به.

وقسْ عليه، وكل ذلك من باب المثال لا من باب المثل.

فكما صحَّ ضرب الأمثلة لما ذكر صحَّ ضرب الأمثلة لكل عارفٍ لذات الله التي لا مِثل لها لمناسبةٍ معقولةٍ من صفات الله تعالى.

واعلم أننا لو أردنا أن نعرف مسترشدًا سألنا: كيف يخلق الله الأشياء؟ وكيف يعلمها؟ وكيف يريدها؟

=

=

وكيف يتكلم؟ وكيف يقوم الكلام بنفسه؟.

لا نقدر نعرفه معنى ذلك إلا بما عنده من صفات نفسه، ولولا أنه عرف نظير هذه الصفات من نفسه لما فهم مثال ذلك في حق الله ﷻ.

قلت: إن المثال جائزٌ، والمثل باطلٌ؛ وذلك لأن المثال هو ما يوضِّح الشيء، والمثل ما يشابه الشيء من جميع الوجوه، وليس شيءٌ في الوجود يُماثل الحق تعالى.

فالمثال هو المرئي في الدنيا والآخرة، كما سيأتي بسطه في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى؛ لأنه لا يصحُّ لعبدٍ أن يرى الذات المقدسة؛ لأنها تنفي بذاتها أن يكون في حضرتها سواها.

وهذا المثال هو المراد بقوله ﷺ: «**رأيتُ ربّي في أحسنِ صورةٍ**».

وفي روايةٍ: «**في صورةِ شابٍّ**».

وهو المراد أيضًا بقوله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلَى صورتِهِ**».

وفي روايةٍ صححها ابن النجار وأيّدها الكشف: «**على صورةِ الرحمن**».

فإنه لا يصحُّ أن يكون المراد بذلك صورة الذات؛ لأن الذات المقدَّسة لا صورة لها إلا من حيث التجلي بالمثال، كما يشهد لذلك خبر مسلم في التجلي يوم القيامة.

وكما تجلى جبريل لرسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي.

ومعلومٌ أن تَمثُّل جبريل في دحية ليس معناه أن ذات جبريل انقلبت صورة دحية، وإنما ظهرت تلك الصورة لرسول الله ﷺ مثالاً مؤدِّيًا عن جبريل ما أوحي به إليه.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا**﴾ [مريم: ١٠]، فإذا لم يستحيل ذلك في حق الملك وأن جبريل كان باقٍ على حقيقته وصفته في حال ظهوره في صورة دحية فلا يستحيل ذلك في حق الله تعالى في يقظةٍ ولا منام؛ لاتفاق جميع المحققين أن المرئي مثال الذات لا عين الذات، كما تقدَّم وكما سيأتي.

ومن فهم الفرق بين المثل والمثال لم يقف في مثل ذلك، وقد أشار رسول الله ﷺ بأن الله تعالى مثالاً يقع التجلي فيه حتى يُعرف بقوله: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورتِهِ**».

وذلك أنه تعالى لما كان موصوفًا بالوجود قائمًا بنفسه حيًّا عالمًا مريدًا قادرًا سميعًا بصيرًا متكلمًا كذلك ولو لم يكن الإنسان موصوفًا بهذه الصفات ما صحَّ له معرفة هذه الصفات في جانب الحق تبارك وتعالى، ولا تعقُّلها.

ولهذا ورد في بعض الكتب الإلهية: «مَنْ عَرَفَ نفسَهُ فَقَدْ عَرَفَ ربَّهُ».

ذلك لأن كل ما لم يجد الإنسان له مثالاً في نفسه يعسر عليه التصديق والإقرار به، ومن شكَّ فيما قررناه فليتعقَّل لنا شيئًا لم يخلقه الله تعالى؛ فإنه لا يقدر قطُّ على ذلك، وهذا يصلح دليلاً لمن منع رؤية

=

والمعقول كل مغيب انحصر في قيد لا انفكاك له منه، والمعلوم كل غيب حصل في القوى بالذات، فالأول بالعرش والرحمانية، والثاني بالغيب والجلالة، والهو إحاطة لا يطلقها العدم ولا يحصرها الوجود.

الشعيرة الخامسة والتسعون

الروح معنوية بحقيقتها، كذلك فإذا تجردت عن الجسم مفارقة له تصورت في القوى حسبما علمت من فيض الأزل عليها وجودًا حقًا، وإن تعلقت به فبحسب ما اكتسبت من الأخلاق المحسمة، فمن علم شيئًا تصوره، ومن تخلق بشيء وجده، وقال: للواجب حقيقتان: حقيقة مؤولة بالعلم، وحقيقة مؤولة بالفعل، فحقيقة العلم هي مجردة بالأصل، لا تنعت ولا تعقل ولا يُشار إليها. فإذا تجلت أوجبت العقل الإلهي، واتحدت به اتحادًا بالذات، كاتحاد الماء بالبَرد المنعقد عنه، وتتحد العاقلة بالنفس الناطقة اتحادًا بالفعل، وهي العالم الإمكاني، وعند اتحاد الحقيقة المؤولة بالعلم والعقل الإلهي يتحقق الاتصاف بالعلم، ويجب المعلوم بالذات.

وكذلك الحقيقة المؤولة بالعقل، هي مجردة بالأصل.

فإذا تجلت أوجبت الروح، واتحدت بها كالأول، ثم اتحدت الروح بالجسم اتحادًا بالفعل، وهذا هو خلق الإنسان في أحسن تقويم، فلما ذاق الشجرة ووقعت القضية ارتفعت إليه النفس الطبيعية من الخارج، ونفرت الروح الإلهية، ونزلت هي في محلها من عالم الجسم، وكذلك العقل المعيشي ارتفع من الخارج، واستولى على الناطقة، ونفر العقل الإلهي فانقطع الخبر، وعمي البصر، فمن وفّقه الله بعناية المجاهدة والمشاهدة[1]،

=

ذات الله تعالى لولا ما ورد.

ثم اعلم أن الفرق بين الحق تعالى والإنسان أن الحق تعالى يتقلّب في الأحوال، والإنسان تتقلّب عليه الأحوال؛ إذ يستحيل أن يكون للحال على الحق تعالى حكمٌ.

وانظر: الميزان الذرية (ص١٧) بتحقيقنا.

(١) قال الشيخ القاشاني في المشاهدة: هي إزالة الموانع عن الحقيقة المستعدة لقبول الحق، وحقيقتها: استغناء النظر الصحيح بالبصيرة النافذة في تحصيل المطلوبات عن نصب الأدلة والبراهين، وغايتها: رؤية الصديق عين خبر الصادق في صورة كونه اهـ.

حتى أفنى هذين العارضين، وتخلص من فتنة هاتين العلتين، رجع إلى القوام الأعدل، والمقام الأعز الأكمل، وقرب كل أحدٍ وبعده بحسب ما فني من هذين العارضين وما بقي منهما.

الشعيرة السادسة والتسعون

المحقق مفقود؛ لأنه ذات الوجود، والعارف مشهود؛ لأنه عين الوجود، فالعارف يعلم ولا يشهد، والمحقق يشهد ولا يعلم، بين الأنت والأنا نقطة لا يعرفها إلا هو، أرادت الوجود خواطر كل موجودٍ؛ لأن الموجد الحق هو عين كل إرادةٍ، ألقِ ما في يمينك تتلقّى ما في إيمانك، التصديق مرآة الحق، فإذا طمست مرآة التصديق فقدت مشاهدة الحق، من تحقق بهذه الكلمات رُفعت عنه حجب الظلمات، نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في الحركات والسكنات، واتّباع الحق، والغنى عن مسألة الخلق، إنه على كل شيءٍ قدير، آمين آمين.

الشعيرة السابعة والتسعون

الصّلاة من العبد بشرط الحضور، والمراقبة تفيد صورة روحانية نورانية، مترقية عن عالم الفرق إلى حضرة الجمع[1]، فإذا حضرت ذلك الحضور، وتلاشيت في سبحات النور، خلعت عليك خلعة ربّانية رحمانية، فردانية وحدانية، وهي صلاة الله على عبده المخصوص بحكم المطابقة، فإذا أنزر بجمالها، وتقلّد بجلالها، وتتوج بتاج كمالها، وبرز في ملكوت القدس الأقدس بكرامة هذا النور الأنفس، أعلن لسان الذكر الحكيم بالكلام القديم، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢].

فإذا كان يوم انكشاف الساق، وظهور خصائص يوم التلاق، اندرجت الصلاة في الصلاة، واضمحلت الصفات في الصفات، وتجلت حقائق أم القرآن والسيدة، وتلا لسان الأحدية، ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض﴾[الرعد: ١٥].

---

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: الجمع هو نفي المعية، وسقوط الفرق بالكلية، وحقيقته: اتحاد مراتب العالم في واحدٍ يتعيّن مع وجود ما اتحد فيه به، ويبطن عند تحليل ما به تعينّ، وغايته: رؤية الأبد بعين الأزل، الذي لا يُخبِر ولا يُخبَر عنه اهـ.

الشعيرة الثامنة والتسعون

الأزل إحاطة في وحدة، والأبد إحاطة في كثرة، فإذا تجلى واحد الأزل في آحاد الأبد أعطى في كل واحدٍ من آحاده حكم ما تجلّى به، فالأول بالوجوب، والثاني بالإمكان.

الشعيرة التاسعة والتسعون

إذا ارتفع ستر الأكوان ظهر جمال الإنسان، وإذا ارتفع حجاب الإنسان تجلّى وجه الرحمن.

الشعيرة المائة

حاء الحق هي خاء الخلق، والنقطة واللام من زوائد الأحكام، فمن رفع حكم الزوائد ظفر بأسرار الفوائد.

الشعيرة الواحدة والمائة

باطن القلب مرآة الحق، وموضع القدم الصدق، فمن تعرّف إليه ربه انقلب إليه قلبه، وتجلّت فيه أنوار حقه، ومحقت آثار خلقه.

دعاء: اللهم أعدني بسر التحقيق[1]، ونور التوفيق من سوء الضيق، وحرج الطريق.

الشعيرة الثانية والمائة

العلم ما به اختراع المعلوم، صور مجردة في بطانة العلم أعيانًا مجردةً، في ظاهر الغيب المشهود، لا بالتفصيل الخارج، فإنه غير معتبرٍ؛ لأن الحاصل يثبت باليقين في داخل الذهن، والمفسد لتصحيح ذلك الشك ومنشؤه من الالتفات الذي صدقه الخارج أو كذبه، ولذلك نفى الحق عن نفسه الحصول في الخارج، فقال: «**لن تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**[2]».

---

(١) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به: التحقيق هو ما يحصل معه القطع الذي يستحيل معه وجود النقيض، وحقيقته: وجدان وجودٍ في كشفٍ يستحيل معه الستر الموجب لتوهم الغيب، وغايته: بلوغ يوجب الوقفة؛ لاستحالة توهمٍ مطلوبٍ سيحصل اهـ.

(٢) تقدم تخريجه.

الشعيرة الثالثة والمائة

شيخك من أوجدك وأنت فاقدٌ، وسار بك وأنت قاعدٌ، وأوقفك بين يدي الله وأنت راقدٌ.

الشعيرة الرابعة والمائة

العارف علمه بلا كتابٍ، ورزقه بلا اكتسابٍ، وفيضه بلا حسابٍ[١].

الشعيرة الخامسة والمائة

الخواطر هي الأرواح المجردة عن أجسام بني آدم، ترد على قلوب أمثالها، إذا استعدت لقبولها، بحكم ما تجرَّدت عليه، وشاهده شرعًا:

«يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه[٢]».

وكل خاطرٍ له لسان وعلم وحكم وخلق ومقصد ومنحى، فمنها الإلهيات، ومنها الربانيات، ومنها النبويات، ومنها الملائكيات، ومنها الجانيات، ومنها الشيطانيات، ولكل منها ورود مختلف، قد ترد نفسانية، وقد ترد روحانية، ومن هنا يعرف الاطلاع على البرازخ الملكوتية، والله الموفق للصواب.

الشعيرة السادسة والمائة

ينقسم العالم إلى قسمين: عالم الأرواح، وعالم الأجسام[٣]، ثم يتفرع إلى أربعة فروع:

---

(١) قال سيدنا شيخ سيدنا المصنف: العارف أثره في الآخذين عنه بإمداده وأنواره أكثر من آثارهم فيه بأذكارهم وأعمالهم، وقال ﷺ: العارف يتكلم على الفطرة الأصلية فلذلك لا يستجيب له إلا من كان قريباً منها ويعز قبول من كان بالظلمات العارضة بعيداً عنها. وقال ﷺ: قلب العارف كالنار لا تبقي ولا تذر لراحة للبشر.

وقال: العارف لا يبقى مع غير الله تعالى بحال لو كان ما يبدو من الله تعالى يستمد ومن وقف مع ما بدا له من الله تعالى إليه حجب بذلك.

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٥١٩).

(٣) قال سيدنا القونوي: قاعدة كلية تتضمن التعريف بكيفية تدبير الأرواح الأجساد وصورة الارتباط بين كل منها مع الآخر:

اعلم أن الارتباط الذي بين الروح الحيواني، وبين المزاج الطبيعيِّ الإنساني ثابت بالمناسبة، كما أن =

=

الارتباط بين النفس الناطقة وبين الروح الحيواني إنما صح وثبت أيضًا بالمناسبة، ولولا ذلك ما تأتى للنفس تدبير المزاج البدني لما بينهما من المباينة من جهة بساطة النفس، وتركيب البدن، وفرط كثرة أجزائه، واختلاف حقائق ما تألّف منه.

فالبخار الذي في تجويف القلب، وإن كان جسمًا فإنه ألطف أجزاء بدن الإنسان وأقربها نسبة إلى الأجسام البسيطة؛ وهو كالمرآة للروح الحيواني.

والروح الحيواني: من حيث اشتماله بالذات على القوى الكثيرة المختلفة المنبثّة في أقطار البدن، والمتصرفة بأفانين الأفعال والآثار المتباينة تناسب المزاج البدني المتحصّل من العناصر، وما يتبعه من الخواص المعدنية والنباتية والحيوانية، ومن حيث أنه قوة بسيطة متعلقة غير محسوسة مجعولة في ذلك البخار القلبي الذي قلنا أنه كالمرآة له تناسب النفس الناطقة؛ وإنه أيضًا كالمرآة لها: أي للنفس.

ونسبة النفس الجزئية الإنسانية إلى النفس الكلية، نسبة الروح الحيوانية إليها من جهة الافتقار إلى المادة، والتقيُّد بها وملابسة الكثرة، ومن جهات غير هذه المذكورة كخواص إمكانات الوسائط من الأفلاك والنفوس والعقول والشئون المعبر عنها بالأسماء.

ونسبة النفس الكلية إلى القلم الأعلى المسمّى بالعقل الأول، والروح الكلي؛ نسبة النفس الجزئية إلى النفس الكلية، ونسبة الروح الكلي المشار إليه إلى جناب الحق سبحانه نسبة النفس الكلية إليه؛ بل أقل وأضعف هذا وإن كان هذا الروح الكلي الذي هو القلم أشرف الممكنات، وأقربها نسبة إلى الحق، وأنه حامل الصفات الربانية، والظاهر بها علمًا وعملاً وحالاً.

فالسير، والسلوك، والتوجه بالرياضة، والمجاهدة، والعلم، والعمل؛ المحققين المتأصّلين بأصولِ الشرائع والتعريفات الربّانية يثمر بعناية الله ومشيئته انصباغ القوى المزاجية بوصفِ الروح الحيواني في الجمع بين خاصية البساطة والتجريد، وبين التصرُّفات المختلفة بالقوى المتعددة في فنون الأفعال، والتصريفات الظاهرة في بدنِ الإنسان بالقوى والآلات.

والروح الحيواني كماله الأول انصباغه بأوصاف النفس الناطقة، والنفس الناطقة الجزئية كمالها الأول تحقُّقها بوصفِ خازن الفلك الأول المسمّى في الشرائع بـ «اسماعيل»؛ وعند أهل النظر بالفعال، وكمالها المتوسط ظهورها، وتحققها بوصف النفس الكلية، واكتساب أحكامها على وجهٍ يوجب لها التعدي منها إلى المرتبة العقلية والروح الكلي.

ثم الاتصال بجناب الحق والاستهلاك فيه بغلبة حكم الحقية على الخلقية، وزوال الخواص الإمكانية والتقييدية بأحكام الوجوب، وبقهر حكم الحق الواحد القهار كل حكمٍ، ووصف كان يُضاف إلى سواه، وهذا القهر يرد على كل ما امتاز من مُطْلق الغيب الكليّ الربانيّ، وتلتبس بواسطة الأحوال الإيجادية بأحكام الإمكان والتقييدات الكونية المتحصّلة من الشروط الوسائط.

فيستهلك الجزء في كله، ويعود الفرع إلى أصله، مستصحبًا خواص ما مرَّ عليه واستقر فيه مدة، ووصل إليه؛ كماء الورد كان أصله ماء فسرى في مراتب التركيب والمواد، واكتسب بسرايته ما صحبه بعد

=

=

مفارقةِ التركيب من طعمٍ، ورائحةٍ، وخواص أخر، ولا يقدح شيء منها في وحدته وبساطته.
وإذا عــرفت هذا، فاعلم أنه يتحصَّل بين كيفيات المزاج الإنساني وبين ما يكون قلب الإنسان وذهنه مغمورًا به من المقاصد والتوجهات وغيرهما كانت ما كانت، وبين ما ارتسم أيضًا في نفسه من العلوم، والعقائــد، والأوصـــاف، والأخـــلاق في كل وقتٍ؛ هيئة اجتماعية. تلك الهيئة مع ما ذكرناه أولاً في القاعـــدة بالنسبة إلى جناب الحق من جهة عدم الوسائط، وبالنسبة إلى سلسلة الحكمة والترتيب، وما أودع ســـبحانه من القوى، والخواص، والأوامر، والأسرار في السماوات العُلا وما فيها من الكواكب والأملاك، وما يتكيَّف به من الأوصاف والتشكُّلات؛ كالمرآة يتعين فيها من تجلِّي الحق، وشأنه الذاتي، وأمـــره الترتيبي الحكمي العلوي، وما يتبعه من جميع التصورات والتصرفات الإنسانية وما ينضاف إلى الحق من الأسماء والصفات والشئون والآثار.
فمنها: أي من الأمور المتعينة المشار إليها: ما هي دائمة الحكم ثابتة الأثر.
ومنها: ما يقبل الزوال؛ لكن ببطء.
ومنها: سريعة الزوال والتبدُّل من حالٍ إلى حالٍ.
ومنها: ما نسبته إلى الحق أقوى وأخلص.
ومنها: ما نسبته إلى الكون أو الإنسان جمعًا وفرادىً من حيث ظاهر المدارك غالباً أحق وأنسب.
ومنها: ما يفيد معرفة الاشتراك بين الحق وما سواه من إنسان وغيره.
ومنها: ما يقضي بالاشتراك بين الحقّ والإنسان فقط.
ولــست أعــني بالإنسان هنا نوع الإنسان؛ بل يُعنى به الإنسان الحقيقي الذي هو بالفعل إنسانٌ كاملٌ الذي من جملة مناصبه مقام النيابة عن الحقّ، وكونه واسطة بين الحق وما سواه في وصول ما يصل من الحق إلى الخلق في عصره، هكذا كل كامل في كل عصرٍ.
وهـــذا المشهد لما أريته عرفت منه سرَّ التجدُّد بالأمثال، وبالأضداد، والمتخالفات، وأعني بالتجدد تجدُّد وجود الكون، والخواطر، والتصورات ونتائجها في كل زمان، وظهور الخلق الجديد الذي الناس منه في لبسٍ كما أخبر تعالى. وقوله الحق: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]
ورأيـــت تعـــين الوجود المطلق بصورِ الأحوال؛ وهي ذات وجهين، فكلها إلهية من وجهٍ، وكونية من وجهٍ، وصادق على الجهتين باعتبار آخر.
ورأيت تعين الأسماء، والصفات الإلهية والكونية بحسب تلك الأحوال.
ورأيت كيف ينتج بعض الأفعال، والعقائد، والأحوال الإنسانية سخْط الحق ورِضَاه، وأحكامه وتعدد أثـــره الوحداني مع عدم تغير أمر في ذلك الجناب الأقدس؛ بل رأيت بعض الأفعال والتصورات العلمية والاعـــتقادية مـــن الإنسان، إذا اقترن بحالٍ مخصوص من أحواله؛ استجلب بحكم علم الله السابق فيه، وتقديـــره اللاحق؛ تعينًا جديدًا من مطلق غيب الحق يظهر بحسب تلك الهيئة الاجتماعية المتحصلة كما قلـــنا مـــن التـــصورات العلمية الروحانية، أو الاعتقادية الذهنية الظنية، والكيفيات المزاجية، والنقوش

=

=

والتعشُّقات النفسية، والأوصاف والأخلاق الشريفة والدنيئة.

فإن كان أثر ذلك الأمر الظاهر التعين شيئًا موافقًا لما سبق به التعريف الإلهيّ بلسان الشريعة، وما تدرك العقـــول، والفطر السليمة وجه الملائمة والحسن فيه؛ أضيف إلى الحق؛ بمعنى أن ذلك أثر رضاه ورحمته، وإن كان الأمر بالعكس أضيف إلى الحق بمعنى أنه أثر غضبه وقهره، سلمنا الله منهما.

وإن كـــان الغالب على مزاج تلك الهيئة المتحصلة من اجتماع ما ذكرنا؛ حكم حال الإنسان؛ أعني: الحـــال الجزئي الحاكم عليه؛ إذ ذاك كان ذلك السخط أو الرضاء أو الحكم الإلهي المتعين في الإنسان بحسب حاله الحاضرة؛ قابلاً لزوال بسرعة، وكان قصير المدة.

وإن كـــان الغالـــب علـــى الشخص، والجالب ما ذكرنا حكم العقائد، والعلوم الراسخة، والأوصاف والأخلاق الذاتية الجبلية، والمكتسبة الثابتة؛ ثبت الأثر والحكم أو تماديا المدد الطويلة شرًّا كان أو خيرًا.

وكـــذلك إن كـــان الغالـــب فـــيما ذكرنا من الإنسان حكم صورة مزاجه، وقواه البدنية الطبيعية، والأوصاف والأحوال اللازمة للبدن وقواه؛ انقضى الحكم بمفارقة هذه النشأة العنصرية.

وإن كانـــت الغلـــبة للأمور الباطنية النفسانية، وما بعدت نسبته من عالم الشهادة؛ بقيَ الأثر، والحكم مصاحبين إلى حين ما يشاء الله.

وإن كان الغالب فيما ذكرنا الأمور الذهنية الخيالية الظنية؛ تمادى الحكم في النشأة البرزخية أيضًا حتى يشاهد ما قُدِّر له أن يشاهده ممَّا كان يتصوَّره على خلاف ما كان عليه، وإليه الإشارة بقول الله تبارك تعـــالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] وحتى تظهر غلبة أحكام الروح، وعلمـــه، وحكم صحبة الحق بالمعية الذاتية، وسره على حكم المزاج، وتخيلات صاحبه التخيلات الغير المطابقة لما عليه المتصور.

والـــيه الإشـــارة بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

ثم اعلـــم أن كـــل نشأة ينتقل الإنسان إليها بعد الموت، فإنها متولدة عن هذه النشأة العنصرية، وإن في ضـــمن هـــذه النـــشأة ما يدوم ويبقى، وإن تنوع ظهوره، واختلفت كيفياته، وتراكيبه؛ وفيه ما يفنى بالمـــوت، وفـــيه ما يصحب الروح في البرزخ من الاعتقادات الفاسدة والتصورات الرديئة، والمقاصد القبـــيحة المستحضرة، والباقي من لوازم ما ذكرنا من صور الأفعال، والأقوال الإنسانية بموجب القصد والاستحضار المذكورين.

وأما النشأة الحشرية فإنها باطن هذا الظاهر فيبطن هناك ما ظهر الآن، ويظهر ما بطن على وجه جامع بين جميع أحكام ما بطن الآن وظهر، وما نتج من هذا البطون والظهور، والجمع والتركيب.

ثم عـــند الـــصراط يفـــارق السعداء ما يبقى فيهم من خواص هذا المزاج والدار، مما هو عنصريٌّ غير طبيعـــيٍّ، وتبقـــى معهم أرواح قوى هذه النشأة وجواهرها الأصلية المتركِّبة بالتركيب الأبدي الطبيعي الغير العنصري، وصورة الجمع والتأليف الغيبي الأزلي.

=

وأهل الشقاء ينفصل عنهم ما قد كان يبقى فيهم من أرواح القوى الإنسانية والصفات الروحانية، وتتوفّر في نشأتهم صور الأحوال المزاجية الانحرافية والصفات الرديئة والكيفيات المردئة الحاصلة في تصوُّراتِهم وأذهانهم، والتي ترتبت عليها أفعالهم في الدار الدنيا وأقوالهم.

وينضم إلى صورهم ما تحلّل من أجزائهم البدنية في هذه النشأة، فإن كل ما تحلّل من أبدانهم يعاد إليهم، ويجمع لديهم بصورة ما فارقهم عقلاً، وعلمًا، وحالاً، وعملاً، وما يقتضيه ذلك الجمع والتركيب الذي يغلب عليه حكم الصورة على الروحانية.

وأهل الجنة بالعكس، فإن أكثر قواهم المزاجية، والصفات الطبيعية، وما تحلّل من أبدانهم ينقلب بوجه غريبٍ شبيه بالاستحالة صورًا روحانية مع بقاء حقيقة الجسم في باطن صورة السعداء، فالباطن هنا مُطلَقٌ، والظاهر مقيَّدٌ، والأمر هناك بالعكس؛ حكم الإطلاق في ظاهر النشأة الجنانية، وحكم التقييد في باطنها؛ وغالب الحكم والأثر فيما ظهر هناك لما بطن هنا وبالعكس.

والنشآت المشار إليها هنا أربعة:

أولها: هذه «النشأة العنصرية»: وهي كالبذرة لباقي النشآت؛ ولها الإدماج والجمع الأكبر.

وبعدها: «نشأة البرزخ»: وإنها منتشئة من بعض صور أحوال الخلق، وبعض أعمالهم، وظنونهم، وتصوراتهم، وأخلاقهم، وصفاتهم، فيجتمع مما ذكرنا أمور تحصل لها هيئة مخصوصة؛ كالأمر في المزاج المتحصِّل من اجتماع الأجزاء التي منها تُركِّب ذلك المزاج كان ما كان، فتقتضي تلك الهيئة ظهور النفس في الصورة المتحصلة من تلك الهيئة، وذلك الاجتماع، وصفة الصورة بحسب نسبة الصفة الغالبة على الإنسان حين مفارقة هذه النشأة.

فيظهر بعضهم في البرزخ؛ بل وبرهة من زمان الحشر في صورة أسد وذيخ وطير؛ كما ورد في الشرّ، وشهد بصحته الكشف والتعريف الإلهي، وليس بالمسخ والتناسخ المستنكر، فإن القائلين بذلك زاعمون أنه في الدنيا، وهذا إنما هو في البرازخ بعد الموت، فافهم.

ومن غلبت عليه الأحكام الروحانية وإفراط إعراضه عن هذه الدار وهذه النشأة؛ كالشهداء المقبلين في سبيل الله للجهاد بطيب قلب، وصحة إيمان؛ تظهر نفوسهم في صور طيور روحانية؛ كما أخبر ﷺ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاء فِي حَوَاصلِ طَيْرٍ خُضْر تَعَلَّق مِنْ ثَمَرِ الْجنَّةِ تَأْوي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ العَرْشِ».

وورد في المعنى في الحديث الصحيح:

إن في غزوة أُحُد قال بعض الصحابة لبعضهم معاتبًا له: «أتقعد عن جنةٍ عرضُها السَّمَاوات والأرض، والله إني لأجد ريحها دون أُحُد».

وهذا من بكرة نور الإيمان، وفرط استفراغ الهمَّة حال التوجُّه مع الإعراض التام عن هذه النشأة وهذه الدار، واستشهد صاحب هذا القول يومه ذلك ﷺ.

والمتوسطون من الأولياء المفرطين في الانقطاع عن الخلق والمجاهدات البدنية أيضًا كذلك، وأما الكُمَّل فإنهم لا ينحرفون إلى طرفٍ من الوسائط، بل يوفون كل مرتبة حقها؛ فمنهم تامُّون في عالم الطبيعة،

إلى أرواح نبوية، وأرواح ملكية، وأرواح جانية، وصور آدمية، العقل الأول أبو الأرواح النبوية، كما آدم أبو الأشباح البشرية، وكذلك جبريل أبو الأرواح الملكية، كما إبليس أبو الأرواح الجانية، وما من صورةٍ بشرية آدمية إلا ولها صورة روحانية نبوية، تتجلّى عليها وتشرق فيها، فتأمرها وتنهاها، وتلهمها فجورها وتقواها، ولكل صورةٍ آدمية قرينان: قرينٌ ملائكي، وقرينٌ جاني، يتغالبان، فإن غلب الملكي على الجاني حصل الصفاء في الجوهر الماء برسوب جوهر التراب، وأشرقت الروح النبوية الأمرية، وظهر فيها صورتها بالتجلّي كما يظهر شكل الرائي في المرآة، وإن غلب الجان، فإما أن تكون غلبته متقاربة فتكون نسبة قرينه من الملكية، وإن كانت متباعدة كانت شيطانية.

فيغلب الكدر ويحجب البصر، وينقطع الخبر:

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وهذه الروح الأمرية هي التي تحاسب العبد يوم القيامة، وتجازيه بشاكلة عمله، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**[1]».

تم كتاب شعائر العرفان في ألواح الكتمان بحمد الله وعونه، وحسن تأييده، وله الحمد دائمًا أبدًا، كما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

=

وتامّـون في الحضرات الروحية؛ كربّهم سبحانه الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه، فلا تغلب عليهم الطبيعة ولا الروحانية.

ومن سواهم؛ إمّا: «مغلوب الروحانية، مستهلك الطبيعة».

وإما: «مغلوب الطبيعة المستهلك قواه الروحانية في عرصة طبيعته»؛ كما هو حال جمهور الناس.

و«الكُمّـل المقـرّبون في حاق الوسط»؛ برازخ بين الطبائع والأرواح؛ بل بين المرتبة الإلهية والكونية، فافهم. وأما الباقيان من النشآت: فأحدهما: «النشأة الحشرية».

وثانيهما: «النشأة الاستقرارية في إحدى الدارين».

وانظر: النفحات الإلهية (ص٩٣) بتحقيقنا.

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/١٢٢٥).

وذكر قول الشيخ الأكبر بأنه وإن لم يصح من طريق الرواية لكنه صح عندنا من طريق الكشف، وقد صححه السيوطي وشرحه برسالته: ((القول الأشبه)).

فهرس المحتويات

هذا الكتاب

قد أذنَ الله لإخراج هذا النور العظيم، من أشعة إشراقات سادة العلماء العارفين، بعد أن كانت محجوبة عن أعين الناظرين، عدة من القرون والسنين، إلا من أذن الله لهم من أصحاب التصريف المقربين، فأسرارهم خاصة خواص العارفين، وفيض الله سر محفوظ لدى من هم به مختصين.

وقد منّ الله علينا بالعزم والقصد في تحقيق كتب ورسائل أنوار السادة الوفائية، وكذلك المصنفات التي خصت بالتصنيف عنهم، من ذكر مناقبهم وترجمتهم.

وما كان ذلك والله إلا بتوفيق من الله على يدي شيخنا الإمام الحجة القطب المخصوص بالفتح والتصريف، إمام أهل الكشف والتحقيق: سيدي مصطفى بن عبد السلام الملوي، قدس الله سرَه، ونوَّر ضريحه، فقد أذن لي بتحقيق كتبهم والعمل على خدمة تراثهم قدر المستطاع، فقد عرفت محبتهم، والحرص على زيارتهم، ومكانة علمهم وفك ما منَّ الله لبعض رموز كلامهم، ببركة هذا الشيخ الجليل، وما كان لي ذلك بدونه، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

ومن مؤلفات سيدي محمد بن محمد وفا كتاب «شعائر العرفان» الذي قال الشيخ الشعراني عنه وعن بعض كتبه الأخرى: وكتاب «الشعائر» له، و«المشاهد» و«عنقاء مغرب» للشيخ ابن عربي، و«خلع النعلين» لابن قسيٍّ لا يكاد يفهم أكثر العلماء منها معنًى مقصودًا، بل هو خاصٌّ بمن دخل مع المتكلم حضرة القدس، فإنه لسان قدسيٌّ، لا يعرفه إلا الملائكة، أو من تجرَّد عن هيكله من البشر وأهل الكشف اهـ.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

من مقدّمة المحقق



Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

هاتف: 11/12 804810 5 961+ — ص.ب: 9424-11 بيروت - لبنان

فاكس: 804813 5 961+ — رياض الصلح - بيروت 2290 1107

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

